

وزارة الثقافة  
المركز الوطني للاتصال الثقافي



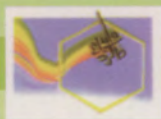
المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

محمد العروسي المصوي

سيرة وورقات  
من إبداع مرحلة الشباب

الجزء الثاني : الورقات النثرية

إعداد وتقديم وتحقيق  
د. محمد الهادي بن الصاهر المصوي



سلسلة « ذاكرة وإبداع »

# محمد العروسي المطوي : سيرة وورقات من إبداع مرحلة الشباب : الجزء الثاني الورقات النثرية

إعداد وتقديم وتحقيق : محمد الهادي بن الطاهر المطوي

تاريخ النشر : 2011

الناشر : وزارة الثقافة، المركز الوطني للاتصال الثقافي

مكان النشر : تونس

اللغة : العربية

الوصف المادي للوثيقة : 240 ص. ؛ 21 سم.

ردمك (ISBN) : 978-9973-910-40-0

السلسلة : ذاكرة وإبداع ، عدد 37

الموضوع : أعمال وتراجم محمد العروسي المطوي

تصنيف ديوي العشري : 928

المفاتيح : أعمال، تراجم، أدباء تونسيون، محمد العروسي المطوي، مذكرات،

رسائل، نثر، أدب مقالي، أدب لغوي، النقد الأدبي واللغوي، الأدب التونسي

المعاصر، مختارات ادبية من دروس محمد العربي الكبادي، الحركة

الإصلاحية، الحداثة، النهضة الأدبية والفكرية في تونس، المكتبة الوطنية

التونسية، الخلدونية الرقمية، الانسانيات الرقمية.

A-8- 215561

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

A.8-215561

وزارة الثقافة  
المركز الوطني للاتصال الثقافي

سلسلة « ذاكرة وإبداع » [37]

# محمد العروسي المطوي

سيرة وورقات  
من إبداع مرحلة الشباب

الجزء الثاني

الورقات النثرية

374682



إعداد وتقديم وتحقيق

د. محمد الهادي بن الطاهر المطوي

المركز الوطني للاتصال الثقافي

تونس 2011



المركز الوطني للاتصال الثقافي

سلطة «ذاكرة وإبداع»

إدارة السيدة نور الهدى الصّدي

الإشراف : أ. عبد الوهاب الدّخلي

الكتاب : 37

محمد العروسي المطوي

سيرة وورقات من إبداع مرحلة الشباب

الجزء الثاني :

الورقات النثرية

إعداد وتقديم وتحقيق :

د. محمد الهادي بن الطاهر المطوي

الطبعة الأولى : 1000 نسخة

تونس، أكتوبر 2011

الانجاز الطباعي : مطبعة أوربيس - تونس

الهاتف : 71 280 229 - الفاكس : 71 280 231

جميع الحقوق محفوظة للمركز الوطني للاتصال الثقافي

ر.د.م.ك : 0-40-910-9973-978

الإخراج الفني والمتابعة : فتحي اللواتي

هذا هو الجزء الثاني من كتاب «محمد العروسي المطوي: سيرة وورقات من إبداع مرحلة الشباب». وهو الجزء الخاص بالنتشر كما ذكرنا ذلك في مقدمة الجزء الأول. وقد ضمّناه ورقات من مذكراته، ورسائله، ورسائل بعض الأصدقاء إليه، ونماذج من أدبه المقالي ونقده بفرعيه الأدبي واللغوي.

ومن أهم أبواب هذا الجزء أنه يقدم لأول مرة في تاريخ الأدب التونسي صورة عن الشيخ الشاعر محمد العربي الكبادي الراوية من خلال ما دونه الشيخ محمد العروسي المطوي عنه من أمالي دروسه. دروس يكثر الحديث عنها بإعجاب وإطناج كلما ذكر اسم الكبادي دون أن يكون عندنا منها الدليل الذي يستحقّ به شهرته راوية ومدرسا. ولا شك في أننا بنشر هذه النّتف من مروياته مع تعليقاتنا عليها نكون قد أعطينا القارئ صورة عن منهج الكبادي في فن الرواية وقوة حافظته، وجمالية ذوقه الفني، ومدى سعة علمه الشامل لكل ما يتعلّق بالأدب العربي مشرقا ومغربا

ونحن نؤمل أن يجد القارئ في هذا الجزء الثاني ما به يكمل الصورة التي سعينا إلى تقديمها له في الجزء الأول، نعني صورة الشاب محمد العروسي المطوي المبدع الأديب التي ستأسس عليها شخصيته الإبداعية بعامة، وتحدّد بها توجّهاته الأدبية والعلمية والفكرية في ما سيلي من حياته. والسلام.

د. محمد الهادي بن الطاهر المطوي



متمم الغروبي المطوي

1- الخطوبة في 1 سبتمبر 1939

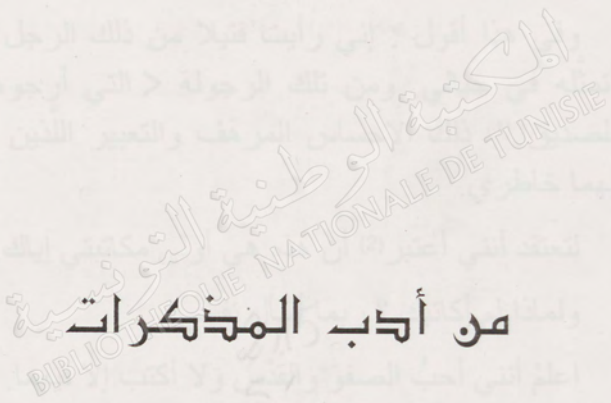
وماذا حدث؟ لقد انبثق الانقلاب العميد، ومساند الروح المتحررة، وفق الإحسان، وأرفعها الشعور، مما ضرور خالض من حيث القرطمان والحروف، تلك ملامح الحياة، فيما الانقلاب في الأسلوب، وتغيير الضمير، فما اللذان أنخلا على مزيد الغبطة.

أقول؟ إلى رأيت قبلا من ذلك الرجل الذي أتيت من تلك الرحلة < التي أرجوها >، الصغار، المثلن العرف والتعير اللذين يسعد بهما خاطري، نعمتني أنتي اعتبرته، أن التفتتني إليك.

### من أدب المذكرات

أعلم أنتي أحب الصفر، ولا أكتب إلا أفرد < أن تعرف > لماذا أحب الصفر؟ لأن المصطفين من العباد هم خير عباد الله، لأن حياة محمد كلها صفاء وجلاء، لأن الإخلاص منادى ولحمته الصفاء، لأن الطبيعة لا تحلو إلا وهي صفاء، لأن القلابة والطهر هما يتروح الصفاء.

(1) ما من كسلى الرحلة والمصطفى يأنس في الأمل لغة يتوق به في كلمة كان يرد يستغيا ولم يسن له تلك قبل أمينا في ما خرجنا ؟  
(2) في الأمل : أعتبر نفسي مولود الأولى ما كتبت.





المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE



## 1 - المطوية في 1 سبتمبر 1939 :

وماذا حدث؟ لقد انبثق الانقلاب الحميد، وسادت الروح المتحفزة، ودقّ الإحساس، وأرهف الشعور. ما السرور خالجي من حيث القرطاس والحروف. فتلك ماديّات الحياة. إنما الانقلاب في الأسلوب، وتعبير الضمير، هما اللذان أدخلنا عليّ مزيد الغبطة.

وفي هذا أقول : إنني رأيت فتيلًا من ذلك الرجل الذي أتمثله في خيالي. ومن تلك الرجولة < التي أرجوها >، للصديق (1) ذلك الإحساس المرهف والتعبير اللذين يسعد بهما خاطري.

لتعتقد أنني أعتبر (2) أن هذه هي أولى مكاتبتني إياك.

ولماذا لم أكتبك؟ ربما أسأل نفسي.

اعلم أنني أحبّ الصّفوّ والقُدس ولا أكتب إلا فيهما. أتريد < أن تعرف > لماذا أحبّ الصّفوّ؟

لأن المصطفين من العباد هم خير عباد الله،

لأن حياة محمد كلّها صفاء وجلاء،

لأن الإخلاص سداه ولحمته الصفاء،

لأن الطبيعة لا تحلو إلا وهي صافية،

لأن القداسة والطهر هما ينبوع الصفاء.

(1) ما بين كلمتي الرجولة وللصديق بياض في الأصل لعله يشير به إلى كلمة

كان يود إضافتها ولم يتسن له ذلك. فهل أصبنا في ما اقترحنا؟

(2) في الأصل : أعتبر نفسي، ولعل الأولى ما أثبتناه.

لِتَنْظُرُ إِلَى الرَّسْمِ ! سَتَجِدُ فِيهِ - العروسي- ناقما على الحياة. العروسي الغضوب الحانق بيده القلم يكاد يُدخله في المنضدة. شَعْرُهُ تَعَبَتْ بِهِ أَمْوَاجَ الرِّيحِ كَمَا تَعَبَتْ ثَقَلِبَاتُ الزَّمَنِ، وَلَكِنَّ (1) فِيهِ مِنَ الصَّلَابَةِ مَا يَبْهَرُ تِلْكَ الرِّيحَ.

مفكرته (2) التي جمع فيها وأوعى. فيها ذكريات عظيمة. فيها أسماء أعزَّ الأصدقاء : صالح - الرشيد - حمدة - نسيم - شطاب - طيار - الأزهر - الطويهري (3).

شبح بيدي لك سحائب من الأوهام والهواجس.

منظر يتركك مرتابا :

ما بال هذا الشاب ناقما؟ إن فتوته لتوجب عليه المرح والسرور والغبطة والانتشراح.

(1) في الأصل المخطوط : ولكنه .

(2) مفكرته : تردد الشيخ محمد العروسي في تسمية هذه المذكرات بين مفكرة ومذكرة التي استعملها في رسالة يوم 27 رمضان 1360 / 18 أكتوبر 1941، ولقد اخترنا الثانية. انظر دراستنا : محمد العروسي المطوي شابا، مجلة قصص، عدد 136، أبريل - جوان 2005، ص 50، هـ 1، و 80.

(3) في ما يلي ما نعرفه عن هؤلاء الأصدقاء : صالح الجمي أصيل مطمطة. وقد كنا عرفناه في طفولتنا مع عمنا محمد العروسي في زيارته إلى بيتنا، والرشيد مسلم من حسي الجربي بأحواز جرجيس توفي في غارة جوية على ضاحية المرسى وله فيه قصيدة رثاء ومحاضرة بعنوان «الشهيد رشيد مسلم» ألقاها في جمعية الثبان المسلمين أواخر محرم الحرام 1362/ أواخر فيفري 1943، ومحمد نسيم، وحمدة الشيخ، وعلي شطاب الطالب الجزائري، وأحمد الأزهر العبيدي بطل قصة «ومن الضحايا» من سوق الأربعاء / جندوبة، وعبد القادر الطويهري ... إلخ. وانظر عن هؤلاء الأصدقاء وغيرهم كتاب : محمد العروسي المطوي- مسيرة زمان وعمل، للطبيب الفقيه أحمد : 44.

إن المُجيب عن هذا وذاك هو تلك الشُّجيرات الناعمة التي تبدو من وراء الرسم وكأنها دَوَّحٌ في الحقول النائية.

إنما هو حائق لأن أمانيه وأماله التي هي الآن صغيرة في مخيلته كلا شيء، وأحلامه الكبيرة ما زالت في طيِّ العدم. فلا فرح ولا سرور، إن لم تظهر تلك الأفكار الوليدة كالطُّود العظيم أصله في الثرى ورأسه في السماء (1).

مذكرتي (مخطوطة) : 4 - 5

2 - المطوية في 24 جوان 1940 :

لقد حار القلم وكاد يكبو جواده، وجفَّ الخيال وكاد يكون بَلْقَعًا فيما يسطر أول < هذه > الرسالة.

ولكن عفا الله ! الآن علمتُ أنَّ التحوُّل سنةٌ كونية شائعة، وأن الانقلاب شرعٌ مستقرٌّ.

ولكن عفا الله ! أن كنت لأسبح في خضمِّ الراحة والسرور بين الأهل والأحبة، وأنت في جحيم الغربة والفراق.

ولكن عفا الله ! إن تفضّر قلبك، وتبلبل ضميرك، وتشتتت أفكارك في سبيل الإخلاص.

مسكين ! كم أودُّ أن أزيلَ عنك بعض ما تحسُّ من أوصاب، وما تحمل من أعباء الهموم والأحداث، وما ينتاب نفسك من الإفراط والغلو ! ولكن ما حيلة من أعوزته

---

(1) في الأصل : بالثرى ورأسه بالسماء : وأصلحناها في الثرى وفي السماء، لترجيحنا أنها اقتباس جزئي من قوله تعالى : ﴿ كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ (28 من سورة الكهف 18).



الحيلة، وعزب عنه الميسور. ما حيلة فرد ليس في العير  
ولا في النفير<sup>(1)</sup>. له نوادر ليس يعرف كنهها إلا الله، ومن  
رسخ في عالم صداقتي وإخلاصي.

لقد حان وقت الكتابة أيها الأخ! وجاء زمن الزفرات الجرار  
والتأوهات الطويلة. فلنسجل ما تمليه النفوس، وما يسطره قلم  
الطهارة والنزاهة. وليمل الشعور أفانين الشوق والووعة.

وبعداً عن نفاق القول أقول لروحك: إن كلمات سطرها  
يراعك، وأملها شوقك، وكتبتها يدك الخالصة في مذكرتي،  
قد وجدت موقعا من نفسي لا أعرف<sup>(2)</sup> مداه وليس إلى معرفته  
من سبيل. وذلك هو نقص الإنسان يعلم شيئا بداخل نفسه،  
ولكنه لا يقدر على حصره واستجماعه. فليت لنا (مترا) من  
قلوبنا وأخيلتنا نقيس به ما يجيش بها من الفكر والأحلام!  
ولكنه<sup>(3)</sup> حلم ضائع وأمل سخيّف.

نعم! لقد وجدتها كلمات. وما رأيتها حتى اعترتني الهزة  
وأحسست بالشوق والحنين. كلمات قليلات من رسالتك المقعمة  
بالشكوى والألم، ولكنها أثرت في أكثر مرات ومرات.

إنها لكلمات نزلت على كبريائي النفسي فحطمته، وعلى  
قساوتي فتركتها هشيمًا تذرّوه رياح الأشتياق، وتتلقفه أمواج  
العطف والحنين إلى قلب ولسان ويد وقلم ...

(1) لا في العير ولا في النفير: مثل معروف. راجع موسوعات الأمثال. والعير  
القافلة، والنفير القوم دون العشرة يستنفرون للإيقاد. والمثل يضرب لكل من  
تخلف عن القافلة ونجدة الحمى من هجوم الأعداء.

(2) في الأصل: لا عرف.

(3) في الأصل: ولكن.

مسكين الإنسان ! متى قسا وتجبرّ وعتا في الأرض إلا  
وتصرفات الكون تُلزمه الرُّكون إلى الصراط السويّ..

وها أنذا أناجي. ولكن من أناجي ؟ أناجيك أنت أيها الخِلُّ  
الطَّريد الشَّريد ! أنت لقمة الدهر والحدثان السائغة !

إنك لمسكين ! كم أمرتك بالقساوة فازددت لنا !

أيُّها الأخ !

لقد وصلتُ إلى « المطوية » في غاية من الراحة  
والسلامة. فقد اقتبَلتني بهدوء وسكون، وبادلتني حبًّا بحب  
وودادا بوداد. ولقد مكثتُ في سمانها الصافية المتألِّقة،  
ونسيمها الرُّطب المُنعش، وظلالها الوارفة الظليلة حتى حان  
اليوم الثالث والعشرون من هذا الشهر فتعكَّر الجوُّ، وتنفَّستُ  
جهنم من مقرِّها، وهبَّت ريح الجنوب التي تحمل معها السِّنة  
اللَّهيب وقناطير الحصى والرمال. فذهبتُ إلى « السائبة »  
فما أغنتني ظلالها ونخيلها، وما وقَّنتني من هذا اللَّهيب وهذه  
العواصف. ففقلتُ راجعا إلى القرية أُلتمس الراحة وبرِّدِ  
المكان. فكانت رسالتك التي وجدتها، والتي كانت سجلَّ  
نجوى وشكوى، وصفحةً من إخلاص.

مذكرتي (مخطوطة) : 10 - 12

3 - غنوش، يوم الاثنين 29 جويلية 1940 :

هذا أوَّل أيامنا بالمصطاف. وإنَّ طالَعَ السُّرور ليرنو إلينا  
من شُرَفات الطبيعة، وإنَّ جمال المصطاف ليبعث فينا روح  
الغبطة والحُبور. وكيف لا يكون جميلا وهو مصطاف لم



تدخله يدٌ غير يد الطبيعة، ولم تصوّره ريشة عدا ريشة  
المصوّر السامي المتعالي؟! وكيف لا يكون جميلا وهو  
البعيد عن شره الإنسان المفكّر؟!!

قلت (1) : المفكر لأن بسطاء هذا الشاطئ ينظرون  
إليه بعين الإكبار دون إصلاح ودون إفساد ؛ فتراهم رغم  
سذاجتهم لهم به خبرة ودراية ؛ وأنى يفيد التفكير دون خبرة  
أو دراية؟!!

وقلت : إنه جميل لأنه بعيد عن مفاتن العباد ومكائد البشر.

كلُّ ما فيه حسن جميل، يبدو الصّفاء فيه بأدنى تأمل.

ولو أتاه مفكرون لحوّلوا نعيمه إلى مادة بعد أن كان  
معنى ؛ ولجعلوا أيامه لتضييع الزمن، وللعبت واللغو ممّا  
تصبو إليه نفوس البشرية فيهوي بها إلى الحضيض.

فكلُّ ما فيه بسيط، وكل ما فيه ساذج ؛ ولكن كلُّ ما فيه  
يبعث الشعور، ويوحى الفكرة ؛ ولكن كل ما فيه صفيّ ونقي.

وما بعد الصفاة والنقاوة ؟ وما بعد الإيحاء والشعور؟  
وهل خُلق الإنسان إلا من شعور ؟

وهل يحيا البشرُ الحياة السعيدة، إن جفا روحياتِ  
الحياة؟!!

أما نفسي في هذا اليوم فقد تزاومت عليها المعاني والفكر ؛  
ولكنها تزاومت وهي في جلباب أسودّ سابغ، فما ميّزت منها  
شيئا، وما رأت منها إلا أطيافا وخيالات.

(1) في الأصل : وقلت.. ولعل حذف الواو أولى.

وسبب هذا هيجانٌ دماغي هيجانا كبيرا، واعتكار المزاج  
اعتكارا شديدا (1).

وهكذا، أيها السُّقْم ! كثيرا ما تعوقني عن شغلي، وتصدُّني  
عن مرادي. وحبِّذا لو كانت نفسي تكتب من غير دماغ ! وحبِّذا  
لو كنتَ تجابهني، وأنت مجسَّم ؛ إذا لرأيتَ منِّي ما لا أبعده  
إليك الآن، لأنِّي غنيٌّ عن إبداء ما لا أملك تنفيذه. إذا لرأيتني  
أكتب ما تمليه نفسي، وأنت تتحرَّق كَمَا. لكن ما الحيلة والنفس  
ويحاوِّها، والدماغ وسقمه، مختلطون ! وأيُّ مزيج من الفكر  
يبدو من هذا الخليط ؟! وأيُّ ضمير يقبل هذا ؟ !

لقد تغلَّبتَ أيها الألم ! ولكن متى تتعاصى عليّ، ويزداد  
هولُك فلا يمنعني < ذلك > من تسجيل جرائمك وأفعالك.  
وإنك لكثيرا ما تمنع مفكرين عن روح التفكير، وحكماء عن  
سراج الحكمة، وشعراء عن وحي الشعور، فتضيع خزانة  
من الجواهر واللآلئ مما يحتاجه البشر غاية الاحتياج،  
يوضِّحون به مسالكهم، ويُمْتعون به عقولهم، ويُسعدون به  
نفوسهم.

فهلَّا ترعوي عن غَيْك، أيُّها الألمُ الركيك !

حبِّذا ! حبِّذا لو ينفع التوبيخ في أمثالك !

خطرات إلهام بمصطاف غنوش

(مخطوط) ص 3-5

---

(1) كان الشيخ العروسي أيام شبابه، حسب ما نتذكر منذ أيام الطفولة، كثير  
المدَاواة لمرضين اثنين هما : صداع الرأس والعينين. وفي أيام الكهولة وما  
بعدها كان كثير التعرض للسعال والزكام والحمى.

#### 4 - غنوش، يوم الأربعاء 7 أوت 1940 :

أي قيمة للشعوب الفاقدة وسائل التفكير، ومناهج العقل القويمة؟ دأبها متابعة العادة ومحاذاة التقاليد، بل الانغماس فيها انغماسا كلياً.

وأية قيمة للشعوب التي اندست فيها الدسائس، ووقعت فيها الخزعات والأضاليل؟ فترى أفرادها ساهين لاهين، بل تراهم حاسبين أنفسهم في منعة من طوارئ الخارج وبدع الدخيل.

وأية قيمة للأمة التي فقدت منهجها الأسمى، واتخذت مبادئ خلقها الهوى الخبيث، وبعثتها الحيلة والمكر؛ فحلت محل المنهج القويم، وصار لها في القلوب مكان من التبجيل والتعظيم، بل والتفاني من أجلها والتضحية في سبيل نشرها.

هم يحسبون أنفسهم يحسنون صنعا، وهم في الضلالة يعمهون، وقد صور لهم الجمود لذة المتعة بما يصنعون، وحرّم عليهم التدبّر في ما يقلّدون؛ بل حرّم عليهم النظر ببصيرة العقل، وأوجب عليهم ما كان الآباء يقدّسون.

أي والله! وأية قيمة لشعب ملئ رأسه خرافات وأوهاما، وحشي فكره دسائس وأضاليل حتى حاد عن جادة الصواب، فصار يُشرك ويفرح بذلك الإشراك لأنه يحسبه إيمانا صحيحا، ونورا ملقى في فؤاده، وأية خسارة أكبر من تلك؟!

ما بال قوم يتخذون أصناما آلهة يعبدونها ويقدّسونها ويقرّبون إليها القرابين، وما تدري ما القرابين! ينذرون لها النذور، ولا تسمع ما يقولون! وينحرون لها، وإنها لا تشم رائحة طعم. قل بالله! وهل تشم عين تنبع من الأرض



رائحة الطعام، وتعرف لذة التقديس وإهداء الهدايا؟ وهل تُنذر لها (1) النذور؟ وهل تأكل الطعام حتى يُلْقوه (2) حولها، ويبقى عرضة للدُّوس بالأقدام؟ هل هناك إنسانية في وقوف الشخص خاشعا أمام عين ماء، فيطلب منها القبول والمعونة والرضى بهذا النذر الحقير، ويخاطبها: سيدتي! مولاتي! أيها العقل الحكيم! ما هذا الفعل الذميمة؟ أيها البشر! ما هذه العقائد والتقاليد؟

وذاك الذي يأتي إلى «سكومة» (3) ! ويطلبها (4) المغفرة والمعونة. يأتي إليها بالبخور والنذور. يلتفت إليها قلبه ويناجيها، ويخشع أمامها وهي عنه في شغل لا تدري من حياته أقل يسير.

وذاك الذي يمرُّ على نخلة، فيربط جريدة منها، وإلا فالويل كل الويل! وإنك لتمرُّ بها، فإذا سَعَفُها معقود فسَد به ذلك الجمال الطبيعي الأنيق.

(1) في الأصل: تنذر إليها.

(2) في الأصل: يلقونه.

(3) سكومة: اسم يطلقه العامة على ينابيع من الماء العذب الزلال بسيف شاطئ غنوش شمال مدينة قابس، يغطيها ماء البحر عند المدّ وينحسر عنها عند الجزر. وتسميتها بسكومة ربما يعود إلى أنها كانت منيباً لنبئة السكوم الذي عرفت به تلك المنطقة، وخاصة أرض العوينات القريبة منها التي اتخذ منها المعمر الفرنسي أيام الاستعمار ضيعةً لفلاحتها وترويجها في أوروبا. والاسم الأكثر تداولاً لدى المصطافين من أبناء المطوية هو عين الرمال أو عوينات الرمال. ولعذوبة مانها يرد منها البحارة والمصطافون ماء شربهم وطبخهم وغسيلهم. وما ذكره الكاتب من اعتقاد العامة فيها شاهدناه وعلّمناه بأنفسنا أوقات اصطيفنا بهذا الشاطئ أيام الطفولة والشباب.

(4) يطلبها: كذا في الأصل. وفي أساس البلاغة للزمخشري أيضاً: يطلب منها.

وأولئك ! رجال البرّ والبحر ومن تحت الأرض ! هم  
أناس خصوصيُّون لهم اقتدار على الإماتة والإحياء، ولهم  
استطاعة كبرى في بُرء المريض، وسقم السليم.

وألف صورة من تلك الصور الرمزية القاتلة !

وإنك لتراهم يُباركون عليها، ويُمسحون عليها وجوههم.  
وأَيُّ فضل ناله شخص كفضل ذلك الذي أخذ حفنة من تراب  
حَرَمٍ معبوده الباطل، ومسح بها على جميع بدنه ؟ ! وأيُّ  
شخص بعيد عن الشرور والمهالك كذلك الذي وضع في  
جيبه خِرْقَةً من تلابيب « أعلام » قديره المستطيع ؟ ! وأيَّة  
قوة تقدر على إساءة حامل الخيط المقدس، خيط وضعه  
القدير المستطيع في عنق الحامل ؟ !

وألف عقيدة من تلك العقائد الحوالمك السود ! ... !

وحذار أن تنالها بسوء، أو تعيب على معتقديها ! فإنك  
تكفر وتلجّد، وليست بمؤمن كامل. فلتجعل واسطة بينك وبين  
ربنا الكبير ! ومتى توصلت إلى ذلك المنصب الرفيع، وهو  
بعيد عنا، ونحن في زمن لا يصلح لذلك ! ؟

\*\*\*

قل أيها المنطق السليم ! بماذا تحكّم على شعب هذا سواد  
أمّته ؟ هل ترجو له خيرا في الحياة ؟ ! كيف يرجي له الخير،  
وهو لا ينزل من السماء، وإنما تخلقه اليد؛ وهم قوم يعرفون  
أن الخير ينزل من السماء وليس لليد « عليه » قدرة ؟

فامكثوا حتى يأتيكم الخير من السماء، أيها البشر الجامد !  
امكثوا فإنّ ساعته قريبة.



وما ساعتهُ إلا يومَ يعمُّ الفناءُ والمصيبةُ ،  
يوم أن تضمحلُّ هاته الأجسادُ المريضة لأنها لا ترى في  
الدواء شيئاً ؛

وهاته الأفكار الجامدة لأنها لا ترى تحريكا جاريا لدى  
الأولين.

ويومئذ ... !... !

ويومئذ يسود من يحرك فكره؛

ويومئذ يرث الأرض العبادُ الصالحون لابتزاز خيراتها،  
وتسهيل عيشها بإخصابها وتعميرها.

خطرات إلهام بمصطاف غنوش

ص 26 - 28

#### 5 - غنوش، الخميس، 8 أوت 1940 :

أيها المصطاف ! في مثل هذا اليوم من العام السالف  
ضربني الدهر بضربة هي من أشد ضرباته، وسلبني  
نعمةً روحيةً هي أسمى ما في هذا الوجود من الروحيات،  
وألقاني في أتون من آلام وأوصاب، في أتون من حزن  
والم شديدين.

فقد ارتميتُ ما بين أمواج الهموم والآلام، وعبثتُ بي  
تلكُم الأمواج ما شاء لها العبث. وأنا ما بينها كعمتوه ليس  
يدري من دنياه سوى أشباحها، ولا يعرف من قيمة وجوده  
سوى أنه حجرٌ ملقى في مفازة الوجود. الخيرُ كل الخير  
في إعدامه.

ولقد كانت ضربتُك شديدة عليّ، أيها الدهر الغدور! لأنها هي الأولى من نوعها، بل لأنها هي من أكبر الضربات التي لا تُعوّض، ولا يُتسلى عنها. وكيف يتسلى الإنسان عن لذة روحية بها يستقيم نظام الوجود وتعمُر الطبيعة؟ كيف وهي نعمة الأبوة السامية، الأبوة التي هي المثل الأعلى للعواطف الوجدانية؟!

لقد تُعاودني الذكرى حيناً بعد حين، بيّد أنها في هذا اليوم عاودتني وليست كما كانت تُعاودني. وما ذاك إلا لأنها في هذا اليوم به تمّت حلقة من حلقات الزمان اصطَلح عليها البشر وسَمّاها عاماً. وما هي إلا دورة الأرض حول الشمس، وما هي إلا مدة قصيرة في نظر الدهر والخلود. ولكنّ الإنسان يراها أياماً وليالي، يراها شهوراً كثيرة وفصولاً طويلة سيّما إن كان عامٍ محنٍ، وحِقبة التّياح وشكوى.

لقد مرّ هذا القدر من الزمن، والذكرى تتماوج ما بين أضلاعي وأفكاري. وإنها لتُمثّل أدواراً رائعة جميلة، ومواقف سامية عظيمة، وخطوباً عاتية جسيمة.

وفي هذا اليوم أحاط بي حجاب من تلكم الحُجب المظلمة القائمة، وجعل مفعوله الكبير في نفسي. فرأيتهَا تتلوّى من الألم، وتتضجّر من وصف الذكرى ومفعول الدهور.

وما نسيت، ولن أنسى في « شريط » مواقفي تلكم القُبلّة الممتازة الفريدة. قبلّة هي الأخيرة من نوعها في مسرح تلك الحياة. قبلّة فيها برودة الموت، وحرارة الحياة. فيها سكون الموت واضطراب الحياة. فيها رضى الأبوة وحنين البنوة الباردة. ولست أدري أيّ شيء انتابني في تلك الساعة الرهيبة، وكيف شملني ذلك الهدوء اللطيف؟!

وإني لأشكر المصطاف والطبيعة على هذا التشارك في الألم والاضطراب خصوصاً (1) هذا اليوم. وهكذا فالطبيعة لها من العواطف ما يخفف من لوعة الألم.

إن اضطراب الموج واعتكار السماء هذا الاعتكار، وزئير البحر هذا الزئير لمّا يسليني عن حزني العميق وشجواي المؤلمة. فشكراً لك، أيها المصطاف الجميل ! فقد شجعتني على السرور يوم أن كنت مسروراً، وشجعتني على الحزن يوم أن كنت حزينا. فلهذا التشارك السامي اللطيف ! وإنّ أمنا الرّؤوم «الطبيعة» لتحنّ علينا حنين الأمهات، وتبشّ أمامنا بشاشة الزهرة أمام أسلكة النور.

هيه، أيتها الذكرى ! لييتني كنت أعظم منك وأقوى ! إذا مررت بك مرّ العظام، بل لقد مررت بك هذا المرور، ولست أدري أمصدر ذلك هو .... (2).

فلقد صادفت النّجوى حديثاً تلکم الجلسات التي جلستها مع بشر كثير. وما منها إلا ولها صلة حديث بك، أيتها الذكرى ! فيسري الكلام إليك، وما جرّه إلا إلهام القريحة، واستعراض المخيلة لصورة لها في قريرتها (3) محل ممتاز، ومقام خطير.

خطرات إلهام بمصطاف غنوش ص 28 - 31

(1) خصوص : منصوب على الظرفية بمعنى في خصوص، مثل قولنا مساء هذا اليوم : أي في مساء هذا اليوم.

(2) كذا في الأصل نقط وبياض.

(3) قريرتها : كذا وردت، ولعلها قريرة : تصغير قرارة. وهي : المكان المنخفض الذي يستقر فيه الماء (المعجم). والمقصود في النص من قوله قريرة المخيلة : أعمق أعماقها.



## 6 - غنوش، يوم الاثنين 12 أوت 1940 :

لقد ساد (1) على أفكارنا اليوم فكرة الدُخول إلى البحر فوق زورق من زوارق الصيد. ولقد عزمنا على ذلك، وكنا نودّه بشراع حتى نغيب عن أنظار اليابسة. ولكننا اكتفينا بالمجازيب عن الشراع. وما كان اكتفاؤنا ناشئا عن اختيار، بل عن عدم وجود. وهذا مما دفعنا أيضا إلى الاكتفاء بالدخول في البحر دون الابتعاد عن الأرض كثيرا، لأن ذلك يُحمّل النوتيّة عملا جسيما.

وكان معنا من النوتية أربعة شبان أقوياء يضربون المجاذيف بنظام واقتدار؛ فترى الفلك يمزق ما اعترضه من كثيف المياه دون مبالاة واكتراث. وإنه لمنظر عجيب، وطرب كبير، لما يرتفع الفلك أو ينزل بين الأمواج. فتحسب نفسك فوق سرير عليه فراش وثير ونمارق مصفوفة، أو تحسب نفسك طفلا يلعب على أرجوحة ما بين الأشجار، وقد تدلت الأغصان عن اليمين وعن الشمال؛ وغرد بلبل الروضة، وماست الأزهار، وضحكت ضحكاتِها الحلوة؛ فتضوّع من أفواهاها أريجها الفوّاح.

كل ذلك تهجسُ به النفس والإنسان فوق الزورق البديع. وقد تمرُّ بك صور مزعجة مهولة بين الحين والحين، وتذكر ذلك الحين الذي يُرغي (2) فيه البحر ويُزبد، ويهيج ويضطرب. وإذا الفلك ألعوبة الأمواج، وإذا العباد طعام الحوت. وليس يرحم البحرُ إن هاج، ولا تلتطف الأمواج إن

(1) كذا في الأصل : ساد، ولعلها سادت.

(2) وفيه : يرغي، تصحيف.

نارت، ولا تسكن الريح متى قامت. فكلُّ جبارٍ عنيدٍ، وكلُّ  
جِيَّاشٍ هَلَّاكٍ. والإنسان ما بين تلك ذرَّة تلعب بها أنواعُ  
المخاوف والشرور.

أما نحن فقد كُنَّا في مَأْمَنٍ من تلك المخاوف والشرور.  
وكيف نخاف، ونحن على مقربة من الشاطئ، والبحر ساكن  
هادئ سوى تلك الأمواج اللطيفة التي تلعب مع أفلك  
وتلاطفه، والريح ناعسة سوى تلك الهمسات الخفيفة التي  
تنير للنفس (1) مسالك المسرَّة، والسماء صافية الأديم ليس فيها  
من الغيوم ما يشوب رَوْنَقَهَا الساحر، والبحر تمثَّلت فيه زُرْقَةُ  
السماء فمأوّه صافٍ عجيب؟ ! وإنك لتنظر إلى قاع البحر  
فتراه كأنه تحنُّك مباشرة بتحقيق كل ما فيه من نبات وأغوار.  
وسار بنا الفلك شوطاً بعيداً وكلّ منا مشغوف بمنظر رآه  
فأبداه لغيره : فذاك بهره الأفق البعيد، وذاك أعجبه هدوء  
البحر وصفأوه، وغيرهما استحسن النظر إلى قاع البحر  
وحركة المجاذيف.

ولكن كلمة نوتِيّ بعثت فينا النشاط والابتهاج. فقد قال :  
إن ما ترونه هناك هو آثار مدينة عتيقة لا يُعرف تاريخها. قد  
هلك أهلها وطما عليها الموج. ولا أصف فعل هاته الكلمات  
فيها. فقد اتَّجهت أنظارنا كلها إليها. ومن منَّا إلا ويأمر النوتية  
بالتعريح عليها.

ولما وصلنا المكان كفَّ النوتية من فعلهم. وانحنينا كلُّنا  
ننظر إلى تلك الرسوم البالية والأسس المهْدَمة. وإنها، وإن

(1) في الأصل : إلى النفس.



كانت في نظر النوتية البسطاء لا تفيد، فهي تتبئنا عن مدينة  
كانت منذ القدم لها مجدها وصفحتها في تاريخ الحياة ؛ ولكن  
من يفتش عن تلك الآثار ويستجلي غوامضها. إن بني وطني  
أضاعوا معالم مجدنا التي فوق الأرض؛ فما بالك بما تحت  
أمواج المياه !

إيه أيتها المدينة البالية ! لقد كنتِ عروسا على شاطئ  
البحر ومسرحة للحياة الرغيدة الناعمة، ومصطافا جميلا  
يقصده العباد من كل الرُبوع. كم حويتِ من نفوس وأفكار!  
وكم رأيت من مشاهد ومناظر ! وكم كان فيك من محبِّ  
للخير ومحبِّ للفساد !

أيتها المدينة ! إن حياتك، وسائر المدن، كحياة البشر؛ فما  
هي < إلا > (1) عيشة راضية وحياة رغيدة، فإذا هي موت  
طويل، ورُقاد أبدي، ونسيان.

خطرات إلهام بمصطاف غنوش

ص 38 - 39

## 7 - المطوية 16 أوت 1940 [ / 12 رجب 1359 ] :

لقد طال الفتور، واكتفى الخيال بمناجاة الروح عن تسطير  
الكلمات. واشتاقت الأحداق إلى الرؤية، ولكنها شيء عسير.  
وإن القدر ليرسل صواعقه دِراكًا عليّ، وعلى صحبي. وإنه  
ليحاربنا فيطيل الحروب. وإنه ليغضب علينا فيطيل الغضب.  
بيد أن هذا كله لوحة من لوحات المسرح الكبير ننظر إليها

(1) إضافة « إلا » بين زاويتين لاحتمال أن تكون قد سقطت عند النسخ.

بعين الغضب أو الرضى. وذلك شيء تظهر فيه قيم النفوس ومدارك الشعور نحو ناموس الكون الأزلي.

فأيما غضب الدهر وأرعد، وأيما أرغى بحرُه وأزبد ! فإن نفوس الجبابرة لتقف موقف البطل الغلاب ترنو إلى لعبات (1) الدهر بسداجة الطفولة وحنكة الشيخوخة؛ فما هي إلا سحابة صيف لا تدوم، وما خسرت الأنفس سعت إلى حتفها بظلفها، وما عرفت كيف تسير.

إن أوصاب الألم لمحيطه بي، فلم تترك لي المجال للراحة ولو قليلا، وصدتني عن أجدى أعمالى في هذه الحياة؛ ولولا نعاس خفيف انتاب هذا الوصب ما كتبت إليك هذه الكلمات المبعثرة فوق أوراق الكتاب.

لقد أحسن القدر بهذه المشاركة الكبرى ما بين القلوب في الأوصاب والأتعاب. ولقد أحسن صنعا في ذلك. (حمدة - علي - صالح - العروسي - الأزهر)، كل أولئك سقاهم الدهر كأسا من كؤوسه توحد شكلها، وتنوعت كمياتها وأوانها.

لا تشك - أيها الخل! - من غموض اللفظ وعسر العبارة، لأنني أكتب وأنا في غموض وعسر، ولأنني أعيش في غموض وعسر الحياة، وما قدرت على استجلاء خفايا ذلك كما ينبغي!

أه! أيها الألم الملازم الركيك! كم من فرصة ذهبت سدى؟! وكم من معنى طار مع نسيمات الرياح، وما

---

(1) لعبات : جمع لعبة على وزن جمع المؤنث السالم، ومعجميا هوجمع التكسير للفظه لعب.

قدرتُ على ضبطه ؟ لأنك شيطان تمنع العبدَ الصالح من  
قربه نحوى (1).

ولكن، أتقِدِر على أن تصدِّني عن تسطير جرائمك وتسجيل  
مقترفاتك، أيها الوصَب الفاتك ؟ !

لتعلم أنك أكبر أعدائي في الحياة، إن كان لي في الحياة  
أعداء.

مذكرتي (مخطوطة) : 22 - 23.

8 - بني خيار 3 أكتوبر 1940 / 1 رمضان 1359 :

ما ذاك الشبْح اللطيف الظريف ؟ !

إنه خفيف كخفَّة الروح، وإنه ليعلوه نورٌ روحانيٌّ عجيب.  
لِمَ كلفتُ به أشدَّ الكلف ؟ صرتُ أتعشقه. أبغي التحدُّثَ  
إليه ومناجاته طوال الأحيان والأزمان.

عجبا، ماله أمسك بزمامي ودميّرني رهن أمره وحُكمه !  
أحبُّك أيها الشبْح السامي ! تعال أقبُل قدميك أو طرفَ  
جناحك. تعال أستنشق منك عَبَقًا (2) لا يوجد في الزهور،  
وأريجا لا يصوغه المسك.

أواه ! أيها الشبْح ! ما أجملك وأسناك !

(1) في الأصل : نحوى، تصحيف .

(2) في الأصل : عبيقا، ولعلها عبقا : اسم أو مصدر من عبِق يعبِق عبقا  
وعباقة، فهو عبِق .

ها إن قلبي يكاد ينفلت من مكانه عَدُوًّا إِلَيْكَ لِيضُمَّكَ بَيْنَ  
طَيَّاتِهِ.

ها هي يداي (1) تُفْتَحَان لَتلمس منك كل خير وسعادة ؛ ولكنك  
بعيدٌ عَنِّي، أراك ولا ألمسك ؛ وأعدو وراءك، ولا ألحُك.

أيها الشبح الملازم ! أيها السراج المنير على القلوب بمصباحك  
الأبدي ! ما لك لازمتني فلا تبرحني ! أَعْجَبَكَ خيالي فسكنته، أم  
سُرَّكَ قلبي فبنيت فيه قصورك بين طَيَّاتِهِ التي تسع ما في الكون،  
وإن كان (2) من أصغر الأشياء وأضيق المحسوسات ؟

أجِبنِي أيها الشبْحُ ! ما أنت، ومن أنت أيها الشبْحُ !

أنت القَبَسُ الإلهيُّ المودَعُ في سرائر النفوس الكريمة ؟  
أم أنت عواطف الأحبة الخُلصِ صعدتْ إلى الفضاء،  
وانبرت لآعبةً بين أمواج الفضاء أمام عيون المخلصين ؟  
أم أنت الصداقة في أجمل مظاهرها لبست العقيق،  
وتمنطقت بالقرنفل والياسمين، وحفَّت حولها البلابلُ  
المغرّدة ؟

أم أنت أشعة الروح السامية المنعكسة على مرآة القلب  
الريّض السليم ؟

أجِبنِي أيها الشبْحُ فما أنا محتار !

\*\*\*

(1) كذا في الأصل، ولعل الأصوب فيها : ها يداي .

(2) في الأصل : وإن كان هي .



أخي !

هل تقرأ هذه المناجاة، وقلبك مُفعم مثل قلبي بذلك النور  
السرمدى الأزلي ؟

نعم، أيها الصديق ! إنني أرجو منك ذلك. وإنك ستقرأ  
هذا، وقلبك مفعم مثل قلبي، وضميرك طاهر مثل ضميري،  
ونفسك ريضة مثل نفسي.

سوف تنظر إلى محراب قلبك، وتتقدم إليه خاشعاً مُنيباً،  
وتصلي ركعتين هناك بالمقدس الأسمى.

وستظهر أمامك الحقيقة بعد ذلك، ويظهر لك ذلك الشبح  
النوراني اللطيف؛ فتسعد به غاية السعادة، وتفرح به أشدَّ  
الفرح. ومن يقول إنك لم تصل ولم تركع ولم تر ؟

ولكن، لتدخل ثانية بعد قراءتك هاته الأسطر! ولتنظر من  
جديد إلى ذلك الشبح ! فستراه أروع من ذي قبل وأجمل.

أخي ! رأيت ما يبعث به الخيال وما يصوره، وما يسطره  
القلم ويبرزه من عالم الخفاء إلى عالم الظهور.

هل صنع الخيال جميلاً بما بعث وصور، وما سطر القلم  
وأبرز ؟

ذلك يجيب عليه من يحرص على مناجاة الأرواح  
والنفوس، ومخاطبة الأخيلة والقلوب.

أخي ! دُم في عالمك القدسي الأسمى، واستمع إلى أناشيده  
من كل موجود في الحياة.

مذكرتي (مخطوطة) : 35 - 37

رسالة إلى مكي قريمية

عدد 20 رمضان 1364 « 29 أوت 1945 »

أخي مكي

لها الساعة، ولله من أجل ساعات الحياة، ولله  
 أحياناً، وكف لا تكون كذلك، والقرية نظم في  
 « وقد استلمت لروح الأحلام،  
 وأملها القليلة، فأنا في أوقات العجدة  
 وهو هذا المطوق الطويل، أن يكون دائماً  
 بقا سافراً لوجد عناه كثير، ولكن الله  
 جلت قدرته أي إلا أن يدخل حيث أريد  
 والراحة حتى إذا ما بعد عن الأولى وجد الثاني شاملة  
 وحية سعيدة، وهذا تحي أحلامه وأمل كل يوم، ولو لا  
 ذلك لا أفجر سخطاً من اليأس، غامضاً من الشقاء  
 ولست أفري لها انقلبت نفسي بتجاهلك، وقد لو شكك  
 أشعة الحجر « أن » يتنصر على إبراهيم (1) الذي هو سائر في

من أدب الرسائل

المكتبة الوطنية التونسية  
 BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

(1) في أصل الرسالة المشروطة لوري، وأنها تعرف إلهة لوري في يوم عصر  
 ربه القرن ثلثة، ورواية وبقا - كان زرقاً أو أميراً من يتنصر في سائر  
 (السيد) وقال عليه زرقاً : أنا أمير القبا عند عرب القيس، وكذلك هذا  
 شخصياً، وقد علمت السيد [سائر القوم] والنسب في القيس، أمير القيس  
 في سائر كتابه عن يد قوله ومطروحة القيس

أخي

هل تقرأ هذه المتاجرة، وقلبك مفعم مثل قلبي بذلك النور  
المرمدي الأزلي ؟

نعم، أيها الصديق ! أنتي أرحم منك ذلك، وأنتك مستقرأ  
هذه، وقلبك مفعم مثل قلبي، وضغيفك طاهر مثل ضميري،  
ونفسك راضية مثل نفسي.

سوف تنظر إلي محراب قلبك، وتتقدم إليه خاشعاً متنيباً،  
وتعطيني ركعتين هناك بالمشقن الأسمى.

وستطلبني أملك الحقيقة بعد ذلك، ويظهر لك ذلك الشبح  
النوراني في قلبك، وتعلم أني أرحم منك ذلك، وأنتك مستقرأ  
هذه، وقلبك مفعم مثل قلبي، وضغيفك طاهر مثل ضميري،  
ونفسك راضية مثل نفسي.

ولكن، لتدخل في هذا الأسطر، وتكلم من  
جهد إلى تلك الأوج، وأنتك مستقرأ  
هذه، وقلبك مفعم مثل قلبي، وضغيفك طاهر مثل ضميري،  
ونفسك راضية مثل نفسي.

أخي ! أراك ما كنت به الخيال، وما كنت به  
العلم، ويرز من علم الغناء إلى علم الطيور.

هل صنع الخيال حديثاً بما بعث وصوره، وما ينظر إليه  
والمرز من علم الغناء إلى علم الطيور.

ذلك يخبرنا عليه من بحر من غلى مناجاة الأرواح  
والنفوس، ومخاطبة الأجيال والقبول.

أخيراً، تروني عالمك النفس الأسمى، وأنتك مستقرأ  
هذه، وقلبك مفعم مثل قلبي، وضغيفك طاهر مثل ضميري،  
ونفسك راضية مثل نفسي.

مترني (مسطومة) : 35 - 37

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

رسالة إلى مكي قريسيعة :

فجر 20 رمضان 1364 « 29 أوت 1945 »

أخي مكي !

إنها لساعة، وأيمُ الله من أجلِّ ساعات الحياة، وأرهَبِ  
أحايين الوجود؛ وكيف لا تكون كذلك، والقرية تحلم في  
سكون هادىء مطمئن، < وقد > استسلمت لرؤى الأحلام،  
وانقادت لدواعي الكرى؛ فترى في جنباتها آفاقها البعيدة  
وآمالها القادمة. وماذا يكون موقف البشر لو حُرِمَ من النوم،  
وهو هذا المخلوق الضعيف. إنه لو قَدَّرَ له أن يكون دائماً  
يقظاً ساهراً لوجد عناء كبيراً ومصاعب جمَّة ؛ ولكنَّ الله  
جلَّت قدرته أبى إلا أن يجعل حياته بين فترات النَّصَبِ  
والراحة حتى إذا ما بُعِدَ عن الأولى وجد الثانية نعمة شاملة  
وحياة سعيدة. وهكذا تحيي أحلامه وأمانيه كلَّ يوم؛ ولولا  
ذلك لانفجر ساخطاً من اليأس، غاضباً من الشقاء.

ولست أدري لماذا اختارت نفسي مناجاتك، وقد أوشكت  
أشعة الفجر «أن» تنتصر على إيراد(1) البدر الذي هو سائر في

---

(1) في أصل الرسالة المخطوطة : اراد. ولعلها تحريف إرادة، أو هي إيراد مصدر  
وَرَدَ الفرسُ يُوْرِدُ وُرُوْدَةً وإيرادا : كان وَرَدًا أي أحمر اللون يضرب إلى صفرة  
(المنجد). ويقال عشيةٌ وَرْدَةٌ : إذا احمرَّ أفقها عند غروب الشمس، وكذلك عند  
طلوعها، وذلك علامة الجذب (لسان العرب). والمعنى في النص : احمرار البدر  
في صفرة كناية عن بدء أفوله وطلوع الفجر.



الاحتجاب حتى يصل المحاق، وأنداك يفرحُ الناس ويعيّدون.  
أما أنا فما أرى نفسي إلا أنها اصطفت لك هاته الساعة حتى  
تكونَ مليئةً بالعطف نحوك، مرحةً بهذا الرُخاء العليل والسكون  
الشامل. ولولا نُبْحُ الكلاب أحياناً وصياح الديكة وقعقة العربات  
حسبتُ نفسي أنك الآن أمامي تغط في نومك الهادئ في بلدك  
العزیز عليك (بنقردان)، مسقط الرأس ومربض العشيرة.

أخي مكي !

لقد طال بنا السكوت. وما أطاله بنا إلا تلك الأمانى التي  
تلعب بالأفكار لعب القنبلة الذرية بأقطاب السياسة. وما منعنا  
من المكاتبة إلا ذلك الفجر الكاذب الذي يُرينا بصيصاً من  
نوره، ثم ينطفي مسرعاً كأنه يخشى على نفسه الافتضاح.

ولكن رغم ذلك فأنا أعطف على ذنبك العاملين للذين جلبا  
لنا هذا السكوت الطويل، لأنهما يُمثلان تلك القوة الكامنة في  
النفوس. فمهما (1) صارعتها الأحداث إلا وهي ثابتة ثبات  
الجبال، راسخة رسوخ اليُهم (2)؛ فشكراً للأعيب تلك الأمانى  
والأحلام؛ فإنها تذكرني دائماً بثبات المودّة ومتانة الاتصال  
مهما بلغ تناسينا لا نسياننا، ومهما طال تغافلنا لا غفلتنا.

وهكذا أستطيع بكل صراحة أن أشكر تلك الأمانى

---

(1) في الأصل : مهما.

(2) في الأصل المخطوط كلمة هي أقرب ما تكون خطأ إلى اليُهم جمع أيهم ومونته  
يهماء، أو إلى المفرد الأيهم؛ وفضلنا الجمع اليُهم لتناظرها مع جمع الجبال. والأنيهم :  
الشامخ من الجبال (المنجد). وانظرها في فقه اللغة للثعالبي في الفصل الثاني من  
الباب السادس والعشرين : في الأرضين والرمال والجبال والأماكن... إلخ، ص 295.

والأحلام التي ما تخذع إلا نفسها، وهي في ذلك الخداع  
تزيدني يقينا وتثبيتنا لما ذكرته لك سابقا.

أما أنت فلست أدري أموافقي على هذا الرأي، أم أنك  
تراها فلسفة نظرية هي بعيدة كل البعد عن أفكار الذين جابوا  
معترك الحياة وعرفوا قيمة النظريات أمام الواقع المحسوس،  
فتهزأ من هاته الأفكار الصبانية التي ما زالت تعيش في  
عالم النظريات والأقوال، وتحسب أن السعادة الحقّة هي في  
فهم مسألة من مسائل الأدب أو العلم، أو حلّ عويصة من  
عويصات الكتب والدواوين؟ مساكين نحن الطلبة ! ما أشد  
تعلّقنا بأفكار الخيال ! وما أكثر تصوّرنا للأحلام والأوهام !  
ولكن يا أخي ! ما أفعلُ وها أنذا أشعر بهواجس نفسيّة  
تندرنى بالويل والثبور حيث < إن > أيام الدراسة أوشكت  
على النهاية، وسأصبح على الرغم < مني > خارجا عن  
ذلك العالم السحري الخلاب، عالم التلمذة والذاكرة...

أواه يا أخي ! لعلي أفسد عليك بعضا من وقتك حيث  
أذكرك بحياة كنت تهواها وتعشّقها، وحيث أعيد لمخيلتك تلك  
الأيام التي مرّت وكأنها الأحلام الأولى التي مرّت علينا في  
أيام الطفولة البريئة ..

ولكن معذرة ! هكذا أرادت النفس أن تسوق إليك حديثها  
الخالص، وأن تُناجيك بصفحة بيضاء لا دخل للحدود والقيود  
فيها لتكون هاته الرسالة خير مرآة تنعكس عليها صور  
النفس التي تحبّك محبة إخلاص، وتتودّد إليك تودّد اشتياق.

ولك السلام ممّن يرجو لقاءك.

الإمضاء : العروسي.

## تنوير :

هذه الرسالة كتبت فجرًا بتاريخ 20 رمضان 1364 / 29 أوت 1945، لأن الشيخ العروسي كما شهدناه بأنفسنا وقت العطل المدرسية كان يقضي الليل كله يطالع ويكتب حتى الفجر. وفيها نرى الشيخ العروسي يستعيد ذكرياته مع المرسل إليه أيام الطلب، ويتحسر لأخيه مكي على أيام الدراسة التي انقطع عنها بعد تخرجه بشهادة التحصيل سنة 1943. أما الشيخ العروسي فسيواصل، بعد حصوله على هذه الشهادة في نفس السنة، دراسته إلى أن يتخرج سنة 1946 بشهادة العالمية في الآداب.

والأخ مكي المخاطب في الرسالة هو مكي بن مسعود قريسيعة، أصيل بن قردان من ولاية مدنين حيث ولد في 6 مارس 1921<sup>(1)</sup>. وهو وطني مناضل. انخرط في الحزب الحر الدستوري التونسي منذ سنة 1947 أو 1948، وانضم إلى صفوف المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، وهو ما عرّضه للاعتقال في السجن العسكري من 28 جويلية 1952 إلى 28 أفريل 1953؛ كما تولى مسؤوليات حزبية، ونيابة الاتحاد الجهوي للصناعة والتجارة، وكتابة نقابة التجارة، ومعتمدية توزر، ورئاسة بلدية بنقردان.. الخ. ثم أصبح عضواً في مجلس النواب لمدة أربع دورات حيث التقى، ولا شك، صديق الأمس

---

(1) تاريخ الولادة 6 مارس 1921 هو التاريخ الذي ورد في ترجمة المرحوم مكي قريسيعة في وثائق مجلس النواب. أما جريدة الحرية فنذكرت في نعيه تاريخ ولادته يوم 21 مارس 1921 (انظر الحرية عدد 23 جوان 2006، ص 3)، ونحن نميل إلى التاريخ الأول لأنه التاريخ الذي دونه بنفسه، وأن ما جر إلى رواية جريدة الحرية، في ما نحسب، ربما يكون تاريخ وفاته يوم 21 مارس.



الشيخ محمد العروسي؛ كما كان يلتقيه في نادي الكتاب التونسيين ونادي القصة، إذ كانت له اهتمامات ثقافية وأدبية. واختير منذ سنة 1981 عضواً في المجلس الاستشاري للمقاومين والمناضلين إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم 21 جوان 2006 بموطنه بن قردان.

- 2 -

### رسالة إلى صديق :

تونس 23 - 5 - 1950

لَكَمْ كُنْتُ أَوْدُّ أَنْ يَكُونَ مَوْعِدَ الرِّسَالَةِ قَبْلَ هَذَا الْمَوْعِدِ؛ وَلَكِنِ اللَّحْظَةَ الَّتِي كُنْتُ أَوْدُّ مَكَاتِبَتِكَ فِيهَا اسْتَعَصْتُ عَلَيَّ، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْكَ. بَيِّدْ أُنِّي أَحْمَدُ ذَلِكَ الْإِبْطَاءَ لِأَنَّهُ يَجْعَلُكَ تَتَوَجَّهَ إِلَيَّ بِنَوْعٍ مِنَ الْعِتَابِ وَالْمَلَامِ. وَذَلِكَ شَيْءٌ أُرِيدُهُ مِنْكَ؛ فَالْعِتَابُ الْجَمِيلُ هُوَ خَيْرُ عُنْوَانٍ عَلَيَّ سَمَوُ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَمَا سَمَوُهَا إِلَّا إِثْبَاتٌ نَقَصَهَا إِثْبَاتًا مَصْحُوبًا (1) بِمَحَاوِلَةِ التَّقْوِيمِ وَالتَّوْجِيهِ نَحْوَ الْكَمَالِ الْمُنْشُودِ لِبَنِي الْإِنْسَانِ. وَلِذَلِكَ كَانَ النِّقْدَ أَمْرًا ضَرُورِيًّا لِلْوَصُولِ إِلَى الْحَسَنِ وَالْأَحْسَنِ، وَهُوَ الْمَقْرَّبُ الْوَحِيدُ إِلَى الْمَثَلِ الْعَلِيِّ فِي سَائِرِ مَوَاقِفِ الْحَيَاةِ.

ولذلك أيضا كانت مهمة الناقد أشقَّ من مهمة المبدع؛ لأن المبدع إذا كان يُسائر عاطفته وإلهامه، فإن الناقد ينبغي أن يكون حذرا غاية الحذر، حتى لا تطغى عليه العاطفة، ولا يُحوّل الإلهام والشعور دون العقل والمنطق.

---

(1) في الأصل : محصوبا .



وممّا يشجّعني على هذا الحديث، وممّا يجعلني أنتهز هذه  
الفرصة لأتحدّث عن النقد، هو ما أتوسّمه فيك، وأرجوه  
لك (1) لكي تصبح ناقدا نزيها، ومُحصّصا نبيها.

وكم نحن في حاجة إلى هذا الصنف من الناس الذي  
يجعل منصبه فوق المناصب لا ترفعا وتكبّرا، وإنما  
ليتمكّن من المراقبة غاية التمكّن، وليبتعد عن المؤثرات  
والعوامل.

ومن أشدّ عيوب النقد الكراهية والحقد، والإفراط في  
المحبّة والعداوة، والنظر إلى شخص المنقود واعتباره  
الماديّ. وكذلك الغفلة عن العوامل المتفاعلة في تكوينه  
العقلي والأدبي والإنشائي، وكذلك تكوينه النفسي والخلقي.

أما بعد :

فقد قال الناس : شيء خير من لا شيء. وهذا ما دفع بي  
إلى المكاتبة وأنا على أبواب رحلة قصيرة إلى نواحي سوق  
الأربعاء. وكان هذا الدفع على خلاف ما أرجوه ؛ فإنني  
أودُّ أن تلزمني نفسي على المراسلة والمكاتبة. أما اليوم  
فقد ألزمتها. وكان معصارُ هذه السفرة القصيرة هو الذي  
له الفضل في الإسراع بمراسلة ابن الفضل. ﴿ وعسى أن  
تكرهوا شيئا وهو خير لكم ﴾ (2).

لقد صدقت الحكمة الإلهية، فكم من عذابٍ يتحمّله الإنسان

(1) في الأصل : ما أتوسمه فيه، وأرجوه إليك. وإليك كتبت بعد محو كلمة لك،  
وهي الأولى.

(2) الآية 216 من سورة البقرة 2.

ليتحصل على هناء وسرور؟! وكم من دواء يتجرعه،  
ومشاق يتحملها ليُزيل عنه الألم والوصب؟!!

ألم يقل صريع الكأس أبو نواس : « وداوني بالتي كانت  
هي الداء » (1). وهذا المعنى هو الذي جعل الإنسانية تُقدم  
على التضحية - وما التضحية إلا الألم -، لتتال مقاصدها  
وأغراضها.

وهذا أخونا صالح ما كان دخوله المستشفى وخروجه  
منه سالما - والحمد لله - إلا من هذا القبيل. فله الحمد وله  
الفضل.

وُجّهت إلى عبد الحفيظ النجار.

محمد العروسي

### تنوير :

عثرنا على هذه الرسالة مكتوبة ظهر قصيدة شعرية نثرية  
بتاريخ 28 سبتمبر 1941 عنوانها : « رسالة إلي صديقي نسيم  
محمد ». ولسنا ندري لم كتبها على ظهرها لأنه كان على عجل،  
أو لسبب آخر؟

وأما سفره إلى سوق الأربعاء (جندوبة اليوم) فالظاهر أن  
سببه هو زيارة زميله في الدراسة وصديقه بعد ذلك أحمد الأزهر  
العبيدي بطل قصة «ومن الضحايا». ولعل عجلة سفره ولمدة

---

(1) عجز بيت للشاعر العباسي الحسن ابن هانئ المعروف بأبي نواس،  
وصدره : دع عنك لومي فإن اللوم إغراء. انظر ديوان أبي نواس، تح.  
أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي : 6.

قصيرة ما بلغه من خبر عن صحة هذا الصديق الذي كان يعاني مرض الربو، أو لأمر آخر.

وأما صالح فهو صالح الجمني أحد أصدقاء الشيخ العروسي في الزيتونة. وقد عرفناه في طفولتنا وشبابنا الأول إذ كان يزورنا معه باستمرار حيث كنا نسكن في دار جدي محمد الدعوسي عدد 8 بزقفة بن حمو نهج الخضرة ببياب الخضراء، وكذلك في منزلنا بالمطوية أثناء العطل المدرسية خاصة.

وأما عبد الحفيظ النجار، الذي كتب اسمه أسفل الرسالة والصفحة فهو أصيل مطماطة وصديق صالح الجمني أصيل مطماطة أيضا. كان من رجال التعليم، وسكن قابس حسب ما أفادنا به الأخ المرابي مبروك خشيريف أصيل وذرف القرية من المطوية، وتلميذ الشيخ العروسي وصديقه.

ومن الرسالة نلمس مدى صداقة الشيخ العروسي للمرسل إليه، ولعله كان له تلميذا وهو ما يُستشف من النصائح التي قدّمها له.

ومنها ندرك أيضا أن هذا الصديق كان يتعاطى النقد، لذلك لم يتوان الشيخ محمد العروسي، وهو الأديب الناقد، عن تشجيعه وتذكيره بشروط النقد ووظائفه ومدى حاجة الأدب التونسي إلى نقاد نزهاء.

ونلاحظ أخيرا أن ما شجعنا على نشر هذه الرسالة هو اشتغالها على آراء نقدية لم نستفد منها في كتابنا « الرؤية النقدية عند محمد العروسي المطوي » (1995)، لأنها كانت مجهولة لدينا وقتئذ.

ب - من رسائلهم إليه :

رسالة من البشير العربي :

حمدا لله وسلاما :

تونس في 13 ذي الحجة 1376 / 17 جويلية 1957

أخي محمد العروسي المطوي !

إليك تحياتي.

هذه رسالة أخرى أخطأها إليك لأُمطَّ بها رسالتي الأولى التي أنهيتها منذ أيام ولم أوجَّهها إليك في انتظار تكملة لها تتَّصل بزيارة الدكتور طه حسين إلى تونس وبمشهد لقاء الأخ أحمد الحمداني معه على ملا من الناس.

كان ذلك في أول فرصة يرى التونسيون فيها طه حسين في بلادهم. ولهذا الحدث وحده - كما تحس معي - وزنه في نظر المثقفين التونسيين. فليس كل يوم يزورهم علم من أعلام الثقافة العالمية، وأحرى الدكتور طه، عميد الأدب العربي في نظر أدياء العالم المعاصرين كلهم.

وكان ذلك عن مقربة من محراب جامع الزيتونة يوم ختم الدروس في (الجامعة الزيتونية) في ذلك الحفل الذي انتظم هذه المرة كما تعودنا أن ينتظم بدون أي فارق رغم أنه في هذه السنة لا يمثل إلا صنف التعليم العالي.

لقد فوجيء الحاضرون بمشاهدين في آن : أحدهما حضور الدكتور طه حسين بذاته، ولم يكونوا حتى هذه اللحظة قد توقَّعوا أن يحضر المجمع، وإن كانوا - أو بعضهم - قد سمعوا



بمجيئه إلى تونس في مهمة. وثانيهما ذلك المنظر التاريخي الذي دخل فيه طه حسين، « وقد » تَأَبَّطَ ذراعَه الأيمن رئيسُ الحكومة التونسية ببساطة فيها غاية ما يستطيع زعيمٌ ورئيسُ حكومةٍ شعبيٍّ أن يُسجِّلَه من مظاهر الرُّوعة والرَّعاية.

كان يتأبَّطُ ذراعَ الدكتور ويتقدَّم به - يساعده سكرتير طه من الجانب الأيسر - نحو صدر النادي. وينحني عليه بين حين وآخر ليصف له - فيما يبدو - ما تبصر عيناه، ليكون الضيف الجليل على بيئته من الجو...

واستقبلا في المكان المعهود من طرف عميد الجامعة ومن يحفُّ به من الشيوخ، ومن طرف بعض الوزراء والسفراء والضيوف أيضا، على خلاف العادة التي كانت تقتصر على أن يستقبل رئيس الحكومة شيخ الجامع وأهل المجلس الشرعي لا غير.

ولم تخالف العادة في هذا وحده، بل خولفت في كيفية الجلوس أيضا. فأنت خبيرٌ بأن التشريعات تقضي في مثل هذا الحفل وحفلات أختام الحديث في رمضان، بأن يجلس الداعي إلى الحفل في الوسط، وعن يمينه رجال المجلس الشرعي، وعن يساره أكبر المدعوين قدرا، وهو الباي في الحفلات التي يحضرها، أو رئيس الحكومة، أو من ينوب عن الحكومة. ولكن في هذه المرة جلس الداعي إلى الحفل - الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور - في الوسط، وعن يمينه ثلثة من قدماء الأعضاء بالمجلس الشرعي ... أما عن يساره فقد جلس الدكتور طه حسين، فالسيد الرئيس، فبقية الوزراء. ولكي أخرج بك عن ثنائيتي ألتمس لك مخالفة ثالثة للعادة.

## « ذاكرة وإبداع »

محمد العروسي المطوي



الدكتور طه حسين يشوِّط الزعيم الحبيب بورقيبة والعلامة محمد الطاهر ابن عاشور  
عميد الكلية الزيتونية بمناسبة اختتام السنة الدراسية في جويلية 1957 ويظهر  
أحمد الممداني المطوي في الصف ما قبل الأخير (انظر رسالة البشير العربي)

عن جريدة الصباح الثلاثاء 18 ماي 1010، ص 4

كانت العادة أن النسوة إذا حضرن حفلا من حفلات الأختام يجلسن في الزاوية اليسرى من مؤخرة الجامع. وهكذا لا يتمكن من التطلع إلى الحفل إلا من بعيد ؛ ولكن في هذه المرة كانت ثلثة منهن - نحو ست سيدات وأوانس بينهن أستاذات في المدرسة الثانوية الزيتونية للبنات بالحاضرة - تجلسن في محراب الجامع الأعظم (أي خلف صدر المجلس بالذات). وليس ذلك كل ما في هذه المخالفة، بل إن منهن - أو قل جلهن - سافرات. ولما دخل الرئيس وصحبُه واستوا في مجالسهم تشجَّعن فتقدَّمن المحراب للجلوس وراء اللوحة المعهودة التي يسند إليها كبار الشخصيات ظهورهم، فكنَّ خلف الرئيس والدكتور مباشرة.

وثمة نشاز آخر بهذا الصدد ... فإن مستحقِّي الجوائز (أو المكارم كما أصبحت تسمى من سنوات) قد دعوا للحضور كالعادة. وكالعادة أيضا أجلسوا صُبْرَة<sup>(1)</sup> واحدة قرب (الختمة) أو (سيدي الخاوي...) (2)، لكن أتدري ماذا كان بينهم ؟

كان يختلط بهم في مجلسهم ذاك فتاتان هما اللتان تابعتا دروس السنة الأولى من التعليم العالي من بين المحررات على التحصيل في العام المنصرم (56 - 1955). أما باقيهن فقد ألحقن بترشيح المعلمين، (أجل المعلمين بصيغة المذكر، لا المعلمات بالمؤنث). وبذلك قرأن مع الذكور المتربصين، وأسفرن عن وجوههن لا داخل الحجرات الدراسية فقط، بل

(1) صُبْرَة : كومة. يقال صبرة طعام : أي كومة من الطعام.

(2) سيدي الخاوي : هو تابوت بغير دفين يوجد قرب آخر بيت الصلاة بجامع الزيتونة يسند إليه كرسي ختمة القرآن.



وفي الطريق العام أيضا. أسفرن كلهن بلا استثناء بما فيهن ابنة الشيخ محمد اللقاني، وابنة الشيخ محمد بن عمر مبارك، وحفيدة الشيخ أحمد كركر للأخ (1)...

لا أريد أن أزيدك طولا... لقد بدأ الحفل ليسفر عن مفاجآتٍ أخريين .. ومرة أخرى أعتذر عن هذه الثنائية التي لا أدري كيف تقع لي كما يقول الأخ محسن العلوي (2). ومرة أخرى ألتمس للثنين ثالثا، فأجعل المفاجآت في الحفل ثلاثا بدل ثنتين.

(1) الشيخ محمد اللقاني : من شيوخ الطبقة الأولى في جامع الزيتونة كان يُدرّس علوم الشريعة وأصول الدين ؛ كما كان أدبيا شاعرا. ومحمد بن عمر مبارك : أصيل منزل تميم. من شيوخ الزيتونة المتطورين. كان يدرّس الرياضيات. وهو صهر القاص عبد الواحد إبراهيم. ومحمد كركر هو مناضل وطني. نفاه الاستعمار إلى مطماطة مع الهادي شاكر بعد أحداث 1935 احتجاجا على نصب تمثال لافيجري. وبها توفي يوم 12 فيفري 1935 بعد شهر تقريبا من إبعاده (انظر كتاب « بلقاسم القناوي، مذكرات نقابي وطني : 35-36). وبعد وفاته خلفه على زوجته أخوه أحمد المذكور ليعتني بها وبأبنائها. من هنا جاء قول الأستاذ العربي : حفيدة الشيخ أحمد كركر للأخ.

(2) محسن العلوي (محمد) : من شيوخ الزيتونة المعاصرين للشيخ العروسي وتلاميذه وأصدقائه. ولد بالقيروان سنة 1927. كان مشاركا للشيخ العروسي في نادي القلم، وفي التحرير في مجلة درس المتجول لباعثها حمدة سليم، وفي تأليف كتاب «النصوص المفسرة» مع الشيخ والأستاذ محمد صالح بن إبراهيم، والدكتور الأستاذ في كلية الزيتونة في ما بعد. التحق ببروكسيل مبعوثا من الحكومة التونسية إماما ومديرا للمركز الإسلامي والثقافي (1966-1986). ثم أشرف على تأسيس الهيئة الخيرية الإسلامية بها أيضا. وفي سنة 1997 أشرف على الأكاديمية الخيرية للثقافة الإسلامية البلجيكية لتخريج طلبة في العلوم الشرعية الإسلامية، وما يزال بها إلى اليوم. أطال الله عمره لخدمة الإسلام والثقافة العربية .



أما ثالثتها فكلمة الدكتور طه حسين التي ختمت الحفل، والتي لا أشك في أنك اطّلت عليها لأنها نُشرت في الصحف التونسية<sup>(1)</sup>. وقد وقعت على نفوس الحاضرين، وخاصة منهم الزيتونيين، بردا وسلاما؛ وإن كان تقديرها قبل أن يتكلم الدكتور أن تكون كلمة في مثل هذا الموقف أطول وأشمل.

وأما المفاجأتان الأوليان فقد كانتا اثنتين عند جمهور الحاضرين وعند الدكتور طه حسين، ولو أنهما واحدة على الجملة عند الأخ الحمداني على التخصيص؛ إذ كان لا يهّمه مباشرة إلا أولاهما. وكانت المفاجأتان على طرفي نقيض.

كانت إحدهما مشهدا مرّوعا من مأساة عنيفة مجيدة في أن. وكانت الثانية موقفا رائعا من ملهاة هازلة عنيفة في أن كذلك.

أولاهما دعوة الأخ أحمد الحمداني إلى تسلّم جائزة استحقّها... لقد تقدّم الأخ من صدر المجلس ليتسلّم الجائزة من يد السيد الرئيس؛ ولكنّ الرئيس الجليل أحال الموقف عن لونه الباهت، ذلك الذي كان يصطبغ به، إلى لون ناصع صارخ عنيف عندما وضع الجائزة بين يدي الدكتور طه حسين وأسرّ إليه كلمات، وأوماً إلى من يقود الأخ الحمداني إلى أن يجلسه أمام طه... وكان ذلك. وتسلم الأخ الحمداني جائزته من يد شيخ فريقه... وتصافح الأعميان... وهزّ أحدهما يد الآخر في عنف، ثم قبّل أحدهما الآخر على مرأى من الناس.

(1) من الصحف التونسية التي نشرت كلمة طه حسين جريدة العمل، عدد 30

جوان 1957.

أكفُّ عن وصف ما خالَجَ الناسَ من شعور الأسيِّ لهذينَ الرجلينَ، وما كان من إحساسٍ لديهم بما كان ينتظر أمثالهما من بؤس استطاعا أن يقلِّباه بجدِّهما نجاحاً، وتفوقاً في النجاح هياً للناس أن يشهدوا هذا الموقفَ الجليلَ بينهما... لا أتوسَّعُ في هذا الوصفِ، ففي وسعك أن تتخيَّله... ولا أصف لك شعور الأخ الحمداني بهذا الموقف الخالد الذي يقفه، فقد أردت أن يصفه لك بنفسه، فتوقَّفت عن توجيه رسالتي الأولى إليك - وكانت وقتها جاهزة - حتى ألقى الأخ الحمداني وأستمليه وصفا لما خالجه من شعور في هذا الموقف؛ ولكنني لم أتمكَّن من مقابلته إلى اليوم - وعسى أن أكاتبك، أو يكاتبك هو، أو يصفه لك مشافهة فيما بعد...

وثاني الموقفين : موقف الملهاة العنيفة. كان عندما دُعيت إحدى الفتاتين - أو قل على الأصح - عندما دُعيت السيدة « السيدة الغرياني » زوجة الأستاذ عبد السلام الملولي<sup>(1)</sup> إلى تناول جائزتها أيضاً.

لقد دخلت تنهدى، بين صفوف الحاضرين من شيوخ المجلس الشرعي والطلبة وكبار رجال الدولة والمدعوين، وهي سافرة... فأطرقت رؤوس، وطرفت أعين؛ ولكن ارتفعت رؤوس غيرها، وحملقت عيون أخرى.. وكان ما كان من تعليقات واحتجاجات واستنكارات لم تخل من كبت... إذ لم تُعلنها غيرُ النظرات، لأن أصحابها لا يجروون على أن ينيسوا ببنت شفة كما يقولون؛ لأن رئيس الحكومة،

---

(1) عبد السلام الملولي : من أساتذة الزيتونة المتخرجين من القاهرة في شعبة التاريخ والجغرافيا.

حامي مجلة الأحوال الشخصية (1) ونصير المرأة، هو نفسه الذي دعا هذه السيدة وصافحها وشكرها وقدمها إلى الدكتور طه حسين الذي رأى في تقدّمها لتسلّم جائزتها على هذا النحو، بل وحتى في متابعتها الدراسة بالاشتراك مع الذكور، مظهرًا تقدّميا نادرا لا يوجد له نظير في أية بلاد إسلامية أخرى بدون استثناء. وقد كان لهذا الموقف أثر بيّن في كلمته التي ختم بها الحفل.

لعلك تسألني - يا أخي العروسي! - أن أكتب إليك عن مواقف أخرى مما وقفه طه حسين خلال زيارته الأولى إلى تونس... ولكن لا مجال لذلك، فهي كثيرة، وأنا مُعَجَل - كما يقول الدكتور نفسه - فَلأقف هنا، ولعلي أتمُّ إليك وصف الرحلة " الحسينية إلى الديار التونسية " عندما نلتقي، أو بعد أن أعود - إن شاء الله - من " الرحلة العربية (2) إلى الجمهورية السوفياتية " ...  
والسلام.

الإمضاء : البشير العربي.

تنوير :

سلمنا هذه الرسالة الأخ بشير البكوش الذي سلمه منها نسخة مرقونة الشيخ محمد العروسي في حياته، فله شكرنا الجزيل.

(1) في الأصل المرقون : المجلة الشخصية. ولعل الصواب أن يقال : مجلة الأحوال الشخصية كما أوردنا.

(2) وفيه : العربية، ولعلها العربية كما أصلحنا، نسبة إلى العربي لقب المرسل البشير العربي قياسا على قوله الحسينية نسبة إلى لقب طه حسين.



والبشير العريبي كاتب هذه الرسالة الذي استجاب بدوره إلى رغبتنا في نشر رسالته، هو من شيوخ الزيتونة وأساتذتها المرموقين منذ أواخر الأربعينيات. تولى التدريس في الزيتونة وإدارة بعض الفروع الزيتونية. وبعد إصلاح التعليم درّس في الصادقية والزيتونة. ثم تولى إدارة المعهد الوطني للدراسات الإسلامية العليا بموريطانيا. وبعد العودة إلى الوطن التحق بإدارة الشؤون الدينية بصفة رئيس تحرير مجلة الهداية، فالنيابة في مجلس النواب عن ولاية تونس لفترة 1979 - 1981. كان كشافا بامتياز حيث شارك منذ سنة 1946 في منظمة الكشافة التونسية عضوا عاملا، فمسؤولا، ورئيس تحرير مجلة السبيل. ولعل رحلته إلى الجمهورية السفياتية تدرج في هذا الإطار الكشفي.

والشيخ البشير من أوفى الأصدقاء للشيخ العروسي. ومنشأ علاقتهما يعود إلى انتمائهما إلى نفس المعهد الزيتوني. فقد كانا من طلبة الزيتونة، أو الجامع الأعظم كما كان يسمى وقتئذ، ومدرسيها، وإن لم يكونا في نفس الدرجة التعليمية لأن الفارق العمري بينهما ثلاث سنوات، فولادة الشيخ العروسي كانت في 19 جانفي 1920، أما الشيخ البشير، أطل الله عمره، فولد في 25 نوفمبر 1923.

ومما زاد الصداقة بينهما عمقا اتفاقهما في المشارب الفكرية والأدبية والإصلاحية التربوية. وقد كانت لهما مشاركات في التأليف وتأسيس النوادي مثل نادي القلم وغيره كما سبق ذكره في حياة الشيخ العروسي وآثاره.

وأحمد الحمداني هو أحمد بن التيجاني بن أحمد بن حمودة الحمداني المطوي أحد نجباء المطوية اللامعين. ولد في 15 جانفي



سنة 1931 بالمطوية. كان ضريرا، ومن هنا تبدو طرافة اللقاء بينه وبين طه حسين الضرير هو أيضا. وقد عاشناه منذ الخمسينيات وجالسناه أيام الطلب مع ابن عمتنا علي الساسي المطوي، الكتبي المعروف بنهج السرايرية قرب جامع الزيتونة، في سهرات ممتعة بمقهى « علي الزراس» في ركن على الرصيف بين نهج الحلفا (نهج علي البلهوان الآن) ونهج الفخاخرية المفضي إلى ساحة القلايين، والمقابل لنهج حومة الأندلس (نهج أم السعد يحي الآن). اشتغل بالتعليم وعمل في الجمعية التونسية للمكفوفين، كما تولى أمانتها العامة. له مشاركات أدبية وصحفية وتآليف مثل المرأة في نظر الإسلام الحق، وفي ظلال الوفاء... إلخ، وأصدر أيضا مجلة الوفاء في نوفمبر 1968. ولقد كان في الحسبان أن نتوجه إليه بنسخة من هذا الكتاب حال صدوره منذ أن أودعناه في شهر نوفمبر 2008 لدى المركز الوطني للاتصال الثقافي التابع لوزارة الثقافة لإصداره في سلسلة ذاكرة وإبداع، لكن القدر لم يمهله أياما ليسعد بقصته مع طه حسين مدونة بقلم الشيخ البشير العريبي في كتاب عن شيخه المرحوم محمد العروسي المطوي. فقد توفي الشيخ أحمد يوم 13 نوفمبر 2009، ودفن بمقبرة الزلاج يوم 14 نوفمبر. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فراديس جنانه.

والرسالة ذات أبعاد إعلامية وثقافية. فهي وصف للزيارة - الحدث التي قام بها طه حسين إلى تونس منذ مساء الجمعة 28 جوان 1957 للإشراف على امتحانات قسم الآداب - واللغة العربية في دار المعلمين العليا. وبمناسبتها دُعي أيضا يوم السبت 29 جوان 1957 للإشراف على حفل اختتام العام الدراسي بالجامعة الزيتونية، والمشاركة في توزيع الجوائز على الخريجين من طلبتها.

ومن الرسالة نستفيد عدة جوانب. منها أن الشيخ محمد العروسي، على الرغم من بعده عن تونس، إذ كان وقتها في بداية سنته الثانية ملحقاً ثقافياً في سفارة تونس بالقاهرة، كان على اتصال وثيق بما يدور في الحياة التونسية ثقافة وأدبا وسياسة. ولا شك في أن الشيخ البشير كان يعلم مدى شغف الشيخ العروسي بشهود مثل هذه الاحتفالات وخاصة في مناسبة خطيرة الشأن مثل مناسبة زيارة طه حسين إلى تونس، فأراد، إن كان البعد عن الوطن قد حرمه شهودها ومعاينتها، أن لا يحرمه منها هو شخصياً إعلاماً وقراءة.

ومنها نستفيد طقس الاحتفال بتوزيع الجوائز في الجامعة الزيتونية، ومن كان يحضره من كبراء الدولة، وطريقة المراسم في ترتيب مقاعد الحضور حسب المناصب والاختصاصات... إلخ. ونستفيد أيضاً أنها قدمت صورة حية عن بدايات تحرير المرأة التونسية، والجهود التي كان يبذلها الحبيب بورقيبة لتفقيتها وإدماجها في المنظومة الاجتماعية والتربوية وغيرها؛ كما ذكرت أسماء من كان لهن الشرف في هذه البدايات. وفي المقابل أعطتنا صورة عن مواقف بعض متزمطي ذلك العهد من هذا التحرر إلى درجة الامتناع من مشاهدتهم الفتاة التونسية وهي تتقدم، في جامع الزيتونة بالذات، بين جموع الحاضرين لاحتلال مكانها في الحفل.

إن هذه الرسالة لتعدُّ بحق وثيقة حية عن عدة جوانب من الحياة العلمية والاجتماعية والرسمية بتونس في أواخر عشرة الستينيات.

ولتوثيق هذه الزيارة نشير إلى أن الصحافة التونسية قد نقلت

في ذلك الوقت وقائعها وتابعت أخبارها وما قيل فيها من كلمات،  
كما نشير إلى أن هناك كتباً تعرضت إلى هذه الزيارة ووثقتها  
بعديد الصور، نخص بالذكر منها أولها وأشملها لأقطار المغرب  
العربي، كتاب أستاذنا الجليل أبي القاسم محمد كرو : طه حسين  
والمغرب العربي، مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، ط1،  
تونس أب (أغسطس) 2001 : 25 - 187.

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

# 1 - أثر الشباب في حياة الشعوب

أثر الشباب المسلم

أرى لزما علي، قبل أن أتحدث عن أثر الشباب في حياة الشعوب، أن أتحدث عن الشباب نفسه من حيث معناه وبنائه، ومن حيث مزاجه وتركيبه، ومن حيث موقفه الحيوي ومثاقفه في الحياة.

## من الأدب المقالي

إن كلمة «الشباب» نقلها العرب عن استعمال لهم في لغتهم بصل في معنى من المعنى الخطير ما يدل على أنهم يفهمون هذه الكلمة بعقولهم وأفعالهم وأخطارها. أخذ العرب إلى هذا المعنى من اليونانية التي كانت تسمى «الفتاة» ثم «الفتاة» ثم «الفتاة» في الفصحى، ومعنى الفزع، ويظهر منها الموانع ولا تعرفها الحواجز، مهما كانت تلك الموانع. نظر العربي إلى هذا المعنى العظيمة، وإلى الزمنية التي يقطعها الإنسان ما بين الطفولة والكهولة، فمن هناك نبرانا من العواطف لحرق الصلح، وأتونا من الأمل الجسم والأماني العظام استعرت ناره وحسب وطنه. وهناك الثورة العنيفة في أحر نورتها، وأشد برتها. وهناك النورين الطماحة الجشعة، والفكرة الثائرة المثجة تريد كل شيء، وتهدى كل شيء. يعطيا العزم إلى احتراق الصعاب وركوب العذاب، وينفعها العزم الشديد إلى كل مغامرة وتمسك، ولا يزيدنا ذلك إلا إقداما وتشجيعا كأننا لنكفيها العواصف الهوج، والأعاصير الشديدة.



في ذلك الوقت وألغها ونسخت أخبارها ومما قيل فيها من كلمات،  
كما تشير إلى أن هناك كتباً تعرضت إلى هذه الزيادة ووثقتها  
بعديد الصور، تضمن بالكر منها أولها وأشملها لأقتلار المغرب  
العربي، كتب أساتذنا الجليلين القلم محمد كرو، د. طه حسين  
والمؤرخ العربي، مؤسستين بن عبد الله اللواتي والتوزيع، ط 1،  
تونس، ليبيا (أغسطس) 2001 : 25 - 187.

المكتبة القومية بقرطاج  
المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

## 1 - أثر الشباب في حياة الشعوب

أيها الشباب المسلم !

أرى لزاماً عليّ، قبل أن أتحدّث عن أثر الشباب في حياة الشعوب، أن أتحدّث عن الشباب نفسه من حيث معناه وذاتُه، ومن حيث مزاجُه وتركيبه، ومن حيث موقفه الحيوي ومقامه في الحياة.

إن كلمة «الشباب» نقلها العرب عن استعمال لهم في لغتهم يحمل في مدلوله من المعنى الخطير ما يدل على أنهم يفهمون هاته الكلمة أدق فهم، ويعتبرونها من أعظم الأمور وأخطرها.

أخذ العرب كلمة «الشباب» من قولهم : شَبَّتِ النار : إذا كَثُرَ ضرامُها، واحتدَّ لهيبُها، وتطايرت ألسنتُها الفاتكة شرراً في الفضاء، يبعث الفرع، ويَهْوِلُ المُشاهد. لا تصدُّها الموانع ولا تعوقها الحواجز، مهما كانت تلك الموانع وتلك الحواجز.

نظر العربي إلى هذا المعنى الخطير، وإلى تلك الحلقة الزمنية التي يقطعها الإنسان ما بين الطفولة والكهولة، فرأى هناك نيراناً من العواطف تحرق الضلوع، وأتونا من الآمال الجسام والأمانى العظام استعرت ناره وحمي وطيسه. وهناك الثورة الدموية في أحر دورتها، وأشد مرّتها. وهناك النفوس الطمّاحة الجشعة، والفكرة الثائرة المانجة تريد كل شيء، وتهوى كل شيء. يبعثها العزم إلى اختراق الصعاب وركوب العذاب، ويدفعها الحزم الشديد إلى كل مغامرة ومعصية، ولا يزيدُها ذلك إلا إقداماً وتشجيعاً كالنار تُذكيها العواصف الهوج، والأعاصير الشديدة.

أيها الشَّبَاب ! لشدَّ ما يُعجِب هذا الاستعمال العجيب الذي  
استعمله العرب لكلمة « الشباب » ! فيا ليت شعري ! هل  
يفكِّر كلُّ منا في تلك الكلمة، ويتدبَّر معناها ؟

سادتي !

أرأيتم ذلك الهيكل المملوء جرأة وإقداماً، وحماسة وحميةً،  
وميولاً نزاعاً إلى العلى، وعواطف جيّاشة نحو كلِّ شيء ؟  
أرأيتموه وقد غلبته العاطفة فانساب إلى التيّار وعُتِيّه ؟  
أرأيتموه وقد أحاطت به الواجبات المختلفة المتنافرة :  
واجبُ العاطفة، وواجبُ الضمير، وواجبُ الأمة، وواجب  
المدرسة، فأقبل على كلِّ ذلك وهو فرِحَ باسمِّ، واحتمل كل  
الواجبات وما فرط من شيء ؟

ما هو ذلك ؟ إنه الشباب الجبار، والفتوةُ الناشطة !

أرأيتم ذلك الذي عمد إلى الهيكل فرمّمه، وإلى البناء  
المنهار فقوّمه، وإلى الصروح التي عبثت بها القرون،  
ولعبت بها السنون فأحيها بعد مماتها، وأرجع إليها المجد  
والفخار، وتعالّت بها أصوات الزَّغرودة والنشيد، فتهلّلت  
الوجوه وتباشرت الألسن، وإذا بالنعيم قد ضمَّ جناحيه  
الكبيرين على أولئك المساكين، فتنفّسوا الصُّعداء، وأصبح  
لهم الحق في الحياة !

أتدرون من فعل هذا وذاك ؟

إنه الشباب الجبار، والفتوةُ الناشطة !

صغارٌ وكهول، ونسوة وأطفال، وغيدٌ ورجال، قد امتلأت  
بهم الشوارع والأزقة، وغصّت بهم الأماكن والبطاح، وهم

يُلبُّون ويهتفون، وهم يصرخون ويكبرون، وقد أمحت  
الفوارق الاجتماعية، واتحدت النزعات النفسية، وينشدون  
المثل الأعلى، ويطلبون حق الحياة وقمع الطغاة.

من فعل هذا وذلك، فحرك وأدار، وجمع وألف ؟

إنه الشباب الجبار، والفتوة الناشطة !

سادتي !

إن شباب كل شيء، يختلف عن شباب غيره في الكيف  
لا في الكم، وفي العرض لا في الجوهر. فشباب الطبيعة  
يأتي بعد أشهر وأيام، وشباب الإنسان يأتي بعد مدة وأعوام،  
وشباب الأمة يأتي بعد أحقاب وأجيال.

على أن الشباب، في كل ذلك، دائرة متصلة الحلقات لا  
تكاد تلمسه بموضع، ولا تنفرد به في مكان ؛ لأنه يساير  
الزمن والتجديد والتطور والنشوء. فوجود كلمة « الشباب »  
في الكائن الحي أمر أبرمته الحياة، فلن تجد له ما يخالفه  
وينفيه. ولكن هو الخمول والركود، هو السكون والجمود قد  
يطغى على ذلك الكائن الحي أيان كان نوعه ؛ فيطمس من  
أثره، ويُغيّر من منهجه ؛ فيتعكر الجوّ، وتغبر المسالك. وفي  
ذلك بلاء عظيم، وخطر جسيم.

سادتي !

أراني بعد هذا قد وصلت إلى نتيجة حتمية هي أن الشباب  
شيءٌ ضروريٌّ في الحياة، لازمٌ للفرد والمجتمع، وللأسرة  
والأمة ؛ وهو المحور الذي تدور عليه دواليب ذلك الكوكب  
الساير بالحياة.



فالطفولة تتطلَّب من شباب الأمة أن يهيء لها الأسباب لكي تصل إلى الكمال المنشود، ويعبِّد لها الطرق لكي تثبت خطاها في بحوثها اللامتناهية، ومكتشفاتها اللامحدودة، حتى تسير في عملها قُدماً وكلها (1) التفاؤل والاستبشار بما حصل لها من نتائج عمرانية سامية تبعث في النفس الأمل والرجاء. أما الكهولة والشيخوخة فكلتاها تنظر إلى الشباب نظر المستجدي المهوف يطلب المعونة ويكرِّر الاستجداء.

لقد أوشك سفرهم أن ينقضي. فها هم الآن يودِّعون هذا الكون الكبير - في نظرهم - بأهات تُردِّدها حناجرهم صباح مساء. إنهم، رغم الجهاد الطويل الذي جاهدوه، ورغم الأماني العديدة التي تمنَّوها، ما يزالون يتطلعون إلى حسن الختام وتمام الكشف.

وأيمن منهم الزمن الطويل والقوَّة الفاعلة؟! لقد ذهب ذلك مع أيَّامهم الخالية، وما بقي عندهم إلا الهرمُ وبرودة الدَّم.

إنَّ ذلك الشيخ الذي قضى حياته أمام مجهره يستكشف دقيق الجراثيم وأصغر الذوات؛ وذلك الفلكي الذي قضى سنين عديدة وهو يجول ما بين السُّدُم والعوالم؛ وذلك الكشَّاف الذي أراد الوصول إلى النقطة الأخيرة من القطب؛ وأولئك الذين وضعوا الحجر الأساسي لبناء الحضارة وإنشاء النهضة؛ وذلك الفيلسوف الذي كاد يذهب بصره بكثرة التَّصَفِّح والتطلُّع وإبداء النظريَّات؛ كل أولئك يترجَّون من

---

(1) في الأصل: وكلها الرجاء والأمل والأمل والتفاؤل. ولما كان سيعيد اللفظتين الأوليين آخر الفقرة اجتهدنا في حذفهما تجنباً للتكرار.

الشباب أن يُتَمَّ لهم ما شرعوا فيه، وأن يُحَقَّق لهم تلك الأمانى التي تُتَلَج صدورهم وتُبَرِّد ثراهم حتى إذا ما وافاهم الخبر كَبُرُوا للمولى، وسَبَّحُوا للقدَر.

ذلك هو الشباب عقدة الوصل ما بين الماضي والمستقبل. هو رجاء الطفولة والقادم من الأجيال، وهو تنمَّة أثر العصور والأجيال الخالية.

ذلك هو موقفه الحيوي، ومقامه الاجتماعي.

على أنى أستسمحكم - أيها السادة ! - أن تستمعوا إلى كلمة قالها الأستاذ محمود شاكر (1) فيها من صواب الرأي ما يسترعى النظر، ويتطلَّب الانتباه. فهو يتكلم عن موقف الشباب الثقافي، فيقول : « فتبعة الكُتَّاب والأدباء قد تقلدوها وحصلوها. ثم ارتزقوا منها أيضاً، وأكلوا بها، وعاشوا في الدنيا الحاضرة بأسبابها. فهم على اثنتين : على أمانة قد فُرض عليهم أن يؤدوها إلى من يخلفهم من الشباب الذي يتبعهم ويتأثر آدابهم، وعلى شكر للمعونة التي يقدمها لهم الجيل الشاب الذي يبذل من أماله ليشتري منهم ما يكتبون وما يؤلفون وما يقدمون للتاريخ من آثارهم ليكسبوا بها خلود الاسم وبقاء الذكر » اهـ.

وإذا ما تأملنا هذا الكلام نراه يدعم ما ذهبنا إليه سابقا من أن الشباب هو حلقة الوصل ما بين الجيل الماضي

---

(1) محمود شاكر : هو محمود بن محمد شاكر. ولد أول فبراير 1909، وسيتوفى في 7 أغسطس 1997. له عديد الأعمال. منها : أباطيل وأسمار (1972)، والمتنبى (1976). وفي التحقيق له : جمهرة نسب قريش وأخبارها (1381هـ/ 1961-62)، والوحشيات (1987)، وتفسير الطبري (1374 / 1954) ... إلخ.

والجيل القادم ؛ وأن هذا الكلام، وإن كان في خصوص  
الناحية الثقافية والتغذية العقلية، إلا أنه لا يمنع مانع ما من  
الاستدلال به على كل أحوال الحياة : عقلية كانت أو سياسية  
أو اجتماعية.

سادتي الشبان !

إننا إذا تصفحنا التاريخ، قديمه وحديثه، نجد أن كل حركة  
انقلابية، وكل تأثير فعلي جبار، إنما هو للشباب لا لغيره.

إنما هو الشباب قلاب الأوضاع، ومحوّل المؤلف؛ به  
تمحى الصعوبات وتزال العقبات ؛ به ترتقي الأمة وتسمو.

فما سمعنا أن أمة قدّمت كهولها للميدان والكفاح،  
واستنفرتهم على العمل الواصب والجهد الجهيد.

وما سمعنا أمة قدّمت أطفالها وصغارها إلى معركة،  
وميدان الجهاد ؛ ونافرتهم على الإقدام والثبات لكي تحقق  
مركزها في الحياة، وتنبؤاً منصبها في الوجود ؛ بينما الشباب  
بعيد عن الميدان لا يحتل صدارته، ولا يمسك بزمامه.

إن أشرّ ما في الكون على الكائنات هو خروج الكائن عن  
طبعه، وابتعاده عن منهجه ؛ فيسير في طريق لم تُخصّص  
له ولم توضع لأجله ؛ فيظل كالتائه الضالّ اختلطت مسالك  
بصره بمسالك بصيرته، وتشوّهت مرئياته الخارجية كما  
تشوّهت مرئيات باطنه وضميره.

شباب الأمة هو كيائها ومحورها الذي تدور حوله ؛  
هو عرقها النابض وقلبها الخافق. به يُجسّ نبضها ويُعرف  
كنهها. فإما فورة تبعث في النفس الأمل، وتري للناظر



السرور. وإما خمود وجمود يبعثان بالأمة إلى هُوةٍ سحيقة  
وقرار بعيد.

إيه يا شباب المغرب ! ماذا يكون موقفك الآن، وإنك  
الآن في مفترق الطرق، ومعترك المصير، وإنك الآن أمام  
التجديد والتبديل ؟ فهل ستقف كما وقفت قبل تنظر من وراء،  
وتؤثر الركود ؟!

إنك إن فعلتَ كنتَ الجاني الظالم، والمتحمّل للمسؤولية  
العظمى. إن آباءك وعمومتك أعياهم السير وشطّ بهم العمر،  
وخانتهم القوة والعدة ؛ فلا تدّعهم يستغيثون ولا يُعاثون ؛  
ولا تتركهم أسفين على أنهم لم يعملوا من قبل، ولم (1) يُنتجوا  
ما يصلح للعمل والحياة.

وإن إخوتك الصغار والشباب الذي سيخلفك ينظرون  
إليك الآن قائلين : ترى هل لهاته الأفكار الطموحة والسواعد  
المفتولة ما يستفزُّها للعمل، ويوقظ فيها شعلة الإحساس ؟ أم  
إنها ستمرُّ أمام المسرح الهائل المخوف، وهي عنه لاهية  
غافلة !

أواه ! ليت لنا تلك السواعد وهاتيك الأفكار ! ليتنا قمنا  
مقامهم، بل ليت الطبيعة تمحقهم محقا إن هم لم يقوموا  
بالمفروض، ولم يتدبّروا المصير !

إيه يا شباب الأمة !

ما موقفك الآن إلا موقف النذير المنبّه ؛ فباب العمل

(1) في الأصل : لم، دون واو .



مفتوح وواجباته تدعو وتستهض؛ فلا تتخلفوا ولا تتركوا  
إلى الله والدعة! فالوقت وقت جدّ، و«كفانا» أنا لهونا  
أزمانا!

وخير الناس من استعدّ للجدّ حيث أتى، وأقبل على الله  
حيث استطاب.

ألقيت في جمعية الشبان المسلمين تونس، صانفة 1942

مخطوطة «متجر القرائح ومقالات أخرى»: 33 - 39

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

## 2 - إذا أخذت الكتاب !

إذا أخذت الكتاب فلنأخذه بقوة (1) : قوة الساعد حتّى تستطيع حملهُ، وقوة الضمير حتى تتمثّل كنهه، وقوة الفكر حتى تستوعب فضلَه، وقوة الإيمان حتى تُميّز ما بين صليبه وهجينه. وإذّاك فقط تحصل الفائدة، وتتحقّق النتيجة.

وإذا جعلت الكتاب ألعوبة وأطروفة فإن مآل السعي إضاعة للزمن، وإرهاق للبدن.

وخيرُ الناس رجلٌ عرف الجهود فاستغلّها ؛ ورأى الغاية فسعى إليها بإنقان، وطلبها على بيّنة.

وما كان قصد المكتبة غير هذا ؟ وإلّا فما لها تطلب منك الجهد وإظهار النتيجة !

فليكن عملك معها أمتنّ عماد يُبنى عليه سقفُ الجيل الجديد. ذلك الجيل الذي نرجو أن يكون : قويًا في تفكيره، متينًا في أسلوبه، حريصًا على قوّته لا يبذلها إلا في الصلاح، ولا يرقّب منها سوى الثمرة الناضجة.

فكم من جيل يمرُّ وهو لا يلوي على شيء ! فليكن حظه عندك في مقام الذكرى والعبرة.

---

(1) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ يَا بَحِيَّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ .. ﴾ الآية 12 من سورة مريم 19.

وأسعدُ الناس من أتعظ بغيره. فلتكن أسعدَ الناس  
لا أشقاهم !

متجر القرائح ومقالات أخرى (مخطوط) : 49.

وردت هذه المُقيلة - الخاطرة بين مقالة

بتاريخ سبتمبر 1942

ودراسة بتاريخ فيفري 1943.

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

تونس - 55 شارع 111 - رقم الهاتف 111 - رقم الفاكس 111 (1)

111

### 3 - شعورنا بالحقارة

قد يضمُّك مجلسٌ سَمَرَ فنتشعبُ طرفه، ويتبارى القومُ في الجِدال. وإذ ذاك تنعكسُ أشعةُ النفوس على مرآة ذلك المجلس. وبدقة ملاحظتك، وحسن تمييزك، ترى الفرق الواضح في الطَّبائع، والتَّبائُن البعيد في النفسِيَّات. وإنك لواجِدٌ أشكالا وأنواعا بقدر ما للنفس البشرية من فروق، وما لهذا المخلوق العجيب من أحوال.

سترى أنفسا تحب الفُج، وتهوى الانتصار، وتُضحِّي في سبيله ولو بالمثل الأعلى، والحقيقة السامية. وإنها لقانعة من ذلك، ولو بالحشف (1) البالي، والسفسطة الجوفاء، فتبني لنفسها صروحا من الأوهام والمغالطات أجل ما يقال في وصفها من التمجيد والتعظيم إنها (2) أو هي من نسيج العناكب، وأوهن من حصون الرَّمام.

ذلك لأن هاته الأنفس(3)، أو هذا النوع من النفسيات، شعرت بقيمتها فوجدتها لا تساوي فلسا، ولا يُقام لها وزن. وإذن فلتتلاف هذا النقص، ولتُشعرِ الناس بأنها على عكس

---

(1) في الأصل : الخزف، ولعلها الحشف كما أثبتنا، وهو رديء التمر. ومنه قول الشاعر القديم امرؤ القيس في وصف وكر العقاب من قصيدة « ألا عم صباحا أيها الطلل البالي : (من الطويل)

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي.

(2) في الأصل المخطوط : في وصفه .. إنه. والإصلاح يكون إما بقولنا : صرح من الأوهام والمغالطات بدل صروح ؛ أو بما قمنا به من تغيير في ضمائر : وصفها.. إنها، وقد اخترنا الثاني.

(3) في الأصل : النفس.



ما يتوهَّمون فيها من ضعف، وما يقدِّرون لها من قيمة. وإذن فلتتسَّر من عيبها بحجاب التصنُّع وستار المغالطة. وإنها لتجد في ذلك ما يُخفِّف من البلوى، ويُزيل من حدَّة الأوصاب. وهي في حالتها تلك شبيهة بذي الرِّمد أفلقته أشعة الغزاة المتوهَّجة فتوقَّى حرَّها بمظلة يحسب أنه < بها > ابتعد عن سطوع الأشعة ومفعول الضياء.

وسترى أنفسا تأبى ذلك التصنُّع وتمقته، تتحمَّل الضيم ولا تجاربه، وترضى بالخنوع فلا تتوقاه. وتكتفي من ذلك المجلس بصمت حزين وأسف حالك سرعان ما ينقلب إلى حسد دفين وحقد كامن. به يفعل المزاج العصبي، ويثور بركان النفس ثورته الجهنمية الممقوتة. يذهب ضحيتها ذلك الجسم المنهوك بالسهاد والاضطراب، ويحترق بسببها ذلك الفكر المسكين احتراق فكر الحسود من أشواقه، وفكر الحقود من حسراته. وقد يصل الأمر بتلك النفس إلى الاستسلام المطلق، والخضوع الدائم؛ فتحيا مع الأموات، وإن كان جسمها لم يتبدَّد؛ وتعيش عيشة العبد، وإن كانت مع الأحرار.

ولا إخالك واجدا في ذلك المجلس نوعا ثالثا إلا قليلا منه. ذلك لأنه الصفة المختارة من النفوس الكاملة. وكثرة ذلك النوع وقلته تمتد أو تنقبض حسب مقدار الرقي الاجتماعي الحق، والتربية المستقيمة الصادقة، فلعلك واجد في ذلك المجلس أنفسا أبية حرة، شعرت بمقامها وتفاعلت فيها قيم الثقة والشجاعة ومعرفة القيم والكيفيات ومحبة الخير الصرف والتمسك بالجميل الصُّراح. تلك أنفس (1) من سجيتها أن تهزم

(1) في الأصل: نفس، تحريف.

أمام الحق، وتستسلم للفضائل، وتخضع للواجب، وتضحّي في سبيل الحقيقة والكشف عنها. أقول ذلك لأنه قد يذهب في الوهم أن هذا النوع من الاستسلام لعله مما يؤثر في النفس لقبولها للضيم، واستحسانها للحقارة. كلا يا أخاه! إن هذا الخضوع هو العظمة التي لا ينالها كل أحد، والحرية التي هي إذا تحصل عليها صاحبها كان قد ابتعد عن أخطر غاز يغزوه من كل جانب، ولا يرى له أثرا. لأن ذلك انتصار على أكبر قوة نفسية تقود الإنسان مقيدا مغلولا لشجون الشهوة والأهواء التي إذا ما انغمس فيها استعبدته طول حياته، وأنسته اللازم والمفروض. وقد يحسب البله أن استعباد البدن هو غاية الاستعباد والاستسلام. ولكن الحقيقة عكس ذلك؛ فإن استعباد الروح والضمير لهو أشدّ مفعولا، وأوغل تأثيرا. « فالعبرة بامتلاك القلوب لا بامتلاك الحجارة والطوب ». وهل استطاع قومٌ استعبدت ضمائرهم، واستسلمت أرواحهم، أن يثوروا على الضيم ويستنكفوا الاستعباد؟ ! وقتش في تاريخ الثورات والانقلابات هل تجد ما يُبرّر لك هذا القول؟

إن العظمة والحقارة هما كفتا المجتمع البشري. فإمّا رجحانٌ بالثقل، وفي ذلك العزّة والسعادة؛ وإما صعود بالخفيف، وفي ذلك فناء العزّة، والموت الأدبي.

وكما يقول الأستاذ عبد الرحمان شكري (1)، فإن الحقارة

(1) عبد الرحمان شكري : شاعر وناقد. كوّن مع عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني حلقة نقدية عرفت باسم الديوان. ولد سنة 1304 / 1886 وتوفي سنة 1378 / 1958. له من الدواوين الشعرية : ضوء = الفجر، ولآلىء الأفكار، وأناشيد الصبا، وزهر الربيع،... إلخ. وفي النثر

تُتصوَّر في مظهرين : مظهر إيجابي، ومظهر سلبي ؛ لأن من النفوس (1) من تستسلم الاستسلام المطلق، ومنها من تريد أن تنفي عنها هذا الداء ظاهريا، وتكون العظمة المزيفة نتيجة ذلك الإحساس والشعور بالنقص. فتظهر الأبهة الجوفاء والعظمة الكاذبة. ولتنتظر معي قليلا إلى ابن شرف القيرواني لما ذهب إلى الأندلس زمن ملوك الطوائف. وإنهم إذ ذاك لفي فوضى وانحلال، بيد أنهم يريدون أن يعللوا النفس بعظمة اللقب وأبهة الملك. فهم قد سمعوا بألقاب السلطنة العباسية من معتضد بالله، ومعتصم بحبله، ومستنصر بقوته، فقالوا بتلك الألقاب، وتدثروا بتلك النعوت حتى يُوهموا الناس أنَّ لهم صولة كأولئك. فنظر إليهم هذا الشاعر النافذ البصيرة، وقال (2) قوله الخالد : من البسيط

مما يُزهدني في أرض أندلس

ألقاب معتصم فيها ومعتضد

ألقاب سلطنة في غير مملكة

كالهرَّ يحكي انتفاخا صولة الأسد (3)

---

له : الاعترافات، والحلاق والمجنون (رواية)، ونظرات في النفس والحياة.. إلخ. انظر عنه موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، دار الجيل، بيروت 2007/1428 : 77-73 / 15.

(1) في الأصل : النفس. ولعل الأولى النفوس كما أثبتنا .

(2) في الأصل : ويقول .

(3) الأبيات لابن رشيق القيرواني، انظر الديوان : 59. وتنسب أيضا إلى ابن شرف كما ذكر الشيخ محمد العروسي في النص أعلاه.



بل لتتظروا إلى سلاطين الدولة العباسية نفسها في أيِّ عهد أنتها هاته الألقاب المعتصمة والمتوكلة والمعتمدة؟ إنها ما أنتها إلا في الزمن الذي بدا الضعف يتسرَّب إلى الشرايين، ويفعل الأفاعيل.

ولنتساءل الآن : ما هو نصيبنا من هذا الميزان الذي في إحدى كفتيه العزة والعظمة، وفي الأخرى الخنوع والمذلة؟

أما القول الحق فإن هذا الداء قد طغى علينا حتى استفحل فينا. وإنه لنتيجة وضعيتنا التي نحن عليها الآن، والتي كان عليها من سبقنا من الأجيال. وقد قرَّر علم الاجتماع وعلم النفس أن داء الشعور بالحقارة والعظمة المزيَّفة هو أكثر ما يكون عند الأمم المغلوبة على أمرها، وطال فيها الاستعباد واحتمال الضيم. ونحن قد ورثنا تلك المشاعر أبا عن جدٍّ؛ بل لعلَّ البعض منها جعلناه وسيلة من وسائل التربية، وعلامة من علامات (1) الشرف والآداب.

فمنَّا من هو أجهل القوم، وهو يحسب نفسه أنه الملاك السائر على وجه الأرض، يحلم بأجداده وأقوامه في الجاه أو العلم أو الغنى أو الشرف.

ومنَّا من فيه الاستعداد الكامل للإبداع والابتكار، بيد أنه من احتقاره لنفسه يندُّ أفكاره تحت أطباق الخمود والركود.

ومنَّا من اغترَّ بنفسه، فحسبها أعظمَ نفسيَّة في الوجود، مع أنه لا يعرف من العلم شيئاً، اللهم إلا < أن يكون >

---

(1) وفيه : علانم .



أسماء وألقابا وصيغا وقوالب (1) من الألفاظ يلوکها لسانه حتى يقال : إنَّه لذو فکر، وإنه لذو معرفة وإطلاع.

ترى هذا الضرب من الغرور ضاربا أطنابه في هاته الأصقاع. فتجد الواحد يدعي القدرة على نقد أي شخصية في الوجود : ينقد الفن والشعر والتصوير والتمثيل والأدب والاختراع والسياسة وكل شيء يمكن عطفه على أمثال هاته الكلمات. أما لو فتشت عن داخلية فإنك لا تجد فيها إلا عظاما نخرة من الأوهام والأباطيل، وأعشاشا من جراثيم الغرور فرّخت هناك وباضت في مخّه، فجعلته يتصوّر الحياة كما يتصورها مدمن « الكوكابين » في عالم من الأوهام القاتلة والأباطيل المهولة.

وهذا الضرب من الغرور هو أشدُّ الأضرُب فتكا بالأمة، لأنه مبنيٌّ على التهديم بلا هندسة، وعلى النقد بلا قاعدة ؛ ولأنه يغرُّ الناس، فيحسبونه شيئا من القول وهو هُراء سافل، ويحسبونه فكرا نافذا وهو خلوٌ من معاني الفكر. وأما جنائته على نفسه فهو وقوفه عند ذلك الحد البسيط الساذج من المعارف والعلوم، فتضمحل مواهبه، ويخسر الصفتين. وإذا أراد أن يُحاسب نفسه فلا يجد إلا ألفاظا منمّقة لا تنفع الناس، ولا تجلب الخير.

لقد استفحل هذا الداء فينا حتى صرنا نحسب أن من يتصدى للنقد الصحيح إنما هو حاسد حقود، وأن من يقول الحق هو كافر جحود، وأن من يناصر الفضيلة < هو > صخر جلود.

(1) في الأصل : أسماء وألقاب وصيغ. وما بين زاويتين إضافة منا.

طغى علينا هذا الداء حتى صار الشعورة منّا لا يرضى بلقب الشاعر إن لم تُقدّم له ذكر الموهبة، والخنْذة (1)، وأنه فاق الأولين في الابتكار والإبداع، وصار صاحب ريشة التصوير لا يراك تقدر قيمته إن لم تجعل كل خط من خطوطه رمزا للحقيقة سامية في الحياة لم تصل بعدُ إلى فهمها؛ وإنما الأجيال القادمة هي التي - إن أسعفها القدر - ستصل إلى فهم ذلك الرمز وتحليله.

وصار من تحصّل على بسائط علمية لا يبسم لك إلا متى قلت له : خاتمة المحققين، وأستاذ الأساتذة، وجهيد العصر، ومفخرة القطر، وإلى غير ذلك من سجع يُكّال بالقناطير والأطنان.

وأرجوكم أن لا تتركوني أكثر التّعداد، فهناك الفيلسوف النقريس، والطبيب الماهر (2)، والحقوقي الضليع، والممثل الممتاز. وهناك الخريذة العصماء، والمقالة المعجزة، والتأليف الضخم، والصحيفة الغراء، وألف معطوف بالواو وبالفاء وبثم.

أما أسباب هذا الداء - بكل أسف - فكثيرة. تصحبنا منذ بروزنا إلى هذا الوجود حتى زمن فراقه، بل إننا نسعى إلى تخليدها بعدنا في الأجيال التي تعقبنا.

يولد فينا الطفل على فطرته، وهو خلوّ من كل داء،

---

(1) الخنْذة : من الخنْذ : الشاعر المجيد المُفلق، ولها معان أخرى عديدة. ومنه الفعل تخنْذ. انظر لسان العرب والقاموس المحيط خ ن ذ.

(2) كذا في الأصل : الفيلسوف النقريس، والطبيب الماهر. وفي لسان العرب : النقريس والنقريس : الداهية الفطن؛ وطبيب نقرس ونقريس : أي حاذق.

مستعدٌ لكل تربية ؛ ولكنه ماذا يلقي في هذه البيئة التي أُجبر على المُكث فيها، والعيش ما بين أكنافها ؟ إنه لا يلقي إلا المزجات والمُؤيسات.

فهذه أمه لا ترى وسيلة لحمله على أن يحترمها ويطيع أوامرها - ولو كان عدم الطاعة أو العصيان ما هو إلا نتيجة نموه الجسدي والعقلي-، هاته الأم لا ترى من وسيلة لذلك إلا أن تضرب وتدعو وتسبّ وتلعن وتذكر العُبيثة والغولة وديمةً وسلال القلوب والرومي والغربي. وحتى أمانا حواء تلك التي كان لها الفضل علينا في وجودنا بهاته الحياة، والتي ما تلك الأم إلا نسخة منها تؤدي مهمتها في الحياة كما كانت تؤديها. لقد صرنا نرى هاته الجدة الأولى مصدرا من مصادر التخويف والإرهاب. أما مبنى هاته العقيدة العقوقية فلا أرى له وجها يبرره غير ما يخيم على أدمغة البشر في حال فوضاها الأخلاقية وانحطاطها الاجتماعي من الأوهام والأباطيل.

ويشبُّ الطفل (بعد هذا) على عقيدة مملوءة بالخوف والارتعاد. يخاف من الليل، ويفزع من السكون، ويتصور الشياطين والأغوال في كل لحظة من لحظاته، وفي كل خطرة من خطراته. وهكذا تتولد فيه فكرة الخوف والاحتقار والضعف، فينشأ منها نوع من الاحترام الممقوت، وضرب من الإقلاع عن المنهيات، لا بسبب الوازع النفسي، وإنما نتيجة الخوف والجبن.

وما إن يستحكم هذا الطفل مواهبه، ويعرف حقيقة تلك المصادر المزجة حتى يزدري تلك المنهيات كما ازدري



تلك الأغوال الخرافية الوهمية. ولو يقف الأمر عند هذا الحد  
لهان الأمر، ولكن ماذا نفعل بذاك القلب الذي ارتسمت على  
صفحته معاني المهانة والقهر، والذل والخنوع؟!

ويذهب الطفل إلى المدرسة أو الكتاب، وإذا بعصا  
المعلم ومِفرعة المؤدّب تنهال على رأسه جزاء أدنى إشارة  
صدرت منه، أو أدنى حركة دفعته إليها فطرته وتكوينه  
النامي. وإذا بزرايات المعلم تنطبع آثارها في عقول الناشئة،  
وإذا بالإنذار الشديد يوجّه نحوه لأنه أراد التعبير عن فكرة  
خالجته، وإذا بذلك التلميذ يرى نفسه أحقر الأشياء وأبعدها  
عن التقدير والاحترام؛ فتتعدم الموهبة، ويموت التطع؛  
حتى إذا خطرت له الفكرة تراه مُحجما عن إفصاحها خوفا  
من صياح الأستاذ، وسخرية الأتراب؛ وهم أقرب ما يكونون  
تقليدا للأستاذ في أحكامه وأخلاقه.

هذا ضرب من ضروب هذا الداء العضال.

وممّا يؤثر فينا أيضا - في شأن داء الشعور بالحقارة - هاته  
الأساليب التي نتوخّاها في المكاتبات والمخاطبات ومواقف  
الخطب والاجتماعات. فإذا كنت مع قوم فلا تسمع إلا العبد،  
أو عبدكم الحقير، أو العبد الضعيف. وإذا قام أحدهم يخطب  
أمام الناس بدأ كلامه بأنه ليس بالخطيب ولا الشاعر، وليس  
بالعظيم ولا القادر، وأنا معترف بعجزتي وتقصيري، مُقرٌّ  
بضعفي ونقصاني، إن أحسنت فيها ونعمت، وإن قصرت  
فلي الشرف بالوقوف أمامكم.

أليس الواجب يدعو مستمعيه أن يقولوا له إذ ذاك :  
إننا بحاجة إلى من يثق بما يليق به علينا. وإننا بحاجة إلى



من سنتشرَّف بسماع معلوماته ونصائحه لا أن يتشرَّف هو بالوقوف أمامنا.

ولكن ألا تعلم - يا أخي! - أن هذا الإحجام هو أيضا نتيجة من نتائج ذلك الداء فينا. فهذا المتكلم إما أنه يُعبر عن حقيقته وهو نفاقٌ وتدجيلٌ وازدراءٌ بسامعيه ورميهم بالجهل والحماقة. وإما أنه عاجز حقا وأراد أن يُغطي هذا العجز بمجاملته المصطنعة وتأدبه المتكلف.

وإذا وردت عليك رسالة من صديق أو قريب فكم تجد من عبارات الملق والخُضوع والتذلل والخُنوع؟ لا لشيء سوى أنه يريد أن يُبين أنه لك مخلص، وعلى العطف حريص؛ فليُظهر أمامك أنه خديمك وعبدك حتى يُلين قلبك، ويغزو عقلك.

أما لو كان الكتاب أو الرسالة من مرووس إلى رئيس، أو من طالب منفعة، فتمت ألفاظ العبودية المحض وعبارات الاستذلال والامتهان. وكم أولئك الذين يغرثون بمثل هذا من أولئك المرضى بداء التعاضم المزعوم، والتظاهر المكذوب.

وهذا الداء - داء التملُّق في المكاتبة - من أقدم العلل التي ورثناها عن السلف. نقل محب الدين الخطيب في جزء من كتاب «الحديقة» ما يلي: قال أحمد بن محمد الأسدي: كتب رجل إلى المهدي كتابا عنوانه (عبد فلان)، فقال المهدي: لا أعلم أحدا نسب نفسه إلى عبودية في كتاب أو عنوان، فإنه مُفلق كاذب، وليس يقبله إلا غبي أو متكبر. ونقل أيضا: قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: «رأى طاهر بن الحسين رقعة كتبها ابنه عبد الله بن طاهر إلى المأمون عليها (عبد) فقال: يا بني سميتك عبد الله، وكذلك

أنت فلا تشركن في الملك أحدا فإنه جعلك بإنعامه حرا لا مولى لك سواه» (1).

أرأيت، أيها الأخ العزيز!، كيف أمر طاهر بن الحسين ابنه بأن لا ينسب نفسه عبدا وخبديما إلى أعظم ملك في العالم إذ ذاك.

فلنفس الأمر علينا من أدنى «شاوش» في إدارة من الإدارات إلى أكبر وزير من الوزراء. فسترى الفرق الكبير ودرجة ما وصلنا إليه من حب الاحتقار والخضوع والتذلل.

وإذا ما قرأت مؤلفا من مؤلفاتنا فكم تجد فيه من عبارات العجز والتقصير والمذلة والاحتقار. فكأن مؤلفه يقول لك: إياك أيها القارئ أن تقبل ما في هذا الكتاب، فإن ما فيه من الآراء هي آراء فطيرة لم تُبَنَّ على الأسس المتينة، ولا نتجت عن ثقة بالبحث أو اعتقاد في الرأي.

ولقد رأيت كتابا مترجما عن الفرنسية - مع اعتقادي بأن المعرب له أعرف من مؤلفه وأقدر على تفهيم أسرارهِ وأحكامه - كان مكتوبا بسفر الكتاب ما معناه: تأليف الأستاذ الكبير، وترجمة العبد الحقير.

---

(1) الحديقة، لمحِب الدين الخطيب، ج 1، ص 130. وقد أصلحنا عنها بعض التصحيحات، وهي: عبيد الله عوض عبد الله في الأصل، فلا تشركن عوض تشركنه، ولا مولى عوض فلا مولى. كما نشير إلى أننا اعتمدنا متكبر عوض مكتبر دون الرجوع مرة ثانية إلى الحديقة لترجيحنا أنها من التحريف. وانظر عن عبيد الله بن طاهر (913/300-838/223) الأعلام للزركلي: 4/195، وفيه أيضا عن أبيه عبد الله بن طاهر (844/230-798/182): 4/93.. إلخ.

وليس مثل هذا الأمر ناشئاً عن تواضع العلماء ومجاملة المؤلفين، وإنما هو نتيجة ذلك الداء الدفين فينا. قد تمكّن منا حتى غيرناه عن كُنْهه، وأصبح فينا خُلُقاً محموداً. وهذا هو أعظم فرق بين الداء النفسي والداء البدني. فمهما طال مرض الحُمى وقرَح الدُمْلُ، فهو دائماً مرضٌ ممقوتٌ، وعلّةٌ يجب الخلاصُ منها، والإسراع في علاجها. أما الداء النفسي المعنوي، الداء الخلقى والروحي، فبعد طول الأمد يصبح كأنه جزءٌ من جميل خصالنا وكياننا الأخلاقي؛ نحنُ إليه، ونحمد نتائجه، فيصير كأنه من لوازم حياتنا وآدابنا الحميدة الموروثة. فإذا ما جاء الطبيب يستوصف الداء، ويحذّر من العاقبة، قبلنا به بضحكات الاستهزاء ونظرات الاحتقار.

ثم ماذا؟ ثم أليس من مظاهر داء الحِقارة فينا قولنا دواما واستمرارا : إننا شعب لا يستحق الحرية ولا يصلح للسيادة. واستشهادنا العكسي بآية الكتاب : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم﴾ (1). وقصدي من ذلك الشقّ الأخير فقط. وقول العامة أيضاً سيّما في هاته الظروف الأخيرة : اللي يأخذ أمنا هذاك هو بابانا، واللي يقول الحق رأسو يتشق، والظهور يقصم الظهر.

فالحقيقة التي لا مَرِيّةَ فيها أنّ هذا الأمر الخطير قد تَأَصَّلَ فينا حتى احتقرنا كل شيء ينسب إلينا، وكل شيء يحمل علامة الإنتاج التونسي : صناعتنا وأخلاقنا وأوضاعنا وتقاليدنا وتآليفنا وجراندنا ومجلاتنا وأنفسنا أيضاً ؛ وصرنا نعظم كل أجنبي عنّا، نقلده ونتبّع أثره دون رويّة أو إمعان.

(1) - الآية 59 من سورة النساء 4. وفي الأصل سقطت (أطيعوا) الثانية .



وذهبت في إحدى المرات إلى نادي جمعية الشبان المسلمين، فرأيت فوق منضدة المطالعة عددا كبيرا من المجلات الشرقية. منها الصادر سنة 1909، ومنها الصادر سنة 1938. ولما سألت الحافظ : أين المجلات التونسية؟ ليس عندكم منها شيء تضيفونه إلى المجلات الشقيقات؟ فما كان جوابه إلا أن قال لي : إن شبابنا عزوف عن المجلات التونسية، غير مقبل عليها، حتى اضطررنا إلى عدم إخراجها. وهذه شهادة صادقة قالها ذلك الشاب المسلم بعد التجربة المتكررة، وبعد اليأس الذي أدى بتلك المجلات إلى أن تُقبر بالخرانة، وتبقى بالفهارس لا غير. وليت حظها كان كحظ الآثار، فيتردد عليها الزوار والرؤاد، وتبعث فيهم الفكرة والشعور، ولكنها مسكينة كُتِبَ عليها الوأد والنسيان.

فلنأخذ إنتاجنا الأدبي، ولنقابلهُ بإنتاج شقيقاتنا الشرقية. ففي العهد الذي كانت تبرز فيه مجلات « الأفكار » و« الجامعة » و« شمس الإسلام » و« مكارم الأخلاق » كانت مجلات « الصباح » و« الفكاهة » و« الاثنين » و« البدائع » أيضا أكثر رواجاً عند وسطنا المثقف وناشئتنا التي يُعتمد عليها في تشجيع الإنتاج والتأليف ؛ حتى صار كل من أراد إبراز مجلة أو صحيفة كأنه مُقَدِّم على مغامرة. وإذا كان المغامر له نصف الرجاء على الأقل في الفوز، فإنَّ هذا التونسي المسكين يكاد يجزم بالخسارة والإفلاس. ولو سألت أصحاب تلك المجلات والنشريات لأرؤك (قائمات) الخسارة، و(قائمات) الربح ؛ وإذن لهالك الأمر، ولأدهشتك النتيجة !

وإذا سألت هؤلاء المُعرضين عن إنتاجنا الأدبي، أي سبب دفعهم إلى ذلك؟ فإنك لا تسمع منهم إلا عبارات السخط



والامتحان على التونسي، وعلى إنتاجه وقيمته ومجهوداته. وأؤكد لك أن هناك منهم من يقول هذا الكلام بدون أن يطلع على ما كُتِبَ أو من كَتَبَ. وهم في هذا غالطون مخطئون، لأننا ما دمنا لا نشجّع، بل ما دامت فكرة التشجيع منعدمة فينا، فإنه لا يتأتى لنا أن نصل إلى الغاية أو يتكوّن فينا الرفيع الذي نصبو إليه، ونتعلل من فقدته بعدم التشجيع والمناصرة. يفعلون ذلك لأنهم لا يعلمون - كما يقول أحد علماء الغرب - أن المجلة أو الجريدة يكونها قراؤها لا مديرها. وهذا هو داؤنا لأننا نكسب المديرين ولا نكسب القراء، ولأن المدير هو الروح والقراء هم الهيكل والمادة. وما دامت المادة مفقودة فإن الروح تبقى في الفضاء سابحة هائمة حتى إذا طال بها الانتظار، وبُعِدَت بها الشُّقَّة فرَّت إلى العدم دون رجعة.

عندنا المديرون والمحرّرون والكتّاب والمفكّرون، ولكن من أين لذلك المدير أن يبرز صحيفة أو مجلة، وهم - كما تعلمون - الفقراء المعدّمون؟. وهبْ ذلك المدير اقترض مالا لا اشتراء اللّوازم وأجرة المحررين والكتّاب. فهل تضمن له الربح أم أنك تُعِين كاتِب (الفلسة) على تقييد المتاع، وتستعدُّ بدراهمك، التي بخلت بها عن تشجيع إنتاجه، لتشتري بها أثاثه ومتاعه؟

وقلت سابقا أجرة المحررين والكتّاب، وذلك لأنه من العيب الموجود فينا ومن عدم تقديرنا للأدب أن صاحب المجلة أو الصحيفة لا يدفع للأديب أو الكاتب (فرنكا) عن مقالة أو قصيدة عَصَرَ فيها قريحته وأجهد فكره. ولو كان دفع العِوضِ أمرا واقعا لسرنا خطوات موفّقة في سبيل الرقي. فبكل أسف نجد أديبنا لا يعيش من أدبه ولا يعتبره ذخيرة

وكنزا حتى يحرص عليه، ويُجيد أساليب وقايتة وإحكامه، ويسعى ليله ونهاره في سبيل ترقيته وتحسينه؛ لأنه - إذ ذاك- يعتقد أنه بقدر الإحسان تتوافر له أسباب الحياة، وبقدر الإجابة يتحصل على ما يكفُّ به تكاليف المادة وشره البدن.

وكم من شخصية تونسية، أو تأليف تونسي، لا يعظم في أعيننا إلا إذا امتدحه أدباء الشرق، أو كتّب في صحفهم ومجلاتهم. فكتاب « كشف الحجب عن مدينة العرب » (1) مثلا ما التفت إليه الشباب التونسي، ورآه من الكتب النفيسة - رغم صغر حجمه ووفرة مادته - إلا عندما امتدحه الأستاذ كرد علي (2) فوق صفحات مجلة الرسالة (3).

(1) كشف الحجب عن مدينة العرب أو الحركة العلمية عند العرب وماخذ الإفرنج عنهم، طبع بتونس سنة 1933 (أو 1934)، من تأليف الحقوقي محمد (بالفتح) بن أحمد بن عمار الورتتاني (1889/1306 - 1972/1392). اشغل بالترجمة والقضاء وتدريس القانون. انظر : معجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ : 1/5 - 121-122، ومشاهير التونسيين، محمد بوذينة، ط2، تونس 1992 : 605 - 606.

(2) كرد علي : هو العالم والكاتب والصحفي والوزير السوري محمد بن عبد الرزاق كرد علي (1293 / 1876 - 1372 / 1953). من مؤسسي المجمع العلمي العربي بدمشق ورؤسائه. كان له نشاط إعلامي متعدد، منه إصدار مجلة المقتبس سنة 1324 / 1906 في ثمانية مجلدات وجزئين. ومن أعماله : خطط الشام في ستة مجلدات، وتاريخ الحضارة، وأمراء البيان، وغيرها. راجع : الأعلام للزركلي : 202 / 6 - 203.

(3) الرسالة : مجلة أدبية أصدرها بالقاهرة أحمد حسن الزيات في 15 جانفي 1933، وتوقفت في 15 فيفري 1953. ثم عادت إلى الصدور في 25 جويلية 1963 لتتوقف ثانية سنة 1965. اكتسبت شهرة واسعة لدى الكتاب والقراء مثلما ذكر ذلك الشيخ العروسي. انظر عن شهرتها في تونس وتأثيرها في التونسيين كتابنا محمد الحليوي ناقدا وأديبا : 115 - 118.

ولا أقول إن سبب اهتمامنا به (هاته الأيام)، هو انقطاع مادة الشرق عنا. فالمسألة كانت قبل ذلك. وفي الزمن الذي كان كتاب « الخيال الشعري عند العرب » (1) يُباع بخمس فرنكات كنتُ تراه عند الورّاقين أكداً بعضُها فوق بعض عليها أتربة الإهمال والنسيان. ولو توخَّينا صدق القول - الآن - وفتَّشنا كم عدد مالكيه في جمعنا هذا لاحمَّرت الأوجه، وندمنا جرَّاء الفضيحة.

وأغربُ ممَّا تقدَّم أن التونسيَّ إذا ما كتب مقالةً بمجلةٍ شرقية ترانا نقبل، بكل لهفة واشتياق، وكل ثقة واطمئنان، على قراءتها؛ كأن وجودها بتلك الصحف دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صلوحيتها للنشر والاطلاع. وقد يكتب ذلك الكاتب نفسه مقالةً أحسن من تلك التي (تمصَّرت) أو (تسوَّرت)، ولكن ينشرها في صحفنا ومجلاتنا فتصادف منا الاشمزاز والاحتقار، لا لذنب جنته سوى أن شهادة الشرق لم تكتب لها في سجل حياتها.

هذه حقيقةٌ فينا لا غلُوَّ فيها ولا شطَط، ولا يُنكرها إلا المعاند والجاهل بحقيقة الأمر؛ ولا يعترف بها إلا المخلص الذي لا يريد أن يُخادع نفسه، أو يُناقض أمته.

وهاكم قصة أخرى. في السنوات الماضية صادف الحظ أن أول شريط سينمائي تونسي « مجنون القيروان » ابتدء عرضُه بسينما « روابال » في نفس اليوم الذي

---

(1) الخيال الشعري عند العرب : محاضرة لأبي القاسم الشابي ألقاها في 20 شعبان سنة 1347 / 1929 في قاعة الجمعية الخلدونية. ثم نشرها في كتاب سنة 1348 / 1929. له طبعات متعددة.



عرض فيه شريط « يحيا الحب » لأول مرة بتونس  
بسينما « المنديال ». فماذا كنت ترى ؟ كنت ترى الجموع  
الغفيرة التي لا تحصى أمام « المُنديال » يتضاربون  
من أجل اقتطاع التذاكر، ويتشاحنون من كثرة الزحام  
وطول الانتظار ؛ وبالجانب الآخر كنت ترى الفراغ أمام  
« رويال » كأنَّ ما تعرضه في ذلك الشريط شيء لا  
يستحقُّ النظر، أو أنه يجلب العار والمذلة.

لست أتكلّم الآن على الاعتبار الفني لكلا الشريطين  
لأنهما في نفس الأمر كانا ضعيفين كليهما؛ بل لعل « مجنون  
القيروان » كان أبلغ من حيث عمق الفكرة والتعبير عن  
الغرض المقصود.

لا أتكلّم على ذلك، وإنما أقول إننا لم نشاهد بعدُ الشريطين  
حتى نحكم عليهما بالحسن أو الفساد. إنما احتقارنا لأنفسنا  
دفعنا تَوًّا إلى ذم الشريط التونسي ومدح الشريط الآخر. لا  
لذنب سوى أن ذلك مجلوب من الشرق، وهذا فلم تونسي  
ممثلوه تونسيون، ولغته تونسية.

ولو ذهبنا جميعا إلى بيان الأدلة، وتوضيح البراهين،  
على عدم إعطاء قيمة لأنفسنا، لطال بنا الأمر، وتشعبت  
أمامنا المسالك.

إنَّ داء الشعور بالحقارة لن يخلص منه، في هذه الأمم  
المتخبطة فيه والمغلوّبة على أمرها، إلا أولئك الذين عظمت  
نفوسهم حتى تجاوزت عظمتها الحدود، فحلقت في سماء  
الشعور بالكرامة والعزة بالنفس إلى الحدِّ الذي تسخر فيه بتلك  
الغشاوة التي تلقى على بصائر السُدج وعقول المستضعفين.



وإنك لترى جمال الدين الأفغاني<sup>(1)</sup> يطوف بعواصم أوروبا، ويجتمع بساستها وعظماؤها، ويجوس خلال مجامعها وأنديتها. إنك لتراه هناك يسير، وهو مرفوع الرأس بعمامته الناصعة البياض وبقفطانه الواسع الفضفاض، وهو شاعر بالغة والكرامة وسط الرؤوس الحاسرة والأزياء اللولبية.

وإنك لترى المهاتما غاندي<sup>(2)</sup> داخلا إلى مجلس « اللوردات » بخُفِّه البسيط، وإزاره الحقيق، وردائه الهندي الساذج. إنك لتراه كذلك، وما يزداد هذا المجلس إلا توقيرا له وتعظيما لشأنه. وكأنني به، لما استكمل عظمته النفسية، ترك ذلك الزيِّ التمثيلي، وتمسك بلباسه الإحرامي، كأنني به يقول لهم : إنكم لا تستطيعون ابتلاع الروح الهنديِّ ما دام هذا اللباس في الوجود لأنه لا ينسيني هندية من لحظة من زمن.

وإنك لترى الدكتور محمد بن أبي الشنب<sup>(3)</sup> يترأس المجامع

---

(1) الأفغاني : محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين (1838 / 1254 - 1897 / 1315).

أشهر رجال النهضة الإسلامية العربية في العصر الحديث. تتلمذ له محمد عبده فكان من أبرز مناصريه في بث الوعي النهضوي، وأسس معه جريدة العروة الوثقى. تجول في البلاد الإسلامية والأوروبية، وله عديد المصنفات والمقالات. انظر : الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني مع دراسة عن حياته وأثاره، إعداد ودراسة محمد عمارة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة 1968؛ والأعلام للزركلي. : 168/6 - 169... إلخ.

(2) غاندي : زعيم سياسي هندي ولد سنة 1869 وتوفي سنة 1948. اشتغل بالمحاماة. ودعا إلى مقاومة الاستعمار الانجليزي مقاومة سلمية. اغتاله هندوسي أثناء تأديته الصلاة بحجة إرضائه مطالب المسلمين. انظر الموسوعة الميسرة، دار نهضة لبنان 1980 : 2 / 1251.

(3) محمد بن أبي الشنب : هو محمد بن العربي بن أبي الشنب أو أبي شنب. ولد =

العلمية، ويتوسط المحافل الثقافية العالمية، وهو هو الجزائري بعمامته، الإفريقي بلباسه وبزته.

ما يضرُّ أولئك الأبطال لو عدلوا عن ذلك، وسار عوا إلى التقليد، وجروا مع التيار الجارف. أبلغ بهم التعصُّب إلى هذا الحدِّ، أم قعدت بهم الحياة التقليدية الرجعية إلى هذا الحدِّ؟

أما أنك لو تتبعت السير عن كتِّب لبان لك أمران اثنان :

أما أولهما فلما في نزع ذلك الشعار من فكرة الاندماج ومحو الشخصية والإقدام على الأمر قبل تعرُّف غاياته ونتائجه.

وأما ثانيهما فهو أننا إذا ما أردنا أن نحتذي الحضارة الغربية فلا ينبغي لنا أن نبدأ بالقشور ونترك اللباب، وأن تستهويننا المظاهر الخارجية دون أن نؤمن في التفتيش عن حاجياتنا التي هي أشدُّ تأكيداً لنا من اللباس، وأحوج ما نكون إليها من القشور. وبعد ذلك تكون لنا القدرة الكافية لا على الاتباع فقط، بل على الابتكار والإبداع، بل على الخلق والتكوين حسب القواعد التي تفرضها علينا وضيعياتنا من حيث البيئة والطقس، ومن حيث العادات والأوضاع، ومن حيث الأنظمة والتقاليد.

أما الاندفاع هكذا دون روية أو تفكير، فهو نتيجة حتمية

---

= بقرية المدية (الجزائر) سنة 1286/1869، وتوفي بالجزائر سنة 1347/1929. تعلم لغات عديدة. واشتغل في كلية الجزائر أستاذا للغة العربية. عين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وفي أكاديمية العلوم الاستعمارية بباريس. له عدة تصانيف. منها : تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب. انظر الأعلام، للزركلي : 5/ 266-267، وموسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين : 15/191-193... الخ.

لذلك الداء الوبيل، داء الشعور بالحقارة. فترانا نستبِق إلى تقليد من نراه أعظم منا، وأتباع أثره (1).

وليس ما أقوله هو حملة على الذين يلبسون اللباس الأفرنجي أو غيره من اللباس، لأنه بكل أسف ليس عندنا زيٌّ خاص بُني على طبيعة أرضنا ونُظمتنا وعاداتنا. وإنما لباسنا «كرنفالات»، واسمٌ كوَّنته موجات الشعوب التي وطئت أقدامها هاته الأرض منذ العصور الحجرية إلى زمننا الحاضر، سواء كانت شعوب غزو واكتساح، أو شعوب حضارة وتمدين؛ إذ كل من هؤلاء وأولئك بعد قضاء الزمن الذي قُدِّر له أن يقضيه هنا، ترك فينا زيّه ولباسه وأنظمتَه وطرقه نتخذها دون أن نفكر فيها، لا لعلّة سوى أننا احتقرنا أنفسنا فاتخذنا زيًّا ونظم من رأيناه أعظم منا وأقدر.

(1) بعد هذه الكلمة وجدنا سهما يشير إلى فقرة أضافها الشيخ العروسي على ظهر الورقة السابقة (17 ظ) نقل فيها فقرة عن الكاتبة والصحفية المصرية أمينة السعيد من رحلتها إلى الهند يبدو أنه كان يودُّ الاستشهاد بها عن ظاهرة التنكر للزيّ الوطني خلافاً للسابقين : الأفغاني وغاندي وأبو الثنّب. وهذا نصها على لسان الكاتبة : « وكان لظهوري بالزيّ الأروبي رنة كبيرة من الدهشة في الهند. وسألني الناس تباعاً عمّا حدث لمصر حتى تنكر زيّها الشعبي، وتتشبه بالغرب؛ فاضطرت عشرات المرات إلى توضيح هذه المسألة، وأفهمتهم أنه لم يكن للمصريين ملبس خاص، وثيابهم التي عرفوها قرنا بعد قرن مقتبسة من غيرهم بحكم العناصر المختلفة التي توالى على البلد، وبحكم موقع مصر الدولي. ولم يكن لتوضيحي أثر كبير في إقناعهم؛ فكانوا يهزون رؤوسهم أسفاً، ويقترحون عليّ أن أقوم بدعاية واسعة في بلادهم فأبشّر بزيّ « الصاري » وأدعو المصريات لارتدائهن. ولا أظن أنني سأقوم بتلك الدعاية في الصاري على جماله. ثوب غير عملي لا يناسب امرأة تقّتح الحياة العامة، وتتشارك فيها » (أمينة السعيد : مشاهدات في الهند. سلسلة اقرأ، عدد 445، أغسطس 1946، ص 52 - 53).



وهكذا البرنوس والجبة والكدرون والقشبية والحرام  
والوزرة والصدرية والمنال والبوزة والقذوارة والمعطف  
والسراويل والفيستة والجوليك. وترى الطربوش والشاشية  
والكبابك والعمامة والزنار والكرافات والكبيته والرأس  
الحاسر. أليست هذه الأنواع كلها تمثل الأدوار التي مرّت  
على هذه الأرض من بربر وقرطاج (1) وروم ووندال ورومان  
وعرب وإسبان وتُرك وفرنسيس؟ أليس هذا يدل على أننا من  
شدة شعورنا بالحقارة نُسرِع إلى التقليد والاندماج حتى إذا ما  
استحکم فينا ذلك الأمرُ أبينا العدول عنه، وتمسكنا بأهدابه؟ ثم  
أليس هذا مما يدل على أننا لم نتخذ زياً يُفصح عن وضعيتنا  
وذاتيتنا، ولم يُبين على مقتضى أخلاقنا وعاداتنا؟

وقد يستغرب بعضنا هذا الرأي، بيد أنه لو علم أن الأزياء  
والمظاهر الطبيعية لها قواعدها الخاصة، < وأنها > بُنيت  
حسب طبيعة الأرض وأنظمة الأوضاع، وحسب نفسيات  
الشعوب وعُرف الأقاليم. أقول: لو علم ذلك البعض مثل هذه  
الحقيقة لتقشعت عن سماء فكره سحابة الدهشة والاستغراب.  
فهل كان سكان الأقاليم القطبية، وسكان مجاهل الصحراء  
وخط الاستواء، متفقين في الأخلاق وطبيعة البنية وأجواء  
الأقاليم؟ إن هذين النوعين يمثلان أكبر التباين وأبرز التخالف  
في الأوضاع والأنظمة. أمّا ما بينهما من الأقاليم فإنه مندرج  
بين ذلك على نسب مطردة محدودة، وقواعد طبيعية قارّة، من  
الخط أن يقع التخليط بينها، والاندماج فيها.

(1) كذا في الأصل: قرطاج. ولا شك في أنه قصد بها القرطاجيين سكان  
قرطاج.



وهل إن مذاهبَ الإباحية المطلقة، ومذاهبَ التزمّت والجُمود، مُتَّفَقَةُ الأنظمة والأخلاق والأوضاع والتقاليد؟ وإذا كان هذان النوعان يُمثّلان طريقَ الإفراط من جهة، والتفريط من أخرى، فمن الخطل في الرأى أن نحكم باندماج المذاهب المعتدلة الأخرى في هذا الطرف أو ذاك.

لقد أطلت الكلام في هذا الأمر الأخير لِمَا أعلمه من أن كثيرا من الناس ربما يخالف هذا الرأى، ويراه غير صواب.

هذا هو (1) بعض الوجوه من نصيبنا من مظاهر الشعور بالحقارة، أو العظمة المزيفة. وإنكم - أيها السادة! - كما ترونه قل من كثر. فما هي طرق العلاج يا ترى؟ وهل إن هذا العلاج ميسور الحصول، سهل المآخذ؟

أما أفا فلي شيء من الرجاء، وشيء من اليأس. يأس في علاج أصنافٍ ثلاثة تمكّن فيها الداء، وامتزج بكيانها، من الصعب استئصال جذوره واقتلاع أصوله؛ لأنه يستدعي إبدال النفسية، وتغيير الهيكل المعنوي برمّته، ثم إخراجها من جديد في القلب الذي يرضي، والمظهر الذي يسرّ. هاته الأصناف الثلاثة هي: الشيوخ، والكهول، والشباب. وأسفي شديد إن (كنا) ضمن هاته الأصناف.

ولي شيء من الرجاء في نشئنا القادم، والجيل الذي سنكون مسؤولين عنه أمام الحق والتاريخ. هذا النشء يلزم إعداده وتكوينه حسب القواعد المكوّنة للشخصية الذاتية

(1) كذا في الأصل، ولعل الأنسب: هذه هي.

والشعور بالعزة، بعيداً عن شرك الوهن، وعدوى الضعف والانحلال، ومصادر الخوف والانكماش.

إذا فعلنا ذلك نكون، على الأقل، قد أدبنا بعضاً من واجباتنا، إن لم يكن هذا البعض هو أولها أهمية، وأول ما يدعونا إلى ذلك؛ لأننا صرنا نعلم كم كان أثر هذا المرض فينا؟ وكم كانت عواقبه التي شاهدناها، وما زلنا نشاهدها؟

وإذا رأيتم أني قد أطلت في تبين الداء، وقصرت غاية التقصير في بيان طرق العلاج، فلنكن تلك الأسطر، التي قيلت، بمثابة الورقة (روشتة) (1) التي يُعطيها الطبيب للمريض بعد أن يقضي ساعة في استوصافه (2)، ثم يقدمها المريض للصيدلاني، فيقضي هذا الأخير، مثل ما قضى الطبيب، في استحضار ما فيها، وتهيئة عقايرها.

فَلَاكُنْ حَامِلَ التذكرة، ولتكونوا الصيادلة. والسلام عليكم ورحمة الله. اهـ

قيلت في نادي الإخوان الزيتونيين

في 14 أبريل 1945 / 2 جمادى الثانية 1364.

العاصفة الهوجاء (مخطوط) : 2 - 21.

---

(1) روشتة : تعريب مشرقي للمصطلح الإيطالي Ricetta وفي الفرنسية Re-cette. ومعناه : وصفة الطبيب. انظر :

Dictionnaire Français - Italien. collection Saturne. Librairie Larousse 1981. Imprimé en Italie 1984.

(2) استوصافه : كذا وردت، ولعلها استيصافه كاستيعاب من استوعب، واستيحاش من استوحش، بسبب الإعلال والقلب. واستوصف الطبيب المريض : تكلف وصفه .

#### 4 - روائح الجنة في الشباب

تلك كلمة قالها أبو العتاهية (1) منذ زمن بعيد مُستروحاً معناها من حديث شريف (2). وهي، لعمرى، أجل مِدحة للشباب، وأحسن إطراء من كثير الكلام.

فلماذا كانت روائح الجنة في الشباب دون غيره من أطوار عمر الإنسان ؟

لقد كان ذلك لأن الشباب جميل والجنة جميلة، ولأنه آمل وأحلام. وما الجنة إلا رمز القوة الإلهية والتماسك السرمدي، ولأنه زهرة العمر والجنة محفوفة بالأزهار والرياحين.

(1) - أبو العتاهية : إسماعيل بن القاسم بن سوَيْد العيني. شاعر عباسي ولد سنة 130/748، وتوفي سنة 211/826. تخصص في شعر الزهديات. له ديوان شعري نشره شكري فيصل مع أشعاره الأخرى في ديوان بعنوان « أبو العتاهية : أشعاره وأخباره »، مطبعة جامعة دمشق 1384/1965. والقولة هي شطر بيت شعري ورد في أرجوزته « ذات الأمثال » (نفسه : 448) وهذا نصه كاملاً :  
يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

وقد أعجب القدامى والمحدثون بهذا البيت أيما إعجاب. من ذلك ما قاله الجاحظ :  
« في قول أبي العتاهية روائح الجنة في الشباب معنى كمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته إلا القلوب، وتعجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدامة التفكير. وخير المعاني ما كان القلب إلى قبوله أسرع من اللسان إلى وصفه » (نفسه : 466). وانظر عن أبي العتاهية : الأعلام للزركلي : 1/321، وتاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ : 3/190-195... الخ.

(2) في الأحاديث النبوية عدة أحاديث تشتمل على التركيب الجزئي رائحة الجنة، وأخرى على الشباب. انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : من قتل نفساً معاهدة لم يربح رائحة الجنة، وقوله في حديث آخر : أهل الجنة شباب جُرد مُرد كحل، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم. انظر الحديثين في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وغيره من كتب الصحاح.



ولأن الشباب فوق كل ذلك سلّم واطمئنان، وما الجنة إلا سلّم لا غَوْل فيها (1) ولا حروب، ولا مشاحنات ولا خطوب. وقد يستفهم القارئ : وكيف يصح هذا القياس مع وجود الفارق، كما يقولون، ولكن لِيَعْلَمَ حضرة القارئ أنني لأجل هذا وحده أحببت أن أكتب هاته الكلمات.

إن الشباب بعيد عن الشره المادي المُسرف البغيض، وبعيد عن شهوة الأثرة الممقوتة لأنه ما زال أملاً في طول العيش وسعة البقاء، فيظهر أمامه الزمن فسيحاً لا يطلب منه سرعة العدو، ولا شراهة الأكل. أما الكهولة والشيخوخة فلا تجعل نصب عينيها إلا الفناء والاضمحلال ؛ فهي تَعُدُّ أنفاسها صباح مساءً، وتخشي الفراق قبل نَيْل الوَطْر، فتتأطى فيها نار الرغبة المشطّة، ويستعِرُ فيها جحيم الشهوة والأثرة ؛ فتسعى ملهوفة للازدراء والالتقام، جاعلة مقياسها نظرتها لا طاقتها، ويصبح سعيها على نسبة الأمل الطامح لا على نسبة الكفاية المرغوبة. وهناك تتعارض المصالح وتتصادم الغايات، فيسعى كل للتغلب والفُج، ويستخدم كل ما عنده من عتاد وذخيرة، ومجهود ومقدرة. أما أخطر مجهود وأعظم ذخيرة فذلك الشباب الذي يتبجّحون عليه بالأبوة، ويغالطونه بالخبرة والتجربة، ويوهّمونه بالمثل الأعلى والواجب المقدّس.

(1) غَوْل : ما ينشأ عن الخمر من صداع وسُكْر. وفي العبارة تناص مع الآية القرآنية : ﴿ لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزفون ﴾ الآية 47 من سورة الصافات 37.



وأقبل القرن العشرون فحاض العالمُ جميعُهُ حربيين مهولتين ولما ينتصفِ القرن. فكانت تتبعث في فترات متباعدة أصوات ضئيلة تدعو إلى السلم الحقيقي؛ لأنها كانت أصوات الشيوخ الزاهدين؛ وهم بعداء عن المعترك، منعزلون عن الغوغاء؛ فتمرُّ أصواتهم كهبة النسيم في حمارّة القيط لا هي بالدائمة، ولا يستطيع الإنسان جليها. أما جزاء هؤلاء الدعاة فإن المحفوظ منهم تناله جائزة نوبل للسلم وكفى!

أما اليوم فالشباب نفسه هو الداعي إلى السلم، الساعي إلى العدالة. وما سعى وما دعا الا لسببين: أولهما انه رأى أن الأكلة التي تقدم لتمساح الحرب إنما هي لحوم الشباب لا غيره، وأن ذلك التمساح لا يعرف للشبع معنى. فهو جحيم الدنيا كلما ألقى فيه فوج يقول هل من مزيد؟ وتكون نتيجة تلك المعامع لا ترجع إلى تلك الضحايا، وإنما هي إلى أولئك الشيوخ والكهول.

أما ثاني السببين فهو ما قلناه سابقا من أن نفسية الشباب ما زالت بعيدة عن التفكير في القبر والفناء، ذلك التفكير الذي ينتج الرغبة والشره، فتتولدُ الإحن والحروب.

فإذا كان الشباب اليوم يدعو إلى السلم، ويعقد المؤتمرات في سبيل كبح جماح الطغاة والمستهترين، وصدّهم عن تنفيذ فكرتهم الشاخصة إلى القبر والفناء. أليس في هذا العمل رائحة من روائح الجنة التي لا عول فيها ولا خطوب، ولا مشاحنات ولا حروب.

وأخيرا أهمس في أذنك، أيها الشباب ؟ قائلا : هل  
دعواك ستصحبك إلى المشيب، فتكون متّحدة الفكرة مع  
شباب الغد ؟ وهل أنت أمل في جعل دنياك هاته جنة  
مستعجلة ؟ إنك تستطيع ذلك، ولكن من يضمن بقاءك على  
هاته الفكرة، واستمرارك في الدعوة إلى السلم رغم تقمُّصك  
لباس الكهولة وأثواب الشَّيْخوخة ؟

كتبت بمناسبة عيد الشباب العالمي لسنة 1947

سجل العاصفة الهوجاء (مخطوط) : 64 - 66.

واعتمدنا نشرة الأسبوع، العدد 52،

الأحد 8 جمادى الأولى 1366 هـ / 30 مارس 1947.

## 5 - أنت والصيام

أنت من الصيام أخذ ثلاثة :

واحد يرى فيه امتدادا لمألوف قديم، وعادة موروثه. وتختلف نظرته إليه باختلاف نظرته إلى القديم والموروث. فهو متبرم به، ساخط عليه، لا لشيء سوى أنه قديم؛ وكفاه القدم عيبا يوجب طرحه وإهماله. ولكن ما دام هذا الصيام يأتي كل عام، وتهفو إلى مقدمه قلوب الملايين من البشر، فلا أقل من أن يُنظر إليه كما يُنظر إلى كل عادة من العادات، أو امتداد من امتدادات رواسب المألوفات البشرية، يجد فيها الناظر بعض التسلية والعبرة ما يجد أكثره في طرائف الأشياء ومستحدثات الأنظمة وأساليب العيش. ومثل هذا الواحد لا يضيره أن يكون مشاهدا لتمثيل هذا المشهد المتكرر تمثيله على مسرح الحياة ممن تطوعوا إلى ذلك، وكلفوا أنفسهم مشقة وإعناتا.

وإما أن تكون واحدا آخر ينظر إلى الصيام بمنظار التقليد، لا يكلف نفسه عنت البحث أو مشقة التفكير. حسبُه أن يصوم كما يصوم الناس، وأن يحتفل كما يحتفلون. هو يالف هذا منذ أن أصبح يدرك أن مواطنيه يُمسكون عن الطعام والشراب كامل اليوم مدة شهر من كل عام، حتى إذا أصبح قادرا على الإمساك ساير الجماعة والتحق بالقافلة.

ومثل هذا الواحد لا يضيره أن يكون متسرבלا بالظواهر، مكتفيا بالقشور. فليس له من صيامه إلا جوع وعطش. ولا يجد من وجدانه تلهفا إلى السموّ، أو اشتياقا إلى العوالي. ولهذا لا يمنع نفسه عن رفب القول والفعل؛ بل لعله يتكلف ذلك الرفث

ويُسرف فيه، فيخسر بذلك صَفَقَتَيْهِ، وذاك أبين الخسران.

وإما أن تكون الواحد الثالث : ذاك الذي ينظر إلى الحياة بمزيج من عقله وقلبه وفكره ووجدانه. ليست الحياة عنده شيئاً عقلياً جامداً، ولا عاطفياً مائعاً. ولم تكن الحياة عنده فترات مقطوعة الحلقات دون ارتباط أو انتساب : اليوم يلعن الأمس، والغد يتبرأ من اليوم. إنما هي عند هذا وذاك يراها مزيجاً من الفكر والوجدان. لحمته التناسبُ وسداه الاعتدال. وهو يراها كأننا حيا خاضعا للنشوء والارتقاء يسعى إلى الكمال الممكن دون أن يستطيع انفصالاً عن بذوره الأولى وجوهره الأصلي.

إن هذا الواحد (الثالث)، إذ ينظر إلى الصيام، إنما ينظر إليه حسب هذا المنهج الذي رسمه، والمقياس الذي اتخذه. ينظر إليه من خلال وجدانه فيحسُّ بالارتباط المتين بينه وبين خالق الكون ومدبِّره. وإذا بالحياة ليست هذه الأشياء المادية الخاضعة للتجديد فحسب، وإنما هي آفاق أخرى ما عُرف منها لم يكن إلا جزءاً صغيراً، وصغيراً جداً بالنسبة إلى ذلك المجهول بالمقياس المادي الضيق. وبذلك يجزم أنه خُلِقَ لما هو أوسع وأشمل مما يقع تحت قوانين المادة وأوضاعها، وأنه يسعى به إلى ما يسمُو بإنسانيَّته، ويوصلها بما هو أشمل وأكمل.

وينظر إلى الصيام بفكره فيري حكمة التشريع، وسمو الغاية، وجلال التهذيب، متمثلاً كل ذلك فيما يقَدِّمه الصيام للمجتمع من معاني المساواة والمواساة، وما يقَدِّمه للفرد من عبر التصبُّر، واحتمال المشقَّة في سبيل الأهداف التي يرمي إليها والمبادئ التي اعتنقها. وهو فوق ذلك يُفيد جسمه وينفع



بدنه. والأكثر من ذلك أنه يحرّره من أكبر قوة مسلّطة عليه، ويحرره من استعباد الغرائز ورقّ الميول والشهوات. وتلك أعظم القوى تحكّما وتسلّطا على الإنسان، فلو تحرّر وتخلّص منها لابتعد عن أغلب مشكلاته وأعقدها؛ فكان الصوم تجربة متكرّرة ليتغلّب الإنسان - قدر الإمكان - على تلك القوى ما دام التخلّص منها تماما بعيد المنال، عسير التحقيق.

ومثل هذا الواحد (الثالث) يضرّه أن يبتعد عن هذه الأهداف السامية التي يراها في الصوم ويرجوها منه. وفي سبيل ذلك يحاول - جاهدا - أن يقترب منها ويتعظّ بها. وذلك هو الصيام الحقّ الذي ندب إليه (1) الإسلام وأوجبه، واعتنقه المسلم الحقّ وتقبّله. حتى إذا ما أهل هلال رمضان اهتزّ وجدانه واستبشر به فكره. وكم أودُّ أيّها القارئ أن تكون من هذا الصنف!

محمد العروسي المطوي

عضو نادي القلم

الأخبار، غرة رمضان 1373 / 4 ماي 1954

### تنوير:

هذه المقالة كان نشرها الشيخ محمد العروسي في جريدة الأخبار لصاحبها محمد الأخضر بلحاج بتاريخ يوم الثلاثاء غرة رمضان 1373 / 4 ماي 1954، ضمن ملفّ عن الصيام أعدّه أعضاء نادي القلم: محمد العروسي المطوي، والبشير العريبي، والهادي حمو، ومحمد صالح عبد الله (المعروف

(1) ندب إليه الإسلام: دعا إليه.

بمحمد بن إبراهيم في ما بعد). رحم الله المتوفين، وأطال عمر  
أستاذنا البشير.

وفيها تتجلى روح دينية عميقة، وإيمان بريء من الجمود  
والشوائب، وصاف من بالي العادات والتقاليد والترهات؛ كما  
يتجلى فيها أيضا التجديد في الخطاب الديني اعتمادا على التحليل  
المنطقي، وأساليب الإقناع، ومخاطبة الفكر والروح بما عبر  
عنه القرآن الكريم بقوله ﴿وجادلهم بالتى هي أحسن﴾، وهو  
ما يتساق وروح المسلم المعاصر وفكره المتعطش إلى برء  
الإيمان واليقين.

ومع أن هذه المقالة قد مضى عليها أكثر من نصف قرن  
فإنها ما تزال - في نظرنا - حية صالحة لعصرنا؛ فكانها  
كُتبت اليوم لا أمس، وتُخاطبنا نحن المعاصرين بالذات لا  
السابقين الماضين وحدهم، نحن الذين نعيش عصر الحداثة  
وثقافة المعرفة ومخاطر العولمة، ونتعرض للمسح والطعن  
في عقيدتنا وهويتنا الإسلامية السمحة. فهلا نتدبر ما فيها  
من أهداف رمى إليها الشيخ محمد العروسي لإقناع المسلم  
المعاصر بقيمة فريضة الصيام وأثرها في حياة الفرد والمجتمع  
والأمة الإسلامية قاطبة؟

## 6 - السرج والفارس

كان البدر يُرسل ضوءه الهاديءَ الباهتَ على القرية الحالمة، فيكسوها حُلَّةً عجيبية من الرُّوعَةِ والجلال : روعةِ السكون الحبيب، وجلالِ الهدوءِ الشامل. فقد كانت القرية لا تزال في ذلك الهدوء الذي يعقُبُ غروبَ الشمس، وانصرافَ الناس إلى طعامهم يُصيِّبون منه كل على مقدار.

وكنا جلوسا أمام «حانوت» السيد أحمد نتجاذب الحديث حول هذه الحياة التي نعيشها، وحول هذه الألوان المختلفة من ضروب الكدح وأنواع الكفاح في سبيل حياة العزة والكرامة. وما كان يشغلنا عن حديثنا ذاك سوى لحظات الوجود، أو حين الاستماع إلى نباٍ جديد من تلك الأنباء التي كنا حريصين على اقتناصها، متتبعين لآثارها. ولكنَّ صوتاً ناعماً شجيّاً مزقَ سكونَ القرية، وكفناً عمّاً كنا فيه من حديث. إنَّه صوت شجِّي حُنُونٌ بعثت به صبايا القرية ليُضفيَ عليها من جلال اللّحن ورُوعَةِ الغناء ثوباً شفافاً جميلاً، وليزيدها روعةً وجمالاً. وكان صوت العذارى يترنم بأغنية شعبية، فيها غَزَلٌ وسموٌّ. كان الصوت :

العين شافت لثنين      والقلب شايش لواحد  
والسرج ما يركب اثنين      ما زينته كان واحد.

قلت لصاحبي : أسمعتَ ؟ أسمعت ما يردده هذا اللحن ؟

فقال : نعم ! إنه لنعم النعم. لقد زاد من جمال القرية، وإخراجها من سكون محبوبٍ إلى إنشادٍ بديع. إنَّه لأشبهُ بترتيل العابد بعد سبحةٍ فكر، وخشوعٍ صلاة.



فقلت له : ما إلى هذا قصدت، ولا إلى هذا رميت ! ما نحن الآن والشعر والخيال، مالنا والغزل والتبُّل ! تعالَ معي إلى الواقع، واقعنا الذي هو أوسع من الخيال، وأعظم من الأحلام. هذا الواقع الذي أثبت استعدادنا للحياة، وأهلينا للعزة ...

وعاد صاحبي يقول :

لقد أبعدت عني في قولك. وأحسبني قد عدت إلى ذلك البله الذي كان يرميني به أترابي في عهد الطفولة، والذي أخشى أن ترميني به أنت الآن. ألا يتحدث نشيد الصبايا عن الحب، عن ذلك الصراع بين ما تراه العين من مختلف المغريات واللذات، وبين طاقة الإنسان على قبول كل ذلك، وإشباع غرائزه ونهمه؟! أليس هذا معنى إنسانيا خالدا؟ ألا يكفي هذه الأغنية أنها تحمل بين طياتها هذا المعنى السامي؟ إنها - رغم بساطتها - تتضمن مشكلة إنسانية دائمة. وهي فوق ذلك تشير إلى لبِّ الحب وحرِّه. الحب الذي لا يعرف الدوران ولا التبديل، ولا تسوده المراوغة والمداجاة. إنه حبُّ الفطرة الذي يأنف الشرك. وهو الحبُّ الذي يسود أي مجتمع لم يُدنسه رجس الحاجة، وعفن المدينة.

قلت لصاحبي :

ولا إلى هذا أيضا. إنه لأسمى من ذلك ! فلنعدْ إلى البيت الأخير الذي يقول :

والسرج ما يركب اثنين ما زينته كان واحد.

السرج لا يركبه إلا واحد، وبدونه يفقد زينته وجلاله. لماذا؟ لأنه منطقة السيادة ومظهر الفروسية، والسيادة لا تتحمل اشتراكا وازدواجا. وأين عظمة الفارس إذا كان معه



غيره يشاركه سرجه وحصانه؟ إنه البطلان والعدم. وجوده بتوحد على السرج، وعدمه بالاشراك فيه. وشتان بين الوجود والعدم! وما كان السرج في الأغنية إلا رمزا للسيادة. وإذا كان الاشتراك في السرج يُفقد الفروسية، فالازدواج في السيادة يُعديهما؛ أو ليس الإشراف في عقيدة التوحيد يوجب الكفر لأن فيه مسا لسيادة الإله المطلقة على الكون (1)؟! أو ليس الازدواج في السيادة الوطنية كفرا بمعنى الوطنية، وبطلانا للعزة؟!!

تلك هي - يا صاح! - صلة الأغنية الشعبية بواقعنا الذي نعيشه، فلم يكن كفاحنا ونضالنا إلا في سبيل سيادتنا الموحدة. سيادتنا التي لا عزة لنا بتجزئتها أو الإشراف فيها، لأنها بدون توحيد لا تكون. وليس في واقع السيادة وسط بينها وبين العبودية. وهو ذلك المعنى الذي لاحظته فارس بني حمدان في بيته المشهور: (من الطويل)

ونحن أناس لا توسط بيننا

لنا الصدر دون العالمين أو القبر (2)

وهكذا يلتقي بيت الشاعر الفارس بأغنية الشعبية الحبيبة.  
قال صاحبي:

وأيم الحق! إنها التفاتة سامية إلى واقعنا الذي نحياه. لكم مرّت على سمعي تلك الأغنية الجميلة دون أن ألتفت إلى ما فيها ممّا ذكرت. ومن يدري؟ لعل بقية الآخرين لا يلتفتون

(1) - في الأصل المطبوع: مساء للسيادة المطلقة على الكون من طرف الإله.

(2) في الأصل: لا توسط عندنا. وفي ديوان أبي فراس الحمداني: 2

214: لا توسط بيننا. وفضلنا رواية الديوان.

إلى ذلك. حسبهم جميل النغم، ولذة الاستماع. إنهم لو التفقوا  
إلى وحدة السيادة على عرش القلب، ووحدة السيادة على  
عرش الكون لأيقنوا بوحدة السيادة على عرش الأمة. حقاً -  
يا أخي ! - لقد انفتحت أمام عيني آفاقٌ وآفاق، وأذكرتني بما  
قيل : يستطيع الحرُّ أن يُشركك في كلِّ شيءٍ ما عدا سلطانه  
وزوجه. وأعدت إلى ذهني تلك الكلمة الذهبية : « السيادة  
كسرج الفارس لا تتحمّل راكبين ».

محمد العروسي المطوي

عضو نادي القلم

الصباح، 27 أوت 1954

## 7 - منطق دعبل

قال الناس : « لا بدّ من مناظرة لانتخاب الأكفء بالوظيفة العمومية ».

وقال هو : « وأنا أطالب بهذا. فذلك هو المعيار الذي تُوزن به الكفاءات، وتفاضل به الدرجات ؛ وإذا كان الميزان لا يستحي من الحق، ولا ترجح كفته اعتباراً؛ فكذلك شأن المناظرات، إذ المشرفون عليها مفروض فيهم العدالة والنزاهة والإخلاص... أليس كذلك؟ هكذا اصطاح الناس، وهكذا قالوا، بل هكذا سَطروا في قوانينهم المكتوبة، ومثلهم العليا... ».

وأحسّ بأنه أطال من الحديث، فتوقّف عنه لحظة، لكنه توقّف جنبه الطريق : لقد تحوّل سمعه إلى ضميره فأرهبه.

قال ضميره : « طيّب ! طيّب ! المناظرة، الانتخاب .. لجنة عادلة نزيهة مُخلصة. ولكن على فرض صحّة هذا فهل حلّت المشكلة؟! هذا مغفل أصحاب الميادىء والمثّل. لقد أقاموا الهيكل ... زيّنوه، وأحسنوا تقسيمه وتناسبه. ولكنهم أهملوا الرُّوح. لا لم يهملوها، لأنها ليست في طوقهم. هي أبعد عنهم بكثير.

إنّ الإطار الذهبي للساعة الدقّاقة لا يُعطيها قيمتها الوجودية إذا كان دولابها لا يسير باتزان. قيمة هذه الساعة أنها قطعة معدنيّة، ولو كان معدنها نفيساً. أما قيمتها كساعة تضبط الوقت فقيمة الصفر الفرد.

ماذا يضير المشرفين لو أجروا مناظرة بين الضمانر؟ يضيرهم أنهم لا يستطيعون. ومن هنا تعلّوا بالشكل

والصورة. إن قيمة التمثال أنه حجر صلد منحوت إذا كان لا يوحى بتمثله الأعلى. أما إذا صاحبه الإيحاء فهو أحقُّ بالاعتبار من الإنسان الذي نُحِت من أجله.

تُرى كم عدد الناس بحساب الضمانر؟ إنهم كمٌ حقيرٌ تافهٌ أمام تلك الكثرة الكاثرة...». وقال دعبل : (من البسيط)

ما أكثر الناس ! لا بل ما أقلهم

اللّه يعلم أني لم أقل فنداً

إني لأفتح عيني حين أفتحها

على كثير، ولكن لا أرى أحدا (1).

محروسي - نادي القلم

الندوة، مارس 1956، ص 36 - 37

---

(1) ديوان دعبل بن علي الخزاعي : 172 - 173.



## 8 - من الأدب الرمزي

### حديث الزهرة

همست الزهرة إلى الغصن فقالت :

« أوَاه! كم أنا مشتاقة إلى رؤية تلك الأطياف النورانية الشفافة. إنني جدُّ حريصة على النظر إليهم، وهم على حافة البحيرة وسط الأعشاب والزهور يتسامرون ويتناقشون. إنهم هناك حيث يحلو السمر والمناجاة. ليتهم إذ يعودون أكون معهم! وليت أُمي إذ وضعتني لم تكبِّلني بهذه القيود التي لا أستطيع عنها محيدا. إنها لو وضعتني كما هويت لكان حالي غير هذا! ومن يدري؟ فلعلني كنت أكون الفكرة التي جمعتهم والحبَّة التي أنبتتهم. آه! ليتني!... ليتني!... ».

واندهش الغصن لمقال الزهرة، فأجابها بنوع من النصح، وشيء من الوقار والإعجاب :

« عجب (1) أمرك، يا بُنيَّة! إن ما تقولينه لغريب! غريب عني ما سمعته الأذن وما نطق به سابق! اقلعي عن غيِّك هذا! ورجوعا إلى رشذك. انني أراك تهذين فاستمعي إليّ، وخذي بالنصيحة. أنا أقدم منك وجودا بهذه الأرض، وقد ولدتني أُمي وأنت ما زلت فكرة في الأزل، وبارقة في مستور الحياة. وعشتُ ما عشت من الدهر. وخبرت الحياة، حلوها ومرّها. وكم تغيّرت أمامي ملابس الأرض وزخارف

---

(1) في المخطوطة : عجيب. واعتمدنا رواية الصباح لأنها الرواية الأحدث التي راجعها الشيخ محمد العروسي نفسه.

الحياة؟! وكم تبدَّلت من أوضاع، وتغيَّرت من تقاليد؟! ولكني كنت دائما عينا يِقْظَة وعزما صامدا. وكم رأيت من عجائب وغرائب وأنواعا وأشكالا؟! أما ما نقولين وتصفين فذلك شيء أنكره وأستبعده. وكيف؟ وهل يغيب عني شيء تريئه ولا أراه؟! إن بصري لحديد. وما إخال إلا أن الأمر اشتبه عليك ... فاطرحي الأوهام والهواجس. وإيَّاك أن تعودني إلى مثل هذا. وحذار أن تسمعنا أمنا الكبيرة فترميكَ بالنزق والطَّيش، وترميَّني بالتقصير في تربيتهك وتهذيبك! وخذي مني نصيحة غالية وكلمة نافعة: إذا عادت إليك الأشباح وانتابتك الهواجس فقولِي: «.. سبحان الكريم خالق السَّديم، لبيِّعُدْ عَنِّي هذا الشَّبْحُ الرجيم».

وعاد الغصن إلى صمته. ورممت الزهرة: «... ترى هل أكون سامعة مطيعة؟ لقد قيل لي ذلك من قبل، وجربت بالفعل؛ ولكن الذي أراه غير ما أسمع. ولست على ريب من بصري. أما «الكلمة» فما أحسبها إلا مخدرا يقدِّمه الكبار إلى الصغار. وقد يكونون على صدق عند أنفسهم. وما أحسب الصدق العندي من مظاهر الصدق الواقعي. وقد يكونون على إخلاص من أمرهم. وكم من إخلاص كان كمبضع الجراح في عصور خلت يزهب الروح ويفلت من المسؤولية! ولهؤلاء الكبار أن يقولوا، وعلينا أن نستمع إلى قولهم. وليس من لوازم الإمتاع وجوب الاتباع..».

وشغل الزهرة عن حديثها حفيفُ أجنحة فراشة الحرير فعادت تقول: «ماذا يكون مصير الفراشة الجميلة لو بقيت في الظلام؟ ألم تتشوق إلى الانطلاق والانعتاق، فخرقت السُّور وصافحت النور؟..».

وهبّت الريح فانحنى الغصن، واضطرب الورق.  
وأغمضت الزهرة عن ابتسامة ساخرة لأنها تخشى أن يشتدّ  
الريح فينكسر الغصن قبل أن تُريه أن سبيل الحياة في أن  
تعمل حتى تصل إلى ما تصبو إليه، وتكدّ في سبيله بما استقرّ  
عندها، ووضّح لديها.

واشتدّت الريح، وغدا الكلُّ في مهبّ الزّرع العُصوف.

تونس 1945

العاصفة الهوجاء (مخطوط) : 67 - 68

ونشرت في الصباح، عدد 19 مارس 1954

## من التجارب السريرية المبكرة



وهبت الريح فتلحق العصفور واضطرب الورق  
وأضحت الزهرة عن ابتسامة ساخرة لأنها تخشى أن يشتد  
الريح فيكسر العصفور قبل أن ترونه أن سيل الحياة في أن  
تعدل حتى تصل إلى ما تصبو إليه، وتكاد في سبيله بما استقر  
عليه، ووضح لديها.

واشتدت الريح، وغدا الكلى في هبت الريح مع العصفور

يونى 1945

العاصلة الهوجاء (مخطوط) : 67 - 68

ونشرت في الصباح، عدد 19 مارس 1954

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

## 1 - محمد الأمين يهياً للبعثة

مَهْ أَيْهَا الْقَلْمُ ! أما تخافُ أن يكبُوكَ الجواد، وتتسَعَّبَ أمامك المسالك والطرق؟! إن المقام لعظيم خطير، وإن الساعة لرهيبية هائلة، وإن الفكر البشري، والعقل الإنساني، ليقف حائراً دهشاً من روعة الموقف وجلال الزَّمن.

إنه بالغار البعيد القصيِّ. وإن أياما مضت وكأنها الأحيان واللحظات. وإن أفكارا وخواطر مرَّت بالمخيَّلة والقلب لو برزت إلى الظاهر لما وسعتها خزائن الدنيا وسجلات الوجود.

لقد صعد إلى الجبل منذ أيام، وانقطع عن معشره وأهله. لا يأتيه أحد، ولا يشعر بوحشة؛ وكيف يشعر بالوحشة، وهو الدائم الحديث مع نفسه وقلبه، وهو المستمرُّ للمقايسة ما بين أخلاق العباد وتقاليد البشر؟! !

إنه لينظر فيُطيل النظر، وإنه ليحتار فتطول به الحيرة، ولكن...!

ما كان يشعر بهذا من قبل. إنه شيء حادث جديد. لقد عشق العزلة، وتحبَّب إليه الانفراد. بيد أنه لا يدري أهو يُدفع إلى الوحدة والعزلة أم هما يندفعان إليه؟

ولكن حسبه أن يبتعد عن ذلك الخليط من الأقوام والعباد، وعن تلك العادات والتقاليد، وذلك الهرج والمرج.

لقد فضَّل أن يتناجى مع تلك الدَّراري اللامعة دُون قريش وذويها، وأن ينامَ على ذلك الفراش الخشن بدل النوم مع زوجه الأمانة الرصينة، وقرينته الولود الودود.

صدف عن ذلك كله، ولكنه لا يدري! لقد رأى قومه يعبدون آلهتهم المقدسة، ويشرّعون شرائعهم المبنية على اللهو والأهواء. ولكنه ما أمعن النظر فيها حتى ألفاها سخافات وأوهاما. وكيف لا تكون كذلك! وشأن الآلهة أن تَخْلُق لا أن تُخْلَق، وأن تُعِين لا أن تُعَانَ. إذن لقد رابته الريبة في كل ذلك. وتاقت نفسه إلى الحقيقة، إلى غير هذا الشيء. فهو يرى أن الآلهة بالكثرة لا تنفع، وبالضعف لا تجود، وبالتعداد لا تستقيم. ولكن ما بال أعمامه يحترمونها، وأحواله يقدّسونها؟! وهم أقدم منه في الحياة، وأكثر تجارب في الوجود.

لقد احتار. لقد شك.

ولكن ماله وهؤلاء. حسبُه أن يعيش في محيط أفكاره، وأحاديث ضميره. وحسبه أن ينتقدها ولا يزجج أهلها. فهم على سيرهم دائبون منذ أحقاب وأحقاب.

وازدادت به العزلة، وطال بالغار مُكثُه. فازداد بذلك قوة في الفكر، وإشفاقا على هؤلاء الأقوام من عشيرته كيف يسبّحون في هاته البحور من السخائف والترّهات دون أن يُصلِحوا من أنفسهم، ودون أن يفكّروا - ولو حيناً - فيما هم به فرحون.

تُرى أمنُ سنن الكون أن يعيش البشر تائها ضالا، منغمسا في بحور الشهوة والمادة. ألا يمكن أن يوجد نظام محكم يرفّه عنهم، ويخفّف من بلواهم (1) ووضوئهم.

(1) في الأصل المخطوط : بلوائهم، والأقرب أن تكون : بلواهم أو بلانهم. ومعنى البلوى أو البلاء : المحنة تنزل بالمرء لاختباره بها (المعجم الوسيط).

أواه ! لكم تاقت نفسه أن يعرف ذلك الطريق فيرشدهم  
إليه أو يحملهم عليه.

حقا ! لقد انتقلت فكرة محمد بن عبد الله إلى النظر في  
حال هذا البشر، فأخذ يتمنى لهم الإصلاح والسعادة. ولقد  
ازداد بهذا التفكير تعلقا بالكون، وانتاسا بالوحدة، وتطلعا  
إلى مُخَبَّات الوجود، ومسير هاته الأكوان.

\*\*\*

وينفد زاده فيقرّر الرجوع إلى مكة أين داره وأهله  
وزوجه ومعرشه.

وفيما هو بين الشعاب إذا (1) هاتف يقول له : «يا محمد !  
يا رسول الله ! ويلتفت يمنا ويسرة، وأمام وخلف، فلا يرى  
شيئا. فيعود إلى نفسه يسألها. وإذا بها تقول له : نعم! إنه  
صوت حنون لطيف. إنه حق لا ريب فيه. فأعد النظر».

ويعود لينظر إلى كل الجهات، فلا يرى شيئا. ولكنه يرفع  
ببصره إلى فوق فيرى، ويا روعة ما يرى ! رجل كأحسن  
ما يكون هنادما، وأجمل ما يكون خلقة، وأنور ما يكون  
وضاءة، متربع في الفضاء ما بين السماء والأرض.

ويحترق محمد بن عبد الله من هذا المنظر. فيمعن النظر  
فيه، وإذا هو حقيقة لا خيال. وما هي إلا لحظة حتى يختفي  
الشبح. ويرجع إلى حيث كان، حيث لا يدري. وبقي الفضاء  
هو الفضاء، والصمت هو الصمت، والشعاب هي الشعاب.

أواه ! ما دهاه !؟ أبه جنّة ؟ أهتف به هاتف ؟

---

(1) وفيه : وإذا .



وذهب في حال سبيله وقد اعتراه ما اعتراه. وكان في رجوعه يلتفت مرة بعد أخرى عله يرى ما رأى، فلا يرى. ويدخل على زوجه الوفيّة، فيقصُّ عليها الحادث فتخفّف عنه الأمر، وتقول له مهدّئة : عله بشيرٌ خير يا ابن عبد الله ! وينظر إليها هو نظر ودٍّ واستعطاف؛ فتلحُّ في الإشفاق، وتبالغ في التّسرية والتشجيع.

وما يطول به المكث بمكة. فسرعان ما رجع إلى غار حراء. فقد أصبح لا يحلو له المقام بمكة ؛ إذ ما فيها إلا التشاجر والخصام، والحزازات والأحقاد ؛ حتى في ذلك البيت العتيق ما كانت عبادتهم إلا مُكاءً وتصديّة (1)، وما كانت عبادتهم إلا لعباً ولهواً. وأين العبادة الحقُّ من كل هذا ؟ !

رجع محمد الأمين إلى الغار، وكلُّه الجلال والوجوم، والتفكير والاعتبار. وما استقرَّ بمكانه حتى أخذ يفكّر، ويقدر، ويقايس، ويوازن، ويرى هذا العالم كيف انتظمت كواكبه؛ يجري على سنن لا تبدل فيها ولا تغيير، بل كله الانسجام والإيقان.

وكم يجد اللذة عندما يتقلّد الليل إكليل النجوم وتاج القمر، وتزداد الطبيعة صمتاً على صمت، وسكوناً على سكون.

كان يعيش في عزلة تامة، فهو بعيد عن المدينة وضوضائها. بعيد عن الناس وما هم فيه من هرج ومرج. فهو هنا وحيد فريد ما بين الشّعاب ووسط الهدوء، لا يشغله شاغل إلا التفكير والاعتبار، ولا يحدثه أحد إلا نفسه. وأيُّ

(1) اقتباس من قوله تعالى : (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاءً وتصديّةً) الآية 35، سورة الأنفال 8.

شيء يصفي النفس ويظهر الروح، ويصحح العقل أكثر من هذا؟! إنه هو ذلك كله؛ وإنما لحكمة عليا أرادها مولى الأكوان، وخالق السماوات والأرضين.

\*\*\*

رباه! ها قد بلغ ما أمرت وقدرت. وها هو ذا قد اكتمل عقله، واكتنز فكره، وتقوى شعوره وإحساسه. لقد بلغ الرجولة الكاملة. إنه الآن في سن الأربعين. لقد بلغ الذروة، فارحم اللهم تلك النفس العطشى! تلکم النفس التي فكرت فأطالت التفكير، واختارت فأرادت الابتعاد عن الحيرة، ونظرت فكانت النتيجة الاعتبار.

رباه! أين ملائكت الطاهر الأمين، ليعطي الخبير اليقين، ويلقي السر الدفين. أو ما تعجل بالنبأ، وتسرع بالقضية!؟

لقد اشتاق إلى ذلك القبس غاية الاشتياق، وتحبب إلى اليقين غاية التحبب، وتاق إلى الملجأ الروحي، والقدس الأسنى. فنفحة منك، يا خالق الكائنات! تجعله ذلك العلم، وتلك البشارة، وذلك الحادث الأعظم!

\*\*\*

وأسرع الشهر في المسير متخطياً الأقسام السابحين في دياجير الحيرة والاضطراب.

وها هو البدر يوشك أن يتم. لقد استدار وأصبح مثلاً للروعة والحسن.

وجاء السابع عشر من شهر رمضان الحرام: يا للروعة والجلال! يا للقداسة والمهابة!

الآن ينزل الملك من السماء، ويهبط الناموس الأكبر، وتدوي كلمة الوجود، وتصرخ الكائنات:

بشرى لنا. بشرى. بشرى للعالمين !  
بشرى لنا. بشرى. بشرى للمظلومين !  
بشرى للتائهين، والشاكين، والحائرين !  
ها قد أتى البشير ! وجاء الخبير !  
فهَيُّوا نَحْرُ إلى الأذقان ساجدين !

\*\*\*

وأقبل الملك الأمين، ويمم الغار. وسواء أكان محمد بن عبد الله نائما أم يقظا على ما قاله الرواة، فإنه قد رأى ما أفرعه ورؤعه، وما لا تتحمّله الطاقة البشرية والإنسانية.

أقبل عليه الملك فضمه الضم الشديد، أو كأنه الضم الشديد، وقال له : اقرأ. فقال محمد : ما أنا بقارئ. ويأبى الملاك إلا أن يزيد في الضم فيزداد الرعب، ويجيب : ما أنا بقارئ. ويضمه الملاك للمرة الثالثة، فيبلغ الروع مبلغه، فيسأل : ماذا أقرأ ؟. هنالك يفصح الملك، ويقول بصوته القدسي : ﴿ اقرأ باسم ربك الأعلى، الذي خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (1). ثم يبشره بالرسالة، وينصرف.

وكانت ساعة البشارة العظمى .... !

وما قدر رسول الله أن يبقى في الشعاب بعد هذا ؛ فنزل المنحدرات والشعاب، وهو لا يرى من هذا العالم شيئا، ولا يبصر إلا ذلك الشبح ؛ وهو لا يتذكر من هيئته سوى تلك الفقرات التي نُقِشت على صدره نُقْشا.

(1) الآيات 1-5 من سورة العلق 96.

\*\*\*

في ذلك الوقت الذي تعكف فيه مكة على الخنا والفساد؛ وفي تلك الأحايين التي تسود فيها الظلمة والطُغاة، ويتغيَّم الكون بسحابات البغي والمجون والفضول؛ في ذلك الوقت كان الملاك الكريم يقول: قُمْ أَيُّهَا الْأَمِينُ! وَلْتَصَدِّعْ بِالْأَمْرِ، وَلْتَكُنْ ذَلِكَ الْمُنْقَذَ الْأَكْبَرَ، وَالْمَشْرَعَّ الْأَعْظَمَ، وَالْمُحَرَّرَ الْأَوَّلَ، وَالْمُوَحَّدَ لِلْعَالَمِ الْمَتَفَرِّقِ.

وكان ما كان. وانبعث نبراس الإيمان، فأثار مجاهل الشُّركِ ومعايد الوثنية، وأبدلها مِقْبَسًا من نور، وشعلة من قداسة وطهر.

وكان ما كان. ومرَّت قرون وأزمان. وها نحن اليوم نتبَّع السلوك، ونُيَمِّمُ الْقُدُسَ (1).

فيا رسولَ الله! ويا منقذَ البشرية! عليك من الصلاة والسلام عددٌ من آمن ومن جحد، وعددٌ من كذبٍ ومن صدق، وعددٌ من بقي مذذبًا مترددًا. والله يهدي من يشاء!

تونس سنة 1360 هـ / 1941م.

سجل « الإيمان ونفسية الشعوب

ومقالات أخرى » (مخطوط) ص : 25 - 31.

### تنوير :

وضعنا هذا النص ضمن محور التجارب السردية لما فيه من سردية يندرج بها ضمن جنس القصة القصيرة ذات الاتجاه الإسلامي.

(1) الْقُدُسُ : البركة، الشريعة أو الجنة، ومنه قولهم : حظيرة القدس.



## 2 - عمالقة

«... أَعْرَبُ عني أيها الطَّيْفُ ! أما كفاك ذهولي  
واندهاشي؟! تَبًّا للأوضاع والتقاليد. آه ! ما الحيلة، وقد  
ضِيقْتُ بالخيال والواقع، فمتى الخلاص من هموم الزمان  
وأوشاب الحياة؟ آه ! ما أمضَ الحياة!...».

هكذا انطلق لسانه بهذه الكلمات من حيث لا يشعر، وقد  
قذفها حارةً ملتهبة، يكاد الزفير الذي صحبها تلتهب معه  
أحشأؤه، وتحمَدُ أنفاسه. ومضت لحظةٌ أخرى لا يدري  
مداها، فقد كان يُفِيقُ من إغفاء ته تدريجيًّا.

ومرَّت بجانبه سيارَةٌ نقلٍ كبيرة، فازعجته بدويِّها الجافِّ  
المُرعب. وفتح عينيه فرأى كلبًا تختطفُه العجلة الأمامية  
للسيارة، فلوتَه بسرعة؛ واختفى الكلب تحت السيارة  
لتخلفه وراءها أشلاءٌ مبعثرة، ودما يسيل. أما رأسه فإنه  
تهشَّم وتفرطح؛ وأما دمه فإنه كوَّن رسماً على الطريق  
يُشبه شجرة السَّرْو. وأما ذنبه فإنه العضو الوحيد الذي بقي  
سالمًا يرتعش ويضطرب، ولا يزال محتفظًا باعوجاجه  
الأوَّل.

وما إن جاوزت السيارة مصرعَ الكلب حتى وقفت،  
وانفتح باباها بسرعة، فنزل من الباب الأيمن رجل عملاق،  
حسن البزَّة، جهَّم الوجه، مفتول العضلات؛ ونزل من الباب  
الآخر سائق السيارة، وهو شايب أسود قصير بدين، تلمع  
عيناه كالشَّرر، وتدمدم شفتاه بكلمات غير مفهومة، واضعا

يده اليمنى على رأسه الكروي المذئب (1) بكثيلات شعر أسود كأنها حب فلفل.

ولما وصل العملاق ورفيقه مصرع الكلب سمعا بكاء وعويلا ؛ وحملقا بشراسة صوب الصوت ؛ وإذا بدوية نصف عارية، حافية الأقدام، عارية الرأس، أقبلت تعدو صارخة نادية : « كلبى ! ... كلبى قتل ! ... بختي تعس، عيشي نكد ...! ». وما إن وضعت قدمها على " الزفت " حتى سقطت مغشيا عليها. ولولا لهاثها ونشيجها لحسبت من الأموات.

واشتد غيظ العملاق لهذا المشهد. ولم تكن حالتها الباعثة على الإشفاق والرحمة إلا مهيجة لاحتدام العملاق وغلظته؛ فركلها برجله مرتين، وهو يسبها ويشتمها بلغة لا تفهمها ؛ فانتبهت البدوية مذعورة، معقودة اللسان، مرتعشة خائفة. ثم أمسكها من تلايب ملاءتها المرقعة، والتي لم تكن سوى بقية غشاء من تلك الأغشية التي تركتها الجيوش المتحاربة، ووجد منها هؤلاء البدو خير ستر لعورة، وأسعف جنة من برزد.

واستوت البدوية قائمة، فجذبها العملاق قرب سيارته، وأخذ يراطنها بلغة أجنبية عنها، مزجها بألفاظ عربية مهشمة كما هشم كلبها قبل حين. وبعد لأي استطاعت أن تفهم عنه أنه يريد منها أن تدلي إليه باسمها، ومقر سكنها. وكان خوفها من هذا العملاق وأمثاله دافعا بها إلى إجابته عن كل سؤال في إطار من الخوف والفرع.

أجابته عن كل أسئلته. وكانت تحسب أنها ستعوض

---

(1) المذئب : كذا في الأصل المطبوع بالصباح. من ذأبه : عمل له ذوابة .

خسارتها، وتُخَفِّف مصيبتها. أما حقيقة الأمر فإن هذا العملاق كان يهيئ تقريراً لإدارة الأشغال العمومية كي تطالب صاحبة الكلب بغرامة باهضة، وعقاب شاق.

\*\*\*

مرَّ هذا الحادث أمام عبد القدوس الذَّاهِلِ الحَيْران، فازداد غضباً وحقداً على الأوضاع والتقاليد والأنظمة والقوانين. هذه الأغطية الشفافة المناط بعهدتها تدبير المظالم، وتنسيق الإجرام. ثم التفت إلى يمينه فوق نظره على تلك الرسالة المبلَّلة بالدمع، المملوءة آهاتٍ وزفراتٍ؛ فعمد إلى عود الثقاب، وأوقد الرسالة البريئة ناراً، فاستحالت بسرعة خاطفة إلى رماد. ولم تبخل الطبيعة بهبة ريح عابرة حملت معها الرماد إلى المجهول. هنالك انتفض عبد القدوس انتفاضة المحموم... لقد أفلت من يديه ما كان يرقبه منذ عام... إنه لمجنون أخرج... إنه لجبانٌ أرعن. ماذا يقول غدا؟ أيقول الحق، وإن فيه لمرارةً وقسوةً؟ أيداجي وينافق، وهنالك عذاب الضمير وفقدان الشرف؟ أين إيمانه وتوسلاته؟ أين ابتهالاته ودعواته؟... لقد ذهب كل ذلك أدراج الرياح. لقد أضاع رشه. لقد خسر كل شيء. ما أشدَّ بلواه، وأمرَّ عذابه.

\*\*\*

وحان الموعد، واستعدَّ عبد القدوس بعد أن هيأت له أمه لوازم رحلة تدوم أسبوعاً كاملاً بقرية "طبرية" يقضيها مع أسرة خاله عبد الفتاح. وتلقى من أمه قبلاً ثلاثاً لو قيس ما تحمله من عطف وحب، ورحمة وإشفاق، بجميع قُبل العالم لبرئتها وفضلتها.



ولأول مرة يُخادع عبد القدوس أمه، وكان الأمّ الوالهة  
أنبأها المستقبل المظلم بسواد المصير، وبعْدَ الأمل من  
ورائه، فكانت تظهر عليها علامات الخوف والهلع. وكانت  
تُجهش بالبكاء، وتقول مودّعة بصوت أجشّ أبجّ : أرجوك  
ألاًّ تبطّي يا ولدي ! أسبوع واحد .. فقط .. إنني لا أتحمّل  
أكثر من ذلك ... الله معك ... في الأمان والسلامة ... !

ثم أراقت وراء وحيدها مِلاء دلوّ ماء رجاءً أن يعود إليها  
سالماً راشداً. أليس الماء أماناً من كل مكروه ! هكذا تعلمت  
عن أمّها وجدّتها. وهكذا رأت النساء يفعلن كلّما عزم فرد  
من الأسرة على الاغتراب.

وسار القطار نحو الشّمال. واستسلم عبد القدوس إلى  
إغفائه من نوم وذهول تقطّعها هزّات القطار واضطراباته،  
وهذه الأصوات المبحوحة التي تُرسلها المُزجية (1) كلّما  
اقتربت من « مفرق »، أو وصلت إلى محطة.

ولكنّ ذلك الشّبح الذي مرّ أمامه، وهو كالنائم، كان له  
أكبر الأثر في إيقاظه مرتعداً، مُشنّج الأعصاب. فلقد رأى  
حوتاً عظيماً مُقبلاً عليه لالتهامه. وما إن اقترب منه حتى  
فتح فاه وبرز منه شيء مخوف مُرعب لم يتبيّن حقيقته، ولم  
تتّضح له منه صورة. ولكنّ الأنكى من كل ذلك هي صرخة  
ذلك الحوت : «... لا ... أبدا ... إنك لن تنجو .. أبدا ..».

وحاول عبد القدوس ربط جأشه. وأغمض عينيه، فعاد

(1) المُزجية : لعله أراد بها القاطرة التي تسوق العربات. من قولهم مجازاً : الريح  
ترجي السحاب : أي تسوقه وتدفعه، فهي مُزجية. انظر أساس البلاغة (ز ج ي) .



الشبح المخوف أهول ممَّا بدا أول مرة. وحسب أن الواقع يُنجيه من الأوهام، فانتصب قائماً، وطفق يلتفت يمنة ويسرة كالمعتوه. وصوبَ بصره وصعده، وإذا عجوز إيطالية أمامه تتثائب في تمطيطٍ والتواء ... وكان فوها الخربُ الأهمُّ كأنه فمُّ ذلك الحوت المرعب، فتشام عبد القدوس منه ؛ ولكنه استراح بعد قليل معللاً نفسه بأنَّ هذا هو تعبيرُ رؤياه، ولم يكن ذلك الحوت إلاَّ هذا الفمُّ الأهمُّ المتثائب.

واستاء من مكانه، فقصد الدرجة الأولى التي لم يكن بها من ركاب سوى رجلين وامرأة. ولما استقرَّ به المقعدُ أحسَّ بنومٍ لذيد، فألقى بنفسه بين يديه، وسبح في أحلامه. وأخذ عقله الباطنُ يُبدي كوامنه ومُخبَّاته ؛ فأعاد إليه صورة أمه المودعة الباكية. وخيَّل إليه أن أباه قد عاد إلى الحياة، وهو أشدُّ ما يكون حيويَّةً ونشاطاً، وقوَّةً وجمالاً ؛ فصافحه، وعانقه باشتياقٍ ولهفة.

وصوِّر له أن لقاءه بأبيه كان على ضفة نهر مجردة الذي بدا في حُلَّة قشبية من الأشجار والأغصان والأزهار. وسار به أبوه إلى أن وجدا مقعداً خشبياً على ضفة النهر المنساب المترقق. ولما استقرَّ بهما المقعد قال أبوه : « أيُّ بُنيِّ ! إنه للقاء غريب ! وما أحببت أن ألقاك هنا... ولكنَّها الأقدار تُقدِّر وتُسَيِّر. لقد أعجبتك النهر فتملكك الفرح والسرور، ولكنَّ ما أشدَّ بله الأحياء الهالكين ! وما أشدَّ انخداعهم للعوالي والظواهر ! أما الأغوارُ والخفايا فما أبعدهم عنها !

أرأيت مجرى النهر ؟ ! إنه يسيل بالدم المسفوح، والصديد العفن. إنه خربُ القاع بتلك الآبار التي تلتهم هذا

الأحمرَ القاني، ولا ترتوي منه. وهاتيك البالوعات ... تمعنُ فيها جيِّداً ! إنها كجهنَّمَ تطلُبُ المزيدَ، ولا يمتلئ لها جوف. أوَاهُ بني ! حذار ! إنني سأودِّعك. ألا ترى هذا العملاقُ مُقبلاً علينا، يصحبه ذلك الفزم الأسود ؟! . أنجُ بنفسك ودعني. أمّا أنا فقد نجوت، وأصبحت في منعة ... إلى اللقاء !...».

وفي حركة جفن استحالت (1) الأشباح الثلاثة إلى دخان تصاعد في الفضاء. وسرعان ما تمتزج الأدخنة، ثم تتساقط سائلاً أسود له خريز كحشرة المخنوق، فامتدَّت إليه أعناقُ البالوعات، وأفواهُ الآبار، وعبثته عباً بزمجرةٍ وغيظ.

وأحسَّ عبد القدوس بالمقعد الخشبي يهتزُّ بعنف، وتتكسر قوائمه؛ فغطى وجهه بيديه، وصرخ صرخة دوت لها أرجاء القطار، وارتاع لها ركب الدرجة الأولى، فالتفتوا مذعورين صوب الصرخة. وإذا هذا الشابُّ الغريبُ يتخبَّط بالمقعد، له شخيرٌ وزفير.

وأسرع أحدُ الركَّاب بإخطار السائق، فوقف القطار بالخلاء. وأسرع رئيس القطار إلى مكان الحادث، يتبعه جمع غفير من الركَّاب بعد أن أزعجهم هذا الوقوف المفاجئ.

\*\*\*

أفاق عبد القدوس من إغمائه حينما أراقت عليه العجوز الإيطالية قارورة ماء بارد قدَّمتها إلى الجمع كإسعاف منها لهذا البائس المسكين. وكان عبد القدوس - عندما أفاق - يُغمغم بعبارات غامضة لم يفهم منها الناس المحيطون به إلا

(1) وفيه : استمالت، تصحيف مطبعي. واستحال الشيء : تحول .

قوله : « ... إنه يُحْتَضِر ... ظمآن ... لهْفَان ... صبُوا عليه القار والصدید .. ».

ونفَرَقَ الجمع وفيهم الآسَفُ المُحَوَّل، والضَّاحِكُ المُستهزِئُ ... واستأنَفَ القطارُ سيرَه. ولم يبقَ بجانب عبد القدوس إلا العجوزُ الايطالية ومراقبُ التذاكر. وأخرج هذا الأخير " غليونه " ليدخُن، بينما العجوز تتأب من جديد، وتتمطط في غلاتها السوداء.

ولعل هذا التثاؤب المتكرّر هو الذي أعاد إلى عبد القدوس انتباهه. واستجمع شوارد عقله، فوجد جبينه يتصبّب عرقاً، وأثوابه مبتلة. وأدرك - بعد حيرة قصيرة - أنه كان مغمى عليه؛ خصوصاً بعد أن نظرت إليه تلك العجوز، وخاطبته بعربية مهشمة : « ... مسكينو... مسكينو.. لايبس عليهو.. مُخامد... ». ثم ابتسمت إليه وقرّبت منه فمها الأهم، ووجهها المتجعّد المخدود؛ فارتاع لذلك، وهمّ بالقيام. بيد أن مراقب التذاكر طلب منه - في قلق وضيق - أن يُدلي إليه بتذكرة السفر. وبعد لأي وجدها عبد القدوس. وازداد قلقُ المراقب وضيقه عندما وجد التذكرة من صنف الدرجة الثالثة لا من صنف الدرجة الأولى، فصاح في وجهه : «مالك ههنا أيها الأحمق؟! أكل هذا، وأنت في غير مكانك. ادفع الفارق وإلا فبعد عشرة دقائق ستكون عند الشرطة!... أوف.. ويلاه! كم أعاني من هؤلاء؟! ... جلاميد ... أعراب .. حُثالة ... بُورة ... ».

وضاق عبد القدوس بهذا الصّفْع النَّاري والسَّبَاب المُفْذِع.



وغلا الدّم في "رأسه"، فعمد إلى قارورة العجوز وضرب بها المراقب على أمّ رأسه، فسال الدم، وعلا الصياح ؛ بينما كان القطار يتمهّل في سيره ليقف بالمحطة التي هُدّد عبد القدوس بإلقاء القبض عليه فيها. وما إن رأى عبد القدوس الدم السائل فوق وجه هذا العملاق " مراقب التذاكر " حتى جحظت عيناه، وصرخ لاطما وجهه. وأعاد إليه هذا المشهد منظر ذلك النهر والبالوعات الجهنمية ؛ فاختلط أمامه الأمر : الواقع والخيال، اليقظة والنوم، المشاهدات والأحلام ؛ وعدا يجري نحو باب العربة بعد أن رفس العجوز، وصرعها على الأرض. لقد كان مندفعا كالسهم، وأخذته نوبة من جنون، فانبرى يعدو صارخا نحو الزيتتين التي ألقى عليها الظلام سُجوفه (1)، واحتضنها الليل. واختفى عن الأنظار، وأخذ يُبعد شيئا فشيئا.

\*\*\*

كانت المحطة تمّوج بالناس مسافرين ومنتظرين. كل واحد يحكي كلاما، أو يصف الشابّ المعتوه بما عنّ له. وتضاربت الأقوال والأوصاف، وكثُر اللّغظ والجدال. واختلط الأمر على رجال الشرطة فتفرّقوا يبحثون عن الجاني مُهتدين بنور فوانيسهم، مُشهرين مسدّساتهم، كأنهم يُطاردون عصابة لصوص، أو دوريّة مُحاربة. وطال بحثهم دون جدوى، وأخطروا - هاتفياً - جميع المراكز القريبة

(1) السُجوف : جمع سِجْف وهو أحد السترين المقرنين بينهما فرجة. والسُجْف (بالضم)، جمع سِجَاف : الستر (المعجم الوسيط). وفي أساس البلاغة (س ج ف) جاء قوله : ومن المجاز أرخى الليل سجوفه، وأسجف الليل وأسدف : أظلم.



للقبض على المعتدي. وبما أن الجاني أتجه فاراً ناحية الغرب، وتوغّل في غابة الزياتين، فإنّ الشرطة حاصرت مجموعة من الأخصاص والأعشاش تقع غربيّ المحطة، وأجرت فيها تفتيشاتٍ دقيقةً ممّا أدخل الرعب على ساكنيها الأبرياء الغافلين. ثم سُخّر كلُّ رجلٍ بتلك الأخصاص والأعشاش للبحث عن الجاني في ذلك الليل الدّامس. وكانت على هؤلاء المساكين ليلة شؤم وفرع : فالنّسوة يرتعشن ويضطربن، والأطفال يبكون ويرتعدون، والرجال يبحثون - داخل الغابة - على غير هدى ولا نور.

أما عبد القدوس فإنّ حالة التوتّر التي انتابته جعلته يقطع المسافات عدوّاً دون أن يشعر بتعب، أو يتّجه إلى مكانٍ مُعيّن. فلقد قطع خمسة عشر ميلاً، ولولا عثرته التي ألقت به طريحاً على الأرض لعدا أكثر من ذلك. ومن يدري؟ فلعله كان يقضي كامل ليلته يعدو، لا يلوي على شيء. لقد نهشته الكلاب وهو يجري، وأدمت رجليه الأشواك والصخور، وبيحّ صوته من الصّراخ والصّياح، وجفّ ريقه من كثرة النّصب والإعياء؛ ولكنّ سكرة الجنون وطفرة الاختبال لم تتركاه له مجالاً من إحساس، أو نصيباً من شعور.

لقد كانت عثرته صدمةً زادت في المحنة، وسقته كؤوساً أخرى من الهمّ والتّعاسة والألم. وقضى بقيّة ليله على حالة (1) ....

(1) على حالة : كذا في الأصل المنشور مع نقط ربما دل بها على تنمة كلام تركه بياضاً لاستنتاج القارئ، أو تكون بمعنى : على حالة تلك، أو تكون من نوع تفصيح التعبير العامي بمعنى على حالة تعيسة.

انتبهت الدَّيْكَهُ قُبَيْلَ انبجاس الفجر، فتجاوزت أصداؤها  
وسط السكون الرَّهيب. ثم تنفَّس الصبح، ودبَّت الحركة،  
واستعدَّ البشر لَحَوْض مشهد آخر من مشاهد الحياة.

وعمد «أبو هدة» إلى هراوته الغليظة الرأس، فرازاها  
بيده كأنه يخشى عليها الهُزال. فقد مضى عليها أسبوعان لم  
تضرب فيهما أحدا من أولئك الذين يتجاسرون على الدُّخول  
إلى مزرعة السيد العملاق الأحذب، بل حتى أولئك الذين  
كانوا يهْمُونَ فقط بالدخول إلى المزرعة لا يسلمون من  
هراوة «أبي هدة» وتَشْدِيخِهَا. وكان أبو هدة قد أوصاه سيِّده  
العملاق الأحذب بكل هذا، وهو لوصاياه حريصٌ مُجيب.  
وما قيمة أولئك الملاعين ! إنَّ دجاجة واحدة تكفي ثمنا لكل  
رؤوسهم. وإنَّ ابتسامه من سيِّده تجعل كلمته عُلِيًّا، وأمره  
قانونا لا يقبل نَسْخًا ولا إبطالًا. وكم عدد الرؤوس التي  
شدَّختها عصا «أبي هدة»؟! وكم من ظهور أحنَّتها، وأيدٍ  
كسرتها؟!

ومن أين اكتسب المنزلة الممتازة عند سيِّده العملاق  
الأحذب؟ أليس من حرصه على تنفيذ وصاياه، والغلوِّ في  
التنفيذ؟ لقد كانت اغراءات سيِّده - على مدى الأيام - هي  
التي جعلته آلهَ صمَاء تدفعها قوَّة جِبَّارة خارقة.

كان أبو هدة في إصباحه هذا برما ساخطا، لأن زوجته  
فطيمة لامتها سيِّدتها وعَفَّتْهَا؛ فقد تأخَّرت عن مسح فناء الدار  
رُبْع ساعة عن الوقت المعتاد. وكان هذا اللوم كافيا لأن يُشْبِعَهَا  
أبو هدة ضربا وسبًا وجفاء وغضبًا. وهو من أجل هذا، ومن

أجل ظمأ هراوته، أسرع في التَّفَقُّد والتجوُّل طولَ المزرعة وعَرَضَها عساه يشفي غليله، وغليل هراوته من الظمأ.

وسار أبو هدة متمهلاً مفكراً ... مستعرضاً حياته الرتيبة مع سيده العملاق الأحذب، فصورها له عقله الأحوال حياة العزة والكرامة، والمنعة والرِّفعة. وأيُّ حياة فوق هذه؟ لقد حبَّته بها الأقدار الجليلة. ولو كان له اختيارٌ لكانت هي الفضلى. وامتدَّت بأبي هدة حبال التفكير إلى آخر السياج الغربي للمزرعة. وأبصرت عينه (النَّفَّاذة) جثة هامدة قرب سياج، فأسرع من خطواته ولوَّح بهراوته في الفضاء كأنه على استعداد لمصارعة أو قتال.

لقد وجد فريسته. وتحلَّبت لهاة عساه. وأيقنت بالارتواء بعد العطش الطويل. وصعق أبو هدة موقظاً هذا الشخص الغريب المتهالك. ثم أعاد الصيحة مصحوبة بؤكزة العصا وركلة الرِّجل. وفي المرّة الخامسة انتبه عبد القدوس فزعا مذعورا، فحَمَلق في وجه هذا الحارسِ الفظ، والتفت حوَّاليه فازداد هلعاً ورُعْباً:

« .. ما لي هنا! ... أين أنا؟ ... أين القطار والمسافرون؟ ... أين مُتَّجْهي ومقصدي؟ ... أدبأشي ... زادي ومتاعي؟ ... عفوا ... هل جُنِنت؟ قل لي برَبِّك أين أنا؟ ... ويلاه ربَّاه! ... ».

واحتار في أمره. وضافت به الدنيا رغم هذا الفضاء الواسع. وغلبه الدمع فأجهش باكياً، نادياً حظّه، ناعياً سعادته.

ولأول مرة يشعر أبو هدة بالرحمة والرأفة تجدان



إلى قلبه مَنفذاً، فألقى بعصاه جانبا وأخذ يواسي هذا الشابَّ الغريب. وإنه لغريب حقا عن هذا المكان. إن هذه الآثار البادية عليه من نعمة ورخاء، وحضارة ولين عيش، جعلته في نظر أبي هدة غريبا يستحقُّ الرأفة والمساعدة. وكانت غاية إكرام أبي هدة أن سمح له بالانطلاق بعد أن رسم له خطة تُوصِله إلى القرية التي لا تبعد إلا ثلاثة أميال، واجتهد أبو هدة في توضيح الخطة بعد أن رسمها على الأرض بعصاه الغليظة الظمأى. فودَّعه عبد القدوس شاكرا صُنَّعه، ناظرا إليه بطرفٍ كاسر، وذُلُّ مَوْحش.

\*\*\*

سار عبد القدوس محاولا جهده متابعه المنهج المرسوم. لقد أفاق من غيبوبته، ولكنها أشبه بإفاقة المحتضر لاستقبال الموت. وأخذت المشاهدُ الماضية تتوافد عليه، فمضى يتحدث :

« .. لقد عرفتها عادة فاتنة، ماهرة ساحرة. كانت قبلة قلبي، ومرتع هواي... ولكن ما إن عرفتها حتى لازمْتُ تلك الحشيشة الفاتكة؛ فأقبلتُ عليها بلهفة، وبلا انقطاع. وسرت (1) سمومها في بدني. واستقرت في دماغي. حقا إنها لمدهشة ! فما أحلى تلك السويغات التي كنتُ أقضيها مع غادتي.. ملاكي الطاهر! فهل تعود الأيام ؟ ».

(1) في الأصل المنشور : سارت .



كانت هذه الحشيشة عزاءه الوحيد عن ذلك الحرمان القتال، والصُدود المُميت. وكانت سلواه كلَّما اشتدَّ به الضيق، وأظلم أمامه الكون.

ومضت سنة كاملة لا يلاقي فيها عادته إلا مع حبيبته، حبيبته الثانية وسلواه الوحيدة. واشتدَّ به الهيام، وأعرض عن النَّصيح. سيِّمًا صديقه خالد الذي لم يألُ جهدًا في نصحه وإبعاده عن هذا المخدَّر القاتل. وما نسي عبد القدوس ذلك اليوم الحاسم لعشرته مع صديقه خالد، اليوم الذي قدَّم فيه نفاضة جراب نصحه؛ وودَّعه الوداع الأخير بعد أن يبس من إصلاحه، وقنط من إقلاعه.

«... ألم تكن تلك الحشيشة مُباحة الرِّواج؟ ما بال القانون لم يُحرِّمها، ولم يمنع رواجها بله الدَّعاية لاستعمالها؟ أيقودنا القانون إلى الهاوية؟!... ويُلهم كم يُجرمون!... حقًا لقد كاد يُفْضي<sup>(1)</sup> صديقي خالد بالسَّر الذي من أجله أباحت "السلطة" "ترويح هذا السُّم الرُّعاف... ولكن أيجدي النَّصح إذا تمكَّنت العلة؟! ...»

وعندما وصل بعبد القدوس التفكير إلى هذا الحدِّ كان السخط قد بلغ به غايته، فمضى مُحتدِّمًا ساخطًا حتى اقترب من قنطرةٍ عظيمةٍ لعلها أعظمُ قناطرٍ نهرٍ مجردة. وهي القنطرةُ الوحيدة التي جُعِلت خزانًا لمياه هذا النهر الضائعة. واستغلت قوى مياهها المحصورة لتسيير دولاب معمل الشاشية "الباطان". وأعجب عبد القدوس بمنظر النهر،

(1) وفيه: يقتضي.

فحاذى ضفّته الشمالية، وتمهّل أمامه. كان بالضفة الأخرى  
صيّاد عملاق، يحمل غَدَّارة (1) كثيرا ما أطعمته لحما طريّا،  
وصيّدًا شهيا.

وتسمّر الصياد مُرَمَرَمًا : « .. آه ! ... أرنب ! ... إنها  
ترعى غافلة .. ولكن !.. إنَّ بقريها إنسانا ... سيُفَلِت الصيّد  
... لا !... لا يهَم !... ».

وارتجف الصياد وارتعد، وصوّب الغدّارة ...، وأطلق  
النار، ومزّق السكونَ السائد... وعلا الدُخَان .. وعلا الدخان،  
وكانت آخر وثبة للأرنب تحت قدمي عبد القدوس ؛ فصاح،  
وعاد إلى غيبوبته ...

ثم عدا صوّب النهر، وإذا حبيبتُه تُناديه، فمدّ ذراعَيْه،  
وصاح : « لَبَيْك !... لَبَيْك !... ».  
واحتضنته الأعماق.

الصباح

23 و30 جويلية 1954

---

(1) الغدّارة : آلة بين المسدس والبنديقية لإطلاق العيارات النارية. سميت بذلك  
لأن حاملها يغدر بها عدوّه، محدثة (المعجم الوسيط، والمنجد).

### 3 - غرة أكتوبر حنظلٌ وتَفَاح

دخلت زبيدة من الشارع إلى الدار، وهي تدير على لسانها كلمات لا يسمِعها أقرب الناس إليها. لقد كانت في ذهول واندهاش. تسلَّلت إلى فناء الدار في تباطؤ وهي تغمغم: «... رُوبَة... حذاء... جوارب... مِحْفَظة... كتاب... كَرَّاسات... غدا ستذهب إلى المدرسة. ألم تُرني كيف استعدتَ لذلك (1) ... سوف لا ألتقي معها كما كنا نلتقي طيلة هذا الصيف ... غدا ستقول لسيِّدتها المعلِّمة: «صباح الخير سيديتي!... ألم تذكر لنا خديجة كيف تعلَّمت تحية سيِّداتها المعلِّمات.. كم مرة مثَّلت فيها خديجة دور المعلِّمة ومثَّلنا نحن دور التلميذات... نعم التلميذات!... ألم تمر أمامنا - ذات يوم - إحداهن يوم أن طوَّح بنا التجوُّل خارج باب المدينة القديم. فلما أبصرت بها خديجة أسرعَت إليها وقبَّلتها، وكنت مع أترابي ننظر إليها في دهشة وإعجاب، حتى إذا عادت إلينا خديجة أعلمتنا بزهو وخيلاء أن سيِّدتها بالمدرسة فرحت بها فرحا شديدا، وأعلمتها أنها ستكون سيِّدتها في السنة الدراسية المقبلة...».

وتوقَّفت زبيدة عن الاستمرار في غمغمتها سوى أن لسانها استمر يردُّد: «... في السنة الدراسية المقبلة ...»، إلى أن دخلت البيت حيث وجدت أمَّها ترفو قميص أخيها إبراهيم. وخلافا لعادتها لم تدخل زبيدة - هذه المرة - باسمه نشيطة، فاسترعى موقفها الغريب انتباه أمها فسألته: «لا بأس عليك

(1) في الأصل: إلى ذلك.

عزيزتي! مالك تدخلين صامتة هكذا؟ أبك بأس؟! خبريني  
بُنَيْتِي! ..».

وظفقت زبيدة تقصُّ على أمها ما رأت عند جاريتها نفيسة  
من أثواب جديدة، وكتب وأدواتٍ مختلفة، استعداداً منها  
للدخول إلى المدرسة.

وتابعت الطفلة الغريرة وصفها لما شاهدت عند نفيسة،  
وهي لا تعلم أنها تقطع نياط قلب أمها المسكينة، وتمزق  
أوصالها. ولم تتفطن الغريرة الصغيرة إلى الدمعة السخينة  
التي لسعت خدَّ أمها، فمسحتها بسرعة البرق حتى لا تشعر  
ابنتها بذلك، وتسالها عن سبب بكائها.

وإذ أحست الأم بغلبة الدمع لها، سرعان ما ربطت  
جاشها، وقالت لابنتها: «... اذهبي إلى «للتك حلومة»  
وائتني بـ «صر» ثياب الغسيل. ثم مرِّي على دار «عمك  
حمادي» ليأتي إلينا بـ «الشغل» (1) ...».

وأطاعت زبيدة الأمر، فخرجت خفيفة لطيفة لتأتي بثياب  
الغسيل وتعلم عمَّها حمادي. خرجت نشيطة كأن شيئاً لم  
يحدث لو لم يُعدها إلى وجومها واندهاشها مرورها على محلِّ  
لبيع الكتب؟ فقد رأت المحلَّ غاصاً بالداخلين والخارجين.

(1) الشُّغْلُ : مصطلح يطلقه بتونس الشواشية على الصوف المبروم خيوطاً  
ليزرد قبل صبغه وتهينته بالإبر الحديدية غطاء للرأس المعروف بالشاشية.  
وكانت النساء الفقيرات هن اللاتي يقمن بهذا العمل اليدوي في منازلهن  
بتكليف من الشواشية.



وكانت وجوه الأطفال والفتيان تصفح (1) بشرا وسرورا، يتأبط غالبهم ما اشتروا من كتب وأدوات، مُلقين من حين إلى آخر نظراتٍ جذلى على ما اقتنوا، مباحيا أحدهم الآخر بلون دفاتره، أو شكل محفظته، أو نوع ريشته. وعادت زبيدة من كل ذلك إلى وجومها واندهاشها؛ عادت لتُغمغم من جديد : « السنة الدراسية المقبلة! ... السنة الدراسية المقبلة! ... ».

\*\*\*

انتهت أم زبيدة من الطهي فهيات الغداء، وبقيت مع ابنتها زبيدة تترقب ولداها إبراهيم حتى يعود من عمله. فلقد كان إبراهيم يعمل « قلفة » (2) عند إسماعيل البراني؛ ولكن الولد لم يرجع كعادته بعد الزوال بنصف ساعة.

واحتارت الأم واضطربت من هذا التأخير الذي استمر إلى الساعة الثانية. وتضوّرت زبيدة جوعا فكانت تهّم حيناً فحيناً بوضع يدها في صحن « مرقة البطاطة » لو أن أمها تسمح لها بذلك. وكانت الأم حريصة على أن يجتمع ثلاثتهم على صحن الطعام؟ فهي تخشى إذا هي قسمته لا يكفيهم، إذ لم تكن الستون فرنكا، التي أعطتها صباحا لإبراهيم، تسمح بأكثر من قطة سلق، ورطل بطاطة، ونصف رطل طماطم، وشيء من الخبز.

ولهذا فهي حريصة دائما على أن يجتمع ثلاثتهم كلما حان

(1) صَفَحَتْ جِبْهَتَهُ أَوْ وَجْهَهُ، تَصَفَّحَ صَفْحًا : انبَسَطَتْ انبِساطًا مَفْرَطًا (المعجم الوسيط). ولعلها تطفح بشرا من المجاز.

(2) قلفة : مصطلح يطلقه الصنّاعية بِنُونِس على الصّانع المبتدي.

غداء أو عشاء. ولكن إبراهيم أبطاً عليهما اليوم. وعيل (1) صبر  
الأم، فأرسلت زبيدة تستطلع الخبر، وتبحث عن أخيها. وشدّ ما  
اندهشت زبيدة لما رأت أباها محتبياً أمام «الحانوت»، مُدخلا  
رأسه بين ركبتيه، جاعلاً من حدائه القديم مقعداً يقيه صلابة  
البلاط وبرودته. ولما أعلمها أخوها أنه لا يستطيع أن يعود إلى  
المنزل إلا بعد مجيء « عرفه » على الساعة الثالثة، عادت  
زبيدة إلى المنزل كاسفةً البال، وئيدةً الخطى.

\*\*\*

رغم أن أم إبراهيم اطمأنت إلى سلامة ولدها من أحداث،  
لكنها استغربت هذا التعمّد في حبسه (2)، ومنعه من الرجوع  
إلى المنزل. فبقيت على أحرّ من الجمر في شوق مُحرق  
والم مُمضّ.

وفي تمام الساعة الرابعة عاد إبراهيم إلى المنزل  
فأسرعت إليه أمه تضمّه وتقبّله، وهي تلهث وتقول :  
«... مالك تأخرت يا بُنيّ؟ أهو عقابٌ نالك أم ماذا جنيت؟!  
تعال يا عزيزي. إننا لم نتغدّد بعد. لا! لن أطلب منك الآن أن  
تقصّ عليّ ما جرى... ليكون ذلك بعد الأكل. هيّا! إن أختك  
لم تحتمل أن تبقى جوعانة (3) إلى الآن. أما أنا... وغصّت  
الأم بعبّرة أسكنتها فأسرعت بابنها إلى البيت لينالوا من مرقة  
الصحن الباردة.

---

(1) في الأصل : حيل، تصحيف مطبوعي. والصواب : عيل. يقال مجازاً : عيل  
صبره : نفذ. انظر (ع ول) في أساس البلاغة والمعجم الوسيط.  
(2) في الأصل المطبوع بجريدة الصباح : حبه، تحريف.  
(3) كذا في الأصل : جوعانة، والمعروف المتداول : جوعى.

لم تكن حالة إبراهيم النفسية لتسمح باستمرار الأكل دون أن يخبر والدته بما جرى له. وما إن لمح على أمه استعدادا للسمع حتى اندفع يقص عليها ما وقع بكلام قَطَعته العَبْرَات والزفريات. وبعد لأي عرفت الأم البائسة أن «عرفه» إسماعيل اصطحبه معه لشراء معدّات الدراسة لابنه رشيد. وبينما هما عاندان من المتجر اصطدم إبراهيم بحمّال فسقطت من يده رزمة الكتب التي اشتراها «العرف» إسماعيل فوقعت في متجمّع ماء راكد كوّنهُ تهاون المجلس البلدي وقلة اعتنائه بحارات المدينة القديمة.

واستشاط السيد إسماعيل غضبا وانهاled على إبراهيم ضربا ولكما، وسبّا وشتما. ثم صبّ عليه جامّ غضبه لمّا تحقّق فساد الكتب بوقوعها في الماء والوحل.

ولم يكتف السيد إسماعيل بذلك فأدخل إبراهيم إلى الحانوت وأشبعه ضربا من جديد، وأسمعه بذيء الشتائم وقارص التوبيخ. ثم أنذره بأنه سوف لا يعود إلى المنزل بعد الزوال، وإذا ما عاد فسيطرده من العمل ويعوّضه بغيره. وحسر إبراهيم عن مرفقيه ليُري أمّه جروحا أصابته لمّا وقع على الأرض عندما ركله «عرفه» برجله. وكانت عبّرات الأم تتساقط تباعا، وهي تستمع إلى حديث ابنها الباكي. وأحسّت بلَفْح نارٍ يكاد يشوي خديها، ويُلهب أحشاءها؛ فذهبت إلى الحنيفة عليها تطفئ ناراها وتُلفظ حُرقتها.

\*\*\*

باتت أم إبراهيم ليلتها مفتوحة العين، حرّاء الزفرة، يُذكي لواعجها ساعة بعد أخرى صوتُ ابنتها زبيدة أثناء أحلامها :



«... غدا صباحا نلتقي ... أمام المدرسة.. بكم اشتريت ....  
القلم ... ما أبهاها ريشة... صباح الخير سيدتي!... حاضرة  
سيدتي!...».

وعندما انبعث آذان الفجر يبشّر بالصباح الجديد، ويدعو  
إلى الصلاح والفلاح، كانت أم إبراهيم تتحدّث حديثا هو أشبه  
بصوت النائم، وتقول : «...اليوم غرّة أكتوبر بداية موسم  
العلوم والمعارف... سيّجّه مئات الألوف من الأطفال والشبان  
إلى مناهل المعرفة. يهذبون عقولهم، ويكوّنون أنفسهم،  
ويُشيدّون مستقبلهم ومستقبل هذا الوطن .... اليوم يوم عيد  
المعرفة، ولكن لمن هذا العيد؟! إنه لغيري. انه لغير أبنائي.  
إنهم سيدوقون فيه حلاوة التفاحة، وينشقون عبير الياسمين.  
أما نحن فحسبنا مرارة الحنظل، وعفونة الزيتون (1). إنني  
أعلم أن مثلنا من الأشقياء كثير. فلماذا هذا الحرمان؟! هذه  
مدرسة تُوصد أبوابها عن مثيلاتي وأمثالي! وتلك تُرهقني  
تكاليفها ولوازمها، وتبقى أولادي فريسة الجهالة والتّعاسة،  
فمتى الخلاص؟... ومتى يستفيق المسؤولون؟...

وقامت أم إبراهيم من فوق فراشها على مَضض.  
واتّجّعت إلى المتوضّأ، وهي تقول : «...سبحانك ربّي! لقد  
نفد صبري. وكَلت حيلتي. ربّاه! لستُ مسؤولة...! لست  
مسؤولة...!».

الصباح، غرة أكتوبر 1954

(1) وفيه : النيتون. ولعلها تحريف الزيتون كما أصلحناه .





< في حروف المعاني >

سأنتي - أيا الأبن العزيز - عما في كتابك من ضعفه  
وعما في أسلوبك من نقص وكثت العيبت التي قدمتها إلى  
لكي يجرى عليها البحث وينالها الاختيار - خير شاهد على  
ما في كتابك وأسلوبك مما أحسنت به، ومما جعلني أمل  
فيك الوصول إلى الغاية والإحراز للحسن.

وأنت في سؤالك هذا قد أبنت عن خلقين جليلين هما :  
الفرور والطمع إلى الكمال فمن أتد عن  
ومر غوره واكثر شرف بحصله

توجيهات في اللغة والأدب

أما ذلك الثانية فهي تعلم أن طموح  
الذي إن تكون شيئا بدونه، وإن تعلم أن طموح بلا  
طموح حنة بلا روح وتعلم أن الطموح بلا طموح  
بلا عزم، هما مثل الخسائي، وشجاعة الجبان، فكن كما  
تستفيد، وتفر عن المساعدة بل تلك المقاصد.

أما الإجابة عما سألت، فأعلم أن أشد ما تقتر إليه لصحة  
كتابك وحسن أسلوبك، هو في اجابتك استعمال حروف  
المعاني، خصوصا حروف الجر وحروف المطلق وقد  
قل قباء التناد : « إن من أجسب استعمال حروف العطف  
وحروف الجر فقد أصبح ككنا ». وذلك نظرا إلى خطرهما  
في البيان، ومقامهما في التعبير، فمن أحكم استعمال حرف

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

## &lt; في حروف المعاني &gt;

سألتني - أيها الابن العزيز - عمًا في كتابتك من ضعف، وعمًا في أسلوبك من نقص. وكانت العيّنات التي قدمتها إليّ - لكي يُجرى عليها البحث وينالها الاختيار - خير شاهد على ما في كتابتك وأسلوبك ممّا أحسست به، ومما يجعلني أمل فيك الوصول إلى الغاية والإحراز للحسنى.

وأنت في سؤالك هذا قد أبنتَ عن خلتين حميدتين هما :

البعد عن الغرور والتطلّع إلى الكمال. فمن ابتعد عن الغرور فقد عرف قيمته، وسبر غوره. وأكبر شرف يحصله الإنسان، وأعظم معرفة ينالها في حياته إنما هي معرفته لنفسه المعرفة الحق. وتلك هي خلتك الأولى التي حمدتها فيك.

أما خلتك الثانية فهي تطلّعك إلى الكمال. وهي طموحك الذي لن تكون شيئاً بدونه، ولن تُحمد بتركه؛ فالشباب بلا طموح جنّة بلا روح. وتعلّم أن الطموح بلا عزم، والتطلع بلا عزم، هما عمل الكسلان، وشجاعة الجبان. فكن كما نَعشّمنا، وشمّر عن الساعد تنلّ تلك المقاصد.

أما الإجابة عما سألت، فأعلم أن أشدّ ما تفتقر إليه، لصحة كتابتك وحسن أسلوبك، هو في إجادتك استعمال حروف المعاني، خصوصاً حروف الجر وحروف العطف. وقد قال قداماء النقاد : « إن من أحسن استعمال حروف العطف وحروف الجر فقد أصبح كاتباً ». وذلك نظراً إلى خطرهما في البيان، ومقامهما في التعبير. فمن أحكم استعمال حرف



الجر فقد تمكّن من ناصية الكلمات، وحقق مدلولاتها ومراميها المختلفة. ومن أحكم استعمال حروف العطف فقد نظم أفكاره، وأحكم بينها الترابط والتسلسل، والتوليد والتفريع.

فتنبّه لهذا، وعَضَّ عليه بالنواجذ، واحذر القول الفجّ وفطير القواعد؛ واستمع إلى النصّح تفرّجاً، واركب الجواد تَبَرُّجاً. وفي اللقاء القادم - إن شاء الله - سترى تطبيق هذا على شواهد من بليغ الكلام. والسلام.

الدرس المتجول

العدد الثاني، 2 رجب 1371 / 1 أفريل 1952،

السنة الأولى، ص 17 - 18

2 - تحية اللقاء :

« في حروف الجر »

قلت لك في اللقاء الماضي : « إن من أحكم استعمال حرف الجر فقد تمكّن من ناصية الكلمات، وحقق مدلولاتها ومراميها المختلفة ». وذلك لأن حرف الجر ما وضع في اللغة إلا ليوصل معنى كلمة إلى كلمة أخرى، خصوصاً معنى الفعل إلى الاسم. وليست هذه الوظيفة التي جعلت لحرف الجر قد وضعت على إطلاقها، فيمكن لك أن توصل أيّ فعل بأيّ اسم ؛ وإنما تتماشى تلك الوظيفة مع فقه اللغة وأسرارها، فحرف الجر وضع أصالة لمعنى من المعاني مما يتناسب مع كلمات وأفعال خاصة دون غيرها. ولهذا كان من الخطأ الواضح أن يقال : « حروف الجر ينوب

بعضها عن بعض « بدون تقييد لذلك الإطلاق. ولهذا أيضا أنكر كثير من العلماء نيابة حرف جر عن حرف جر آخر، جاعلين ما يوهم تلك النيابة من باب تضمين فعل معنى فعل لا من باب نيابة حرف عن حرف.

لذلك أطلب منك أن تتنبّه لمعاني الكلمات ولمعاني الحروف. ولتكن يقظا متبصّرا، فلا تتجاوز بالحرف عمّا وُضع له أصالة إلا إذا كنت مراعىا لمعناه الأصلي مع زيادة أخرى يقتضيها المقام، وتدعو إليها النكتة البلاغية.

خذ لذلك مثلا مادة طاف، فقد تجدها في القرآن الكريم وُصِلت إلى الاسم بحرف (الباء) حيث كان المعنى يقتضي الاختلاط والإصاق، فقال تعالى: (وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (1). وفي مكان آخر عُدِّيَتْ بحرف (على) لما كان المقام يدعو إلى الاستعلاء في مقام الضرر كقوله تعالى: ( فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ) (2)، أو في مقام الخير والامتنان كقوله تعالى: ( يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ) (3).

فإذا أنت اكتفيت من الطواف بمجرد الدوران حول الشيء فإنك تقول مثلا: «طفتُ حول المدينة». ولكنك إذا قصدت معنى التوغل في الشيء فإنك تُوصل الفعل بالحرف (في) الدال على الظرفية. فاستمع إلى امرئ القيس حين أراد أن يُبين لك مقدار توغله في الآفاق والأقطار فقال: (من الوافر)

(1) من الآية 29 سورة الحج 22.

(2) الآية 19 من سورة الفلم 18.

(3) الآية 17 من سورة الواقعة 56.

وقد طُوِّفَتْ فِي الْآفَاقِ حَتَّى

رَضِيَتْ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ (1).

وهكذا ترى - أيها الابن العزيز - كيف يختلف استعمال حرف الجرِّ حسب اختلاف المعاني في المادة الواحدة، بله اختلاف المواد واختلاف الحروف.

وسوف أريك نماذج أخرى في لقاءات « أخرى » بعد أن أفِي لك بما وعدتُك في شأن حروف العطف.

الدرس المتجول

العدد الثالث، 20 رجب 1371 / 15 أفريل 1952،

السنة الأولى، ص 33 - 36.

3 - تحية اللقاء :

نميمة الأسلوب

أخي أحمد ....

تلقيتُ رسالتك بما هي أهله من إكبار وتقدير. وأقول :  
إنها رسالتك رغم عوامل الإخفاء التي أحطتها بها كأنك  
تحسب أن الحيلة تنطلي عليّ، فأراها رسالة من مجهول  
لا صلة بيني وبينه. وفاتك أمر ذو بال لعلك لم تتفطن إليه،  
فوقعت في الكشف وأنت تريد الخفاء. ومتى كنت تكتب  
بعيدا عن نفسيتك وشخصيتك ؟ ألم يكن أسلوبك الذي طُبعت

(1) من قصيدة لامرئ القيس في التأمل مطلعها (من الوافر) :

أرانا مَوضِعِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ      وَنُسَخَرَ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ.

(راجع ديوان امرئ القيس، تح حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت 1989 : 389)



عليه، ولا تستطيع الإفلات منه؟ إنه منك بمنزلة ممیزاتك ومخصّصاتك، به عُرفت وبه تُعرف. ذلك أن الأسلوب هو الطريقة التي اتّخذتها للتعبير عن أفكارك ومشاعرك. وقس ذلك بالكلام والحديث، واللهجة والنبرة، والصوت والنطق. ألم يكن لكل أحد خصائصه ومميزاته بها يُعرف هذا وذاك ولو من وراء ستار أو حجاب. ولولا ذلك لاختلط الأمر على الناس ولانبهت أمامهم المسالك.

وأقرب الأمثلة لهذا معرفة المكفوف للناس، وتمييزه الواحد عن الآخر. ولم يكن له وسيلة لهذا التمييز إلا الصوت والكلام. وكما كان للحديث أسلوبه وخصائصه، فكذلك الكتابة الأدبية التي تتصل بالشعور والعاطفة. وإذا لم يكن للكاتب أسلوبه الخاص يضيع وسط هذا الخضم المتلاطم من الكتابة والكتاب. ويقدر ما يكون أسلوب الكاتب قويًا متينًا له خصائصه ومميزاته فإنه لا يكون نكرة مجهولة أو نسخة مكررة. ولهذا يموت الكتاب المقلدون لغيرهم، حيث يذوبون في المنهل الذي منه يكرعون، والمنبع الذي منه يستقون؛ لأنهم ما كانوا يصدرون عن شخصيتهم، ولا كانوا متلبسين بميزاتهم.

ولهذا فإني حمدت منك محاولة إخفاء اسمك، لأن أسلوبك نمّ عليك. ونميمة الأسلوب هي دليل على استقلاله وامتيازته، وجوهر بقائه وخلوده.

وكان للأسلوب خطورة نقدية حيث يُنفى به المنحول، ويُرجع بالمجهول إلى صاحبه.

أتعرف كتاب التاج في أخلاق الملوك، وكتاب المحاسن والأضداد؟



جاء النقاد إلى الكتاب الأول ورَجَّحوا نسبته إلى الجاحظ لأن عليه ميزة جاحظية رغم أن نسبته التاريخية قليلة السند إلى الجاحظ. و جاؤوا إلى الكتاب الثاني ونفوه عنه لأنه بعيد عن أسلوب الجاحظ رغم نسبته إليه (1).

وكان الأصمعي كثيرا ما ينفي شعرا نُسب إلى أحد الشعراء لأن ذلك الشعر لا يماهي الخاصية التي عُرف بها ذلك الشاعر، فلا يتورَّع في نفيه عنه. وغير هذا في القديم والحديث « كثير » مما أراك في غنى عن تعدادي لك « منه » أمثلة أخرى.

ولا أرى حرجا في زيادة الحديث عن الأسلوب ومقوماته وخصائصه وشروطه متى أظهرت رغبة في ذلك، أو دعتك ضرورة إليه؛ فلعلك ترغب في ذلك، وسأكون عند حسن ظنك إن شاء الله.

#### الدرس المتجول

العدد الخامس عشر، 29 ربيع الثاني 1372

15 جانفي 1953، السنة الأولى، ص 225 - 228

---

(1) أفاض المؤرخون والدارسون القول في مدى نسبة كتابي التاج في أخلاق الملوك، والمحاسن والأضداد، إلى الجاحظ، أو نفيهما عنه. وللإطلاع على هذه القضية نحيل القارئ إلى تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، ج 3، ترجمة عبد الحلیم النجار، دار المعارف بمصر، 1962، ص 127 - 126؛ وأيضا إلى كتاب الجاحظ : حياته وشعره، لطف الحاجري، دار المعارف، القاهرة 1963، في صفحات مختلفة.. إلخ.

## الوصف

أخي أحمد !

لا تحسب أنني سأحدثك عن الوصف كما يتحدث عنه النحاة، لأن حديث النحاة عنه إنما من ناحية هيكله اللفظي وجهازه العظمي. أما في النقد والبيان فالحديث عن الوصف إنما <هو> حديث عن حياته وحيويته، عن حركته ونشاطه، وعن مدى مشاركته في تصوير المعنى وإيضاحه حتى يصل إلى سامعيه مشرقاً ينبض بالحياة، ويوصل إلى الهدف والغاية. ولهذا كان للوصف والبراعة فيه شأن وأي شأن في كل لغة وكل أدب. والغرض الأصلي من الوصف هو التوضيح والتبيين لمعنى جال بخاطرك، أو فكرة عرضت لك، أو مشهد مرَّ على بصرك، فتنقله - أنت - إلى غيرك على أوضح ما يكون حتى يرتسم في ذهنه واضحاً جلياً. ولهذا فإن الوصف إذا فاته الوضوح يكون قد فات الغرض الأصلي منه. ويكون الواصف قد أضاع مجهوداً في غير طائل، وألبس على من أراد الوصول إلى الهدف والغاية.

والوصف في النقد الأدبي هو أعمُّ من أن يُحصَر في باب من أبواب النحو، أو فصلٍ من فصول علم البلاغة. وإنما يشمل فروعاً كثيرةً تدرج كلها تحت قاعدة عامة وحكم مشترك هو قصد (1) التصوير والتوضيح لمعنى من المعاني، أو شيء من الأشياء؛ سواء عن طريق النعت، أو الخبر، أو

(1) في الأصل : فقد، ولعل الصواب ما أثبتناه .

التشبيه، أو الكناية، أو الاستعارة، أو التمثيل؛ وسواء كان بالكلمة المفردة، أو الجملة، أو الفقرة، أو العبارة. وقد تعجز وسائل الإيضاح عن إيصال المعنى المقصود إلى السامع أو القارئ ولا تجد من وسيلة لذلك إلا وسيلة الوصف. وبماذا تستطيع إيصال الأمور المعنوية إلى غيرك؟ إنه لو انعدم الوصف لبقى ذلك المعنى مغمورا محجبا. ولكنك بالوصف تُدني من القصي حتى يصبح قريبا يكاد يُلمس، وتُبرز الخفي المجهول حتى يمثل أمام الناظر كالمُشاهد المحسوس.

ولعلك أدركت بهذا أن للوصف قسمين رئيسيين : وصف المحسوسات، ووصف المعاني. وهكذا كان؛ فالوصف ينقسم إلى وصف حسي، وإلى وصف معنوي. وليس البيان في غنية عن أحدهما مهما كانت الحياة التي يحيها الإنسان. إلا أن الملاحظ هو أن الأمم والشعوب في بداوتها تعتمد أكثر ما تعتمد على الأوصاف الحسية. ولهذا ترى أدب الجاهلية العربية مملوءا بالوصف الحسي. وكانت المحسوسات معتمد الشعراء والخطباء والمتكلمين في العصر الجاهلي وما بعده؛ حتى إذا تغلغت الأمة العربية في الحضارة والمدنية، وشاعت فيها المذاهب العقلية والعلوم النظرية أصبح للوصف المعنوي مشاركة قوية في التصوير والتعبير لسائر المقامات والاعتبارات.

وهذا التدرج من الوصف الحسي إلى الوصف المعنوي ثم إلى شيوعهما وانتشارهما ليس خاصا بالأدب العربية، وإنما هو سنة عامة شائعة في سائر الآداب وسائر العصور، تتماشى مع تدرج الأمة وانتقالها من طور إلى طور. شأنها شأن الإنسان يولد وليس فيه إلا القابلية والاستعداد فيتدرج



شيئا فشيئا في مدارج الإدراك من المحسوس البسيط إلى البسيط المعقد.

ولعلك تطلعت - بعد هذا - إلى صور تطبيقية لما ذكرته لك، وما عرضته عليك. ولهذا أرجوك - قبل أن آتي إليك بهذه الصور - أن تمعن النظر فيما تطالع وما تقرأ من روائع الأدب. فإنك واجد فيها الشيء الكثير مما قلته لك. ولعلي بعد ذلك أجدك أكثر استعدادا وفهما لما سأقدمه إليك في لقاء مقبل إن شاء الله.

الدرس المتجول

العدد السابع عشر، 1 جمادى الثانية 1372

15 فيفري 1953، السنة الأولى، ص 257، 261

## 5 - تحية اللقاء :

### تطبيقات على الوصف

قلت لك في اللقاء الماضي إن مزية الوصف على البيان منزلة جليلة لأنه تصوير وتوضيح لما يجول في الفكر أو يقع عليه الحس. ذلك أن الوصف منه الحسي، ومنه المعنوي؛ وأن كثيرا من الأفكار والحالات، والصور والمشاهدات، تبقى غامضة مبهمة إذا لم يسعفها الوصف بالتوضيح والإبانة، حتى إذا وصفت أصبحت مشرقة واضحة.

ولنتظر الآن فيما أعرضه عليك - من صور وصفية. وسترى كيف تبدو مزية الوصف وفضله في الإبانة والإيضاح :



(1) يقول الله تعالى في شأن الاقتصاد في النفقة : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ، فَتَقْعَدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (1). وفي الآية صورة وصفية دقيقة يدركها الإنسان حالما ينظر إلى حركة يده من جسده، من بسطها وغلها إلى عنقه، إذ يدرك أن غاية البسط وغاية الغل < في > كل منهما إفراط عن الاعتدال، وبعده عن القصد. والحالة المثلى هي الحالة الوسطى. وزيادة على سهولة إدراك هذا المقصد عند كل طبقة مهما بلغت من علم أو من جهل، فإن المقياس الذي جعل للاعتدال مقياس خالد خلود الإنسانية. وما دام للإنسان يد يبسطها ويقبضها ما دام له مقياس للإنفاق المحمود لا يختلف عنه ولا يحدد. ولولا هذه الصورة التوضيحية الوصفية لما كان لهذه الآية هذا السمو والإشراق في تصوير المعنى وتوضيحه.

(2) وهذا ابن الرومي - الشاعر الوصاف في الأدب العربي - يريد أن يصف لنا سرعة صانع الرقاق (القطاير)، وكيف أن العجين ما إن تراه كرة صغيرة بين يديه حتى يأخذ في بسطها ودحوها وفرطحتها، فتصبح دائرة عريضة واسعة. ولتوضيح هذه الصورة فإن ابن الرومي يأتي بصورة حسية يسهل تطبيقها، وبيان سرعة انتهاء عملها والفراغ منها. إن مثابة ذلك الرقاق مثابتك (2) إذا ما أقيت حجرا في بركة ماء، فما أن تلقي بالحجر في صفحة الماء حتى تظهر فوق صفحة الماء دائرة تأخذ بسرعة في الاتساع شيئا فشيئا

(1) الآية 29 من سورة الإسراء 17.

(2) مثابتك : أي بمثابتك .

حتى تصل إلى ضفاف البركة، فانظر إلى ابن الرومي كيف  
يقول : (من البسيط)

ما أنس، لا أنسَ حَبَّازاً مررتُ به  
يُدْحُو الرُّقَاقَةَ وَشَكَ اللَّمْحَ بِالْبَصْرِ  
ما بين رُؤْيَيْهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ  
وبين رُؤْيَيْهَا قَوْرَاءَ كَالْقَمَرِ  
إلا بمقدار (1) ما تَنْدَاخُ دَائِرَةٌ  
في صفحة الماء، يُلْقَى (2) فيه بِالْحَجَرِ (3).

(3) وهذا أبو الطيب المتنبي يصاب بمرض الحمى فيقلقه ذلك المرض ويثير إحساسه وشاعريته، ويصور لنا تلك الحمى التي تأبى إلا أن تزوره في وقت معين وموعد محدد لا تتخلف عنه. إنها كانت تزوره ليلاً لكنها حبيبة خفرة تتخذ لها من الديجور سربالاً تستتر به، ومن الظلام حجاباً يصدُّ عنها الأنظار، ويحول بينها وبين الأبصار، وكأن هذه الحمى كانت شغوفة به؛ لا تعدل عنه ولا تفضل على الاستقرار بجسمه شيئاً غيره؛ فتقضي ليلتها توسعه ألماً وسقماً؛ حتى إذا ما دنا الإصباح ولت هاربة لأنها تخشى أن يفضحها النور، ويكشفها النهار؛ وليتها تذهب مع النهار، ولا تعود! إلا أنها ستعود، لأنها صادقة المواعيد.

(1) في الأصل : إلا بقدر، تحريف، ولا يستقيم بها الوزن.

(2) وفي رواية الديوان : يرمى.

(3) انظر الأبيات في ديوان ابن الرومي، اختيار وتصنيف كامل كيلاني : 341؛ وفي المجاني الحديثة : 3 / 133-134. والبيت الأول من القطعة غير وارد بالأصل، وقد رأينا إضافته لكلية الصورة .

هكذا يصف لنا أبو الطيب المتنبي حُمَاه ؛ وإنها لصورة  
مشرقة واضحة تدعو إلى الإعجاب، ولو أنها كانت تبعث  
بالألم والأسقام إلى ذلك الشاعر الذي حالفته النكبات  
والمصائب طول حياته.

واستمع الآن إلى أبي الطيب يعرض عليك هذه الصورة  
الوصفيّة الجميلة : (من الوافر)

وزائرتي كأنَّ بها حياءَ  
فلَيْسَ تزُورُ إلَّا في الظَّلامِ  
بذلتُ لها المَطَارِفَ والحشايَا  
فعاقتُها وباتتْ في عِظامي  
يضيِّقُ الجُدُّ عن نفسي وعنِها  
فنُوسِعُه بأنواعِ السَّقَامِ  
كأنَّ الصُّبْحَ يطرُدُها فتَجْري  
مَدَامعُها بأربعةِ سِجَامِ  
أراقِبُ وَقْتَهَا من غَيْرِ شَوْقِ  
مُرَاقِبَةِ المَشُوقِ المُسْتَهَامِ  
ويصدِّقُ وعُدْها، والصدِّقُ شرٌّ  
إذا أَلْفَاكَ في الكُربِ العِظَامِ (1) ...

ولا أطيل عليك - أيها الابن العزيز! - فهناك الكثير من  
الصُّور الوصفية الرائعة لا تكلفني شَطَطًا في كثرة التمثيل،  
فذلك ميسور لك الاطلاع عليه في كل صفحة تقرؤها في

---

(1) انظر شرح الأبيات وصورها في شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمان  
البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت 1407 / 1986 : 276 / 277.

كتاب أدبي مُمتع، والذي ألاحظه لك أن تستفيدَ من الوقوف  
على تلك الصور الوصفية حتى تنسج على منوالها. والله  
يوفقك ويرعاك.

الدرس المتجول

العدد الثامن عشر، 15 جمادى الثانية 1372

1 مارس 1953،

السنة الأولى، ص 273 - 274

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE



## تجارب نقدية :

### 1 - في النقد الأدبي

كثيرا ما تكلم الأدباء والمفكرون في تعريف النقد وتعداد أساليبه. وكثيرا ما تجادلوا في تلك التعاريف، وتباينوا فيها. بيد أنه مهما كثر البحث في النقد، ومهما تشعبت مذاهب النقاد والباحثين فيه فإن الإنسان ليجد معهم متسعا للقول ومجالا للبحث. ذلك لأن النقد ساير الحياة الإنسانية من أول نشأتها، فأجد معها السير إن هي أجدت فيه، وتماشى معها إن هي تراخت في السير. وما ذاك إلا لأن النقد شيء ضروري في الحياة ليس لها منه بد.

ولست في حاجة إلى تعريف النقد تعريفه اللغوي لأنه واضح مشهور، ولأن تعريف النقد الأدبي هو من جملة معانيه الأصلية؛ فليرجع من أراد ذلك إلى أي معجم من معاجم اللغة فإنه يجد هناك مبتغاه ومراده.

أما أهمية النقد في الحياة فأنا أجزم بأن النقد هو أكبر وسيلة لتصفية القرائح والعقول، وإجادة البيان والتفكير؛ وبالنقد تتربى في الذهن ملكة التمييز ما بين الصالح للحياة فيخلد فيها، وما هو كغشاء السيل فينزل إلى الحضيض والإهمال والنسيان.

وأوجه النقد في الحياة كثيرة. فمنها ما يرجع إلى الماديات، ومنها ما يتعلق بالروحيات. وما النقد الأدبي إلا من هذا الصنف الأخير، وكلامي اليوم لا يتناول غيره.

أيها السادة !

لقد عرّف الأدباء هذا النوع من النقد بقولهم : هو بيان ما في الكلام، منظومه ومنتوره، من حسن وقبح.

ولما كان الناقد هو بمثابة الحَكَمِ النزيه، فقد اشترط المفكرون في الناقد أنه إذا توجّه إلى النقد فيجب عليه أن يتجرّد من كل غرض عاطفي، ولا ينظر إلى شخصية المنتقد، بل لا ينظر إلا إلى ذلك الإنتاج الذي بين يديه.

فإن كان المنقود صديقا للناقد وجب على هذا الأخير تجريد نفسه من الصداقة، وإن كان عدوّه تجرّد من العداوة. فإذا لم يتتبع الناقد هذه القاعدة الأصولية فلا إخاله عند أحكامه إلا قد لعبت به العاطفة، وتحكّم فيه التعصّب. وكأنّ لسان حاله يقول : (من الطويل)

وعينُ الرّضى عن كلّ عيبٍ كليلَةٌ

ولكنّ عينَ السُّخطِ تُبدي المساويا

و« إن الناقد - كما قال جيرار دي لا كاز دوتيي (1) - الذي هو أسمى حكم في الشؤون الفنية، والذي أطال تربيته ودراسته في تفهّم جميع ألوان الجمال، يقرّر الأثر

---

(1) في الأصل : جرار دي لاكاز دوتي. وهو Gérard Lacaze - Duthiers - فيلسوف فرنسي معاصر من مواليد سنة 1876 بمدينة بوردو الفرنسية. له عدة تأليف في الفلسفة والنقد. زار تونس في صانفة 1937، وأقام مدة ثلاثة أشهر بنابل. وفيها تعرف عليه الصحفي الأديب محمد البشروش، فكتب عنه ترجمة نشرها في جريدة الزمان، السنة العاشرة، العدد 466، 23 فيفري 1939، وأعيد نشرها في كتاب محمد البشروش - حياته وأثاره لعبد الحميد سلامة : 341-347.

الفني، محللاً إياه إلى عناصره الأولى، كاشفاً عن الوسط  
والجو الذي أنتجه، والفنان الذي صنعه. وفي هذا سبب  
آخر لمحبهته ومساجلة الغير بقليل من الإعجاب» (1).

والذي يفهم من هذا < القول > هو أن النقد ليس بالشيء  
السهل ولا باليسير الإدراك. فالذي يتصدى لهذا النوع ينبغي  
أن يكون قد أطل دراسته وتربيته، وأطل غوصه في بحور  
الفن والجمال، قادراً على تحليل الآثار الفنية وإرجاعها إلى  
عناصرها حتى إذا ما حكم كان كالعالم الكيماوي يقرّر  
حكمه بعد أن أحاط وحلّل كل جزئية من جزئيات ذلك الجرم  
الذي وضعه بين يديه ليفحصه.

#### وظيفة الناقد :

لعل أصعب وظيفة في الآثار الفنية والأدبية هي  
وظيفة النقد، لأن صاحبها سيتصدّى إلى منتجات الملمّمين  
والموهوبين فيغوص فيها ويجوس خلالها بعين بصيرة وفكر  
وقاد، حتى إذا ما أتمّ رحلته الكشفية خرج إلى الناس بعصارة  
تفكيره ونتيجة استكشافه.

وما تلك العصارة إلا حكمه الذي حكم به، وهناك

---

(1) في الأصل المخطوط وضع الكاتب لهذا القول رقم 2 بالترقيم الهندي، ولكنه  
لم يصح له مزدوجتين كما فعلنا، ولم يشر إلى مرجعه. وعند تأليفنا كتاب  
«الرؤية النقدية عند محمد العروسي المطوي» عثرنا عليه في الجزء الثاني  
من مقالة للفيلسوف المشار إليه في ترجمة لعلها بقلم البشروش نفسه. انظر  
مجلة المباحث، العدد الثاني، مارس 1938 بعنوان : الفن والسلطة (2)،  
ص 24. وانظر كتابنا المذكور الرؤية النقدية، ص 135، 136. وقد حققنا  
الفقرة عن المباحث.



تتجلّى موهبته. وإنك لتراه يظهر ما في مكنون ذلك الأثر الفني ما غفل عنه الناس، وحسبوه شيئاً حقيراً؛ فيسجل له الخلود، ويظهره للعيان. وإنك لتراه يأتي إلى أثر فني ربما شُغف به مُعَمّي العقل ومغشى البصيرة، فيُميط اللثام عمّا لذلك الأثر من مساوئ وعيوب؛ فتُفَيِّق تلك العقول من عماها، وتُبعد تلك البصائر عن غشاوتها؛ وتحمد الله أن قيض لها فكراً أبان لها الصواب، وأظهرها على الحقيقة.

والناقد لا يكتفي بإبراز تلك المحاسن أو المساوئ، بل يؤكد عليه أن يسعى بكل جدّ لتعويد الأفكار والعقول الاحتذاء (1) بذلك الأسلوب الشيق الجميل، والابتعاد عن تلك الطرق المعوجّة الوعرة، حتى إذا ما راض العقول والأفكار على تفهّم وتدوّق الآثار الفنية والاتصال بما فيها من جمال فني وبراعة خالدة يكون قد جمع إلى نفسه مع براعة النقد قداسة العاملين المصلحين.

#### متناول النقد :

لا يتناول النقد اللفظ فقط، بل يتعدّى ذلك إلى متانة الأسلوب، وجمال التركيب؛ إلى الرنة الموسيقية، والأثر الذي يحدث للسامع أو القارىء. ويمكننا أن نلخص هذا في كلمة الجمال اللفظي، أو فن التنسيق.

ثم يعمد النقد بعد هذا إلى الأخيصة الشعرية والتصورات

(1) في الأصل المخطوط : على الاحتذاء. والمعروف أنه يقال : عوده الشيء تعويداً (دون حرف الجر على) : إذا جعله يعتاده حتى يصير عادة له.



الذهنية ؛ وربما عثر على صورة قد تكون أشبه بعيب الفتيحة ولعب الأطفال، فعليه أن يبرزها جليًا.

وربما وجد تخيلًا يسمو إلى الأفق الأعلى، فالواجب عليه هنا أن يشيد بتلك الأخيلة للناس حتى يحتذيها الأفراد، وينسجوا على منوالها؛ وحتى يتجنبوا المساوئ، ويتعدوا عنها في أعمالهم ومنتجاتهم.

### مذاهب النقد وطرقه :

تشعبت طرق النقد ومذاهبه، وكثرت الآراء فيها؛ فصارت لها مدارس معروفة، وطرق متباينة. وليس الذوق بمنحصر حتى ينحصر النقد، ولا متانة الفكر بمحدودة حتى نحدده. إنما هنالك أصول رئيسية تدور عليها دواليب النقد. أما كونها في لون الزهرة البيضاء، أو الزهرة الحمراء، أو الزهرة البنفسجية، فإن ذلك لا يُخل من جوهر النقد ولا من قيمته. فالأثر الفني الجميل الذي ستحدثه تلك الزهرة داخل الشعور وباطن الإحساس، هو قدر مشترك بينها ليس لإحداهن أن تدعيه لنفسها وحدها، ولا لإحداهن أن يقال لها إنك عن هذا الأثر بعيدة.

### كيفية النقد :

إن الناظر يختلف نظره إلى المنقود بحسب اختلاف نوعه < وجنسه >. فهناك المقالة والقصيدة. وهناك القصة والمسرحية. وهناك الشخصية، و< السيرة > الذاتية. كما هناك الكتاب وهناك غيره. فلكل من أولئك قواعد عامة في ماهية النقد الأصلية. بيد أن لكل، على حدته، خاصية

أو خواص ينبغي أن تراعى عندما يعمد النقد إلى البحث والاستقصاء، ثم عندما يعمد إلى إصدار الحكم.

فالمثل السائر بين الناس مثلاً، إذا نظر إليه الناقد فـ > عليه أن < لا يتوقف على قصته وسبب إيراده ؛ لأنه بشيوعه في الاستعمال وكثرة تداوله لم تبق له تلك الميزة الأولى، بل صار كلية منفردة لا صلة لها بماضيها وحادثها.

والقصيدة الشعرية ينظر إليها الناقد من حيث جمالها الفني وانسجامها الموسيقي، وتخيلاتها وتصاويرها ؛ ثم بعد ذلك يعمد إلى هيكل القصيدة هل هو متماسك الأجزاء مترابطها، أو هو متنافرها يلعن بعضها بعضاً - كما يقولون - ؟ وهل كان الشاعر، عندما قال تلك الأبيات، يعبر بها عما كان يختلج في ضميره ويبرز لنا إحساساته، أو إنه كان يساير القافية ويتلهم بالوزن.

وأما الكتاب - إذا ما وضعه الناقد ليفحصه - فتراه ينظر إلى أسلوبه اللغوي، وجماله الفني؛ ثم إلى ترابط فصوله وانسجام أبوابه ومقالاته، ومن بعد إلى فكرة الكتاب التي يسير عليها، ومقدار قيمة الوجهة الأدبية أو العلمية التي تنبثق من خلال سطورهِ وفصولهِ.

أما ناقد القصة أو الأقصوصة فغالب نقده بعد هذا يتوجه إلى الروح التي يخلقها الكاتب ويُضيفها على الشخصيات التي اختارها لتدور عليها مناظر القصة ومشاهدتها > وأحداثها<. ومقدرة الكاتب إنما تتجلى من توغله في تصوير النحائز البشرية والسرائر الإنسانية، ومقدار إلمامه بالنفسيات والطبائع، وإبرازها في تلك الشخصيات.

وهناك نوع من النقد الأدبي يحتاج إلى طول الزمن من درس وتلقيب، وبحث وتتبع. ذلك هو شخصية الكاتب أو الشاعر. فالناقد أو المؤرخ الأدبي الذي أراد أن يكتب في حياة كاتب أو شاعر، ويبين ما في تلك الحياة من حسنات وهنات، لا يكفي بمقالة كتبها الكاتب أو بكتاب. ولا يكفي بقصيدة قالها الشاعر أو بديوان من دواوينه؛ بل عليه أن يدرس حياة ذلك المنقود من جميع نواحيها، ويلمّ بجميع ما كتبه ودوّنه في حياته كلّها من زمن الشباب إلى زمن الكهولة؛ وعليه أن ينظر في المؤثرات التي أثرت فيه حتى أخرجته درّة زمنه، أو التي أساءت إليه (1) فأخرجت أديه صوراً رمزية غامضة أو موحشة مشوّشة. وبعد كل الاستقصاء والبحث يبرز لنا حكمه ونقده.

وإنه لمن الجهل الكبير أن يعمد إلى الحكم على آثار شخص بأنه أكتب الكتاب أو أشعر الشعراء بمقال كتبه أو قصيد أنشده.

فما أجلّ النقد من مهمّة مهمتها الحرص على الآثار الفنية الجميلة وحفظها من جمود القرائح ودوائر السوء!

وأية أمة بلغت مجدها الثقافي المحمود ولم يكن فيها نقاد موهوبون لها بالمرصاد، يراقبون الآثار ويتتبعون الإنتاج؛ حتى إنك لترى المفكر لا يبرز عصير فكره إلا

(1) في الأصل : أساءته.

بعد أن يستعمل فيه كل قواه الفكرية ليخرج بعيدا - قدر  
الإمكان - عن طعن الناقدِين المبرصِين؟!!

فما أشدَّ حاجتنا إلى النقَّدة الموهوبِين يسِيرُون بنا إلى  
المنهج الحسن، والمرابح الخصبة!

أما إذا بقينا ولا نقَّدة فينا فالسعي لا يُحمد.  
وهل يبقى أريج الزهرة ويتشَمَّمه الناس، لو لم  
يمرَّ على (المِقْطَر) (1)، وبقي زهرة؟! وهل يبعث  
الذهب البشرَ في النفس لو لم يمرَّ على المِصْهر،  
وبقي تَبْرًا!

هكذا الحياة. إن وجود الشيء سهل، ولكن أين المصفاة  
والغربال؟

تونس : 2 فيفري 1943

سجل « في متجر القرائح ومقالات أخرى »

(مخطوط) : 50 - 56.

---

(1) المِقْطَر : على وزن مِفْعَل اسم آلة لتقطير الزهر، وهو المعروف علميا  
بالإنبيق، وبالقطار عند عامة تونس.



## 2 - في النقد اللغوي :

معجم العائلي : تعريف وملاحظة

لبنان الكبير :

لا أقصد من نعت لبنان بالكبير ما قصده الذين وضعوا هذا النعت لغايات سياسية أو غير سياسية ؛ وإنما أقصد المجهود الكبير الذي بذله أهل هذا القطر الصغير في مساحته وعدد سكانه في سبيل النهضة الثقافية المعاصرة للمجتمع العربي. والدارس لأسباب هذه النهضة ومعالمها وأمكنتها يجد القطر اللبناني في الصدارة والسابقة. وتبدو هذه السابقة خصوصا في محاولة النهوض باللغة العربية وتطويرها، وتيسير تعلمها وتعليمها بوضع المعاجم الحديثة مسايرة للتطور والتقدم.

وبصرف النظر عن مجهودات آل اليازجي وأحمد فارس الشياق وغيرهم، فقد قام بعض اللبنانيين بمحاولات وأعمال موفقة في شعبة (المعجمية) من اللغة ؛ فألف بطرس البستاني (محيط المحيط)، وعبد الله البستاني (البستان)، وسعيد الشرتوني (أقرب الموارد). ويعتبر (المنجد) الذي ألفه لويس معلوف<sup>(1)</sup> أسيرَ معجم مدرسي في زمننا هذا.

الحلقة المفقودة :

إلا أن هذه الأعمال - رغم ما لها من قيمة واعتبار - لم تكن كافية ومُغْنِيَةٌ نظرا إلى تطور العصر وكثرة المستحدث

---

(1) في أصل المقال : شيخو. وقد استدرك الكاتب ذلك في العدد الموالي من جريدة الصباح (عدد 2 جويلية 1954) بعنوان : معلوف لا شيخو.

< من > المسميات والمخترعات ووسائل الحياة. وهذه الكثرة الكثيرة في حاجة ملحة إلى وضع الأسماء والصفات لها. وكان - وما يزال - من أشقَّ الأشياء على الكاتب المعاصر باللغة العربية أن يعرف أسماء هذه المسميات الكثيرة التي يراها ويستعملها وينتفع بها. وهو في حديثه عنها أو وصفها إما أن يعمد إلى ذكرها بأسمائها الأجنبية أو يحاول أن يستعمل لها أسماء عربية بطريقة إحياء القديم أو اختراع الجديد. وقد يعمد أحياناً إلى إلغاء الحديث عن ذلك المسمى. وإذا اضطرَّ إلى ذلك تراه يعتمد التعميم أو الإغماض. ومثل هذا يؤدي بنا إلى الفوضى أو التقصير. إن هذه الحيرة التي يلاقيها الكاتب العربي أو المتكلم العربي، لم ترتفع إلا بمحاولات أصحاب المعاجم الحديثة، ولا بأعمال المجامع العلمية العربية التي جعلت مثلها الأعلى في السير سرعة السلحفاة أو ما هو أبطأ من سرعة السلحفاة.

المعلمات (دوائر المعارف) :

ولا أدل على نقص « المعجمية » في اللغة العربية من فقدانها للمعلمات بمعناها الصحيح ونظامها المحكم. نعم ! ألف آل البستاني دائرة معارف (1)، وألف محمد فريد وجدي دائرة معارف القرن الرابع عشر (2)، وشرع جماعة من

(1) أصدر بطرس البستاني (1819 - 1883) موسوعته بعنوان دائرة معارف في ستة أجزاء، وبعد وفاته تولاها أبنائه من بعده فوصلوا بها إلى الجزء الحادي عشر. ثم تسلمها فؤاد أفرام البستاني.

(2) دائرة محمد فريد وجدي (1878 - 1954) المعروف أن لهذا الموسوعي دائرة باسم دائرة معارف القرن العشرين، في 20 مجلداً.

المصريين في تعريف دائرة المعارف الإسلامية (1) ؛ ولكن كل ذلك لا يكفي ولا يسد الفراغ الذي يشعر به كل من رام الاستنفاد والاستفادة من تلك المعاجم والمعلمات.

أما دائرة معارف البستاني فزيادة على (2) ندرة الظفر بها وتقادم عهدها فإنها قليلة المادة بعيدة عن الشمول خالية من الكثير مما استحدثت من أشياء ومخترعات. وأما دائرة معارف فريد وجدي فزيادة على ما ذكره (3) عن < دائرة > (البستاني) < فإنها > تغلب عليها الصبغة الشخصية والإفراط في تخصيص بعض المواد بمباحث طويلة تتناسب مع دوائر المعارف الخاصة لا العامة. أما دائرة المعارف الإسلامية فإن جماعتها وإن شرعوا في تعريبها منذ سنة 1933 إلا إنهم إلى حد الآن لم ينتهوا منها، بينما وقع الإعلان في المجامع الفرنسية والإنكليزية عن إعادة طبع دائرة المعارف الإسلامية من جديد، لأنها لم تبق صالحة على شكلها السالف نظرا إلى البحوث الجديدة والتقدم في الدراسات الإسلامية مما يفرض التنقيح وإضافة

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية ظهرت بين عامي 1913 - 1938 في أربعة مجلدات وملحق بتحرير عدد من المستشرقين منهم كرامرز، وجب، وبرنار لويس. وفي سنة 1954 شرع جماعة من المستشرقين في إصدار طبعة جديدة وهي لم تكتمل إلى حد هذا التاريخ. وفي السنوات الأخيرة أصدر مركز الشارقة للإبداع الفكري دائرة المعارف الإسلامية في 33 مجلدا ضمت ما ترجم أولا من الدائرة (16 مجلدا) وما ترجمه لاحقا جماعة من أساتذة الجامعات العربية، وطبعت برعاية سلطان بن محمد القاسمي في طبعة أولى سنة 1418/1998.

(2) في الأصل : زيادة عن ، وهو استعمال حديث مستفيض .

(3) وفيه : زيادة عما ذكره. نفس الملاحظة السابقة .



الجديد لدائرة المعارف السابقة. وهكذا بقيت المشكلة سواء في المعجمية أو المعلمية.

ولكن لبنان يحاول الإنقاذ من جديد :

منذ شهرين تقريبا أعلنت المجلات اللبنانية عزم الأستاذ فؤاد أفرام البستاني على إخراج (موسوعة عامة شاملة لمختلف شؤون الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والحضارية والتاريخية)، كما أعلنت بداية صدور (موسوعة لغوية علمية فنية) تحت اسم (المعجم) للأستاذ عبد الله العلانلي. فكان هذا وذاك جهودا أخرى يضيفها لبنان الكبير إلى جهوده السابقة في النهوض باللغة والثقافة في بلاد العروبة. وكان ذلك خير استجابة عملية للنداء الملح المنبعث من أعماق كل عربي يشعر بالنقص ويعمل للتكميل.

معجم العلانلي :

وجاء الجزء الأول من معجم العلانلي، وإذا به حدّث جديد في العربية لعله المحاولة الأولى في بابه. ومتصفّح هذا الجزء لا يسعه إلا إكبار هذا الجهد العظيم، وهذه المحاولة الموفّقة التي أقدم عليها الأستاذ العلانلي. وإنه لجهد لا يقدره حقّه إلا من تصدّى لمثل تلك الأعمال الكبرى، ويعلم ما تقتضيه من مجهود وصبر، وتنقيب وبحث. ويعلم العلامة العلانلي في مقدمة معجمه أنه هيا ثلاثة معاجم : معجم مدرسي صغير، ومعجم وسيط، ومعجم كبير وصفه بأنه (متّسع الجنبات جدا). والمعجم المدرسي سيبرز دفعة واحدة. أما الوسيط فسيقع نشره تباعا في



عشرين جزءا. وبعد ذلك يطبع المعجم الكبير الذي سيكون معلمة كبرى. وقد اتصلنا بالجزء الأول من المعجم الوسيط فلم يسع المطلاع عليه إلا إكبار المجهود والاحتفاء بهذا الإنتاج المركز. ولم يكن عمل الأستاذ العلانلي في معجمه هذا خاليا من الابتكار ومحاولة الاستيعاب إذ لم يقتصر على ما شاع استعماله عند الكتاب والأدباء والعلماء، أو ما أقرته المجامع العلمية العربية؛ بل عمد إلى وضع أسماء ومصطلحات لما يعترضه من كلمات أجنبية لم يسبق لها أن عُرِّبت أو لم يُستسغ تعريبها واستعمالها السابق. وهو حريص على تدارك النقص في العربية بطريقة التعريب أو الوضع. أما (بدعة التهجين) القائمة على أخذ الزوائد من اللغات الأجنبية فهي من شر البدع وأكبر الزور، إذ زيادة اللواحق لا تحتاج إليها العربية لأنها «تذهب في تزايدها مذهبا ديناميا عميقا»، ولأن من طبيعتها الرغبة (في التجسيد الكامل).

ومن خصائص معجم العلانلي الحرص على إثبات الوحدة الاشتقاقية الكبرى المنتظمة لتطور الجذر خلال العصور. ويؤكد صاحب المعجم نظرية التفرقة بين أبواب الأفعال الستة تبعا للمعاني. وفي ذلك تيسير كبير للتغلب على صعوبة تلك الأبواب ونفي ما ادَّعي أنها لا تخضع للقياس بل للسمع والنقل. والسبيل اللاحب (هو القول بقياسية الأفعال تبعا للقصد). وهو يؤمن بالإيمان كله بأن اللغة العربية ذات مرونة وطواعية لمسيرة التطور والتقدم، واستيعاب ما في الحياة من مسميات. ويؤكد (أن العربية لا تعدلها لغة في هذا المضمار الكياني). أما ما

تُرْمَى به وما يُرى عليها من قصور فمرجع ذلك لا لذات اللغة، بل مرجع ذلك أنه لم يؤخذ بها أخذًا عمليًا. وما كان للغة - أية لغة - أن تتطور بنفسها إذا لم يعمل مستعملها على ذلك التطور. فالمسؤولية إذن على أصحاب اللغة لا على اللغة؛ سيما إذا كانت تلك اللغة سريعة الاستجابة، وذات قابلية ذاتية كلغتنا العربية.

ونظرًا إلى تأصل « الجذرية » في اللغة العربية فضّل الأستاذ العلائلي أتباع طريقة القدماء في ترتيب المعاجم العربية. فهو يضع المزيد في باب المجرّد متسلسلاً منه ؛ ولكنه لا يكتفي بهذا بل يعمد إلى ذكر المزيد في محله من ترتيب الأبجدية. ثم يحيل المطالع إلى محل ذكره من مادة جذره. وبذلك يجمع بين يسر التحصيل على الكلمة المرادة وبين مبدأ « الجذرية » المتأصل في اللغة العربية.

حبذا لو :

أراد الأستاذ العلائلي بإخراج معجمه الوسيط دورياً أن يضعه موضع الاستفتاء بين منهجين : (المنهج المحافظ ولو على الخطأ ؛ والمنهج المحرر، أو قل المنهج المحافظ على ما هو الأشبه بالصواب). وهو تواضع شريف رغم الجهود العظيمة المتكررة التي بذلها صاحب المعجم. ولكن رغم الفردية التي حققت هذا المشروع الجليل، وإن عمل الفرد قد يقصر عن عمل الجماعة الدائبة؛ رغم كل ذلك فإننا نفضل هذه الفردية المنتجة على الجماعة العقيمة، أو التي تسير سير السلفاء. وتلك مصيبة الشرق العربي في جيله بالأمس وجيله باليوم. أما جيل الغد فلعله أن يكون غير ذلك. أليس

من المأسي المضحكة قصة المعجم الذي يحلم المجمع العلمي العربي بالقاهرة بإخراجه منذ زمان ! ؟ (1)

وإذا كانت لي ملاحظات أביها للأستاذ العلائلي في شأن عمله العظيم فهي قبل كل شيء ملاحظات تكميلية بسيطة :

(1) رغم ان المعجم موسوعة لغوية وعلمية وفنية إلا أن هذا لا يمنع من إثبات صور توضيحية لكثير من الحيوانات والنباتات والأشجار التي وقع ذكرها في صلب المعجم، ولا اعتذار بأن ذلك سيكون في المعجم الكبير لأن هذا الأخير سوف لا يكون واسع الرواج ميسور الاقتناء كالمعجم الوسيط.

(2) يبدو أن الأستاذ العلائلي سيرد كل جزء بملحق يجرد فيه الكلمات الأجنبية التي أثبتتها بصلب المعجم مرتبة على طريقة الألفباء. ونرى أن هذه طريقة غير عملية عندما ينتهي المعجم، إذ المفروض في ذلك الملحق أنه يسهل معرفة الكلمات العربية الموجودة بما يقابلها من تلك الكلمات الأجنبية. والكلمة التي تذكر في جزء لا تذكر في آخر. فلو فرضنا أنني أعرف كلمة (DAB) الانجليزية وأردت أن أعرف ما يقابلها في العربية فإنني أتتبع ملاحق الأجزاء

---

(1) نلاحظ أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ربما يكون قد استفزته أمثال هذه الملاحظة حول بطنه في إصدار معجمه، فبادر إلى إصدار الطبعة الأولى من « المعجم الوسيط » سنة 1960/1380 بتصدير إبراهيم مذكور، وإشراف إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار. ثم أصدر له طبعة ثانية بتاريخ ربيع الأول 1392 / مايو 1972 بإضافة تصدير ثان مع الأول لإبراهيم مذكور، وإشراف إبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالي ومحمد خلف الله أحمد،



حتى أجد تلك الكلمة، وأظفر بمقابلتها العربية. وفي هذا إضاعة للوقت وعود إلى مشكلة لا نريد الرجوع إليها. ولهذا فالرأي عندي أن يقع الكف عن إثبات الملاحق، ويكتفى بملحق كبير شامل لجميع الكلمات الواردة في الموسوعة تكون مرتبة ترتيبا ألفبائيا، وفي ذلك ربح الوقت وزوال الحيرة. وقد يكون الأستاذ العلاني دُفع إلى ذلك لأنه وضع معجمه موضع الاستفتاء. وهذا وجيه، لكن على شرط أن يقع إثبات الملحق العام المقترح حتى تزال تلك الملاحق لكل جزء عند إرادة جمعها وتجليدها.

أما بعد فما إخالني إلا مقصرا في الحديث عن هذا المعجم، وبيان أهميته ومقامه في واقعنا الثقافي واللغوي. وما إخال الناطقين بالضاد إلا مقبلين عليه، حريصين على اقتنائه؛ لأنه سيسد فراغا كثيرا ما تألمنا من وجوده، ويحقق رغبة طالما اشربت أعناقنا وتطلعت أنظارنا إليها.

الصباح (صفحة الثقافة والأدب)

25 جوان 1954، ص 3.

### تتوير :

كان لهذه المقالة النقدية اللغوية صداها البعيد في نفس الشيخ عبد الله العلاني، فبعد الاطلاع عليها كتب في نشرة «مقابلة» الملحقة بالقسم الثاني من «المعجم» الصادر سنة 1954 عن دار المعجم العربي ببيرروت ما يلي: «وأخيرا أعرض لمقال الشيخ المطوي التونسي الذي كان حظه في المبادرة الطيبة أكثر من حظي في استحقاقها، فأقول: إنني أخذت بعين الاعتبار ملاحظته بأن المساق الأجنبي الموزع على الأقسام مُربك...



وتوفيراً لعنصر اليسر في الاستعمال الآني والاستعمال النهائي  
اتخذت خطتي بجعل مساق القسم مؤقتاً، لتجمع المساوق أخيراً  
بشكل ملحق « ألفبائي » عام كامل .»

وانظر أيضاً نشرة ما صدر من أقسام المعجم ومقابساته في  
مجلد واحد بعنوان : المعجم، موسوعة لغوية علمية فنية، شركة  
دار الجديد، بيروت 1997، ص : 360.

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

## من أمالي الشيخ محمد العربي الكبادي

ألقى الشيخ محمد العربي الكبادي دروسا على طلبة المدرسة العليا للغة والآداب العربية أو مدرسة اللغات الشرقية بتونس الكائنة بسوق العطارين وقتئذ، وطلبة معهد الخلدونية، وجامع الزيتونة. ومن دروسه في الزيتونة الدرس الذي كلفه به الشيخ محمد الفاضل بن عاشور بغير مناظرة سنة 1945. وقد تتلمذ له الشيخ محمد العروسي في هذه الفترة عدا ما كان يحضره له من محاضرات في الخلدونية وندوات في مجالسه الأدبية والمقاهي التي عرف بها.

وقد دوّن الشيخ محمد العروسي من الدروس التي تلقاها عن شيخه الكبادي في الزيتونة كراسا بعنوان " نتف من درس الشيخ محمد العربي الكبادي ". سجل في أوله تاريخ 5. 1364 / 6. 1945 أي تاريخ السنة المدرسية 1364 - 1365 / 1945 - 1946 التي أقيمت فيها تلك الدروس. على أن زين العابدين السنوسي ذكر أن الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور كلف الشيخ الكبادي بدرسه في الزيتونة بتاريخ أكتوبر 1945 (انظر ز. ع. السنوسي : محمد العربي الكبادي (1881 - 1961)، الفكر، عدد 8، ماي 1961، ص 69 / 769).

والنتف، أو الأمالي كما نقترح تسميتها، التي سنوردها هي من أمالي دروس الثلاثية الأولى من السنة المدرسية 1364 - 1365 / 1945 - 1946، لأن الدرس المسجل بعدها يحمل تاريخ 27 محرم 1365 / غرة جانفي 1946، وآخرها بتاريخ 9 / 6 / 1946.

ولمزيد الإفادة والتوضيح خصصنا إملاء الكبادي ببنط

أثخن، وأضفنا بعض الشروح بين معقفين. ولعلنا بهذا نكون قد قمنا بتعويض ما اختصره الشيخ العروسي، أو لم يسجله، أو لم يتبسط فيه الشيخ الكبادي في دروسه.

ولمزيد الاطلاع على حياة الكبادي وآثاره يراجع : العربي الكبادي، لمحمد بن فضيلة، كتاب المعارف، سوسة - تونس 1994؛ ومحمد العربي الكبادي، لمحمد أنور بوسنينة، سلسلة ذاكرة وإبداع، عدد 24، المركز الوطني للاتصال الثقافي، تونس 2006، ... إلخ.

وفي ما يلي أغلب الطائفة الأولى من هذه الأمالي :

- القاضي الفاضل :

وزير لصلاح الدين ، وأبوه كان قاضيا بيسان. وكان القاضي ذا أدب وحكمة مع قبح الصورة، وكزادة الأخلاق. يذكرون أن أباه أراد إدخاله لديوان الإنشاء. فطلب منه صاحب الديوان : ما أعدّ لذلك ؟ فقال له : لا يحفظ إلا القرآن وديوان الحماسة. فقال له : فيه كفاية. ثم أمره بنشر ديوان الحماسة. فلم يُصب كثيرا. فطلب منه إعادته فأحسن.

وكان ذلك زمن تعاطيه الكتابة. وهناك ترعرع وأخذ في الكتابة حتى صار علما من الأعلام في الأدب والبيان. وله حكايات طريقة بسبب قبحه.

[ القاضي الفاضل : هو أبو علي عبد الرحيم بن علي بن محمد اللخمي العسقلاني البيساني. ولد بعسقلان سنة 1135/529 وتوفي سنة 1200/596. شاعر ونائر مترسل (تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ : 411 /3 - 414 ).

وصلاح الدين : هو أبو المظفر، صلاح الدين، يوسف

بن أيوب بن شاذي الأيوبي (532 / 1136، 564 / 1169 - 1193/589) بطل الحروب الصليبية ومحرّر القدس من الفرنجة (27 رجب 583/2 أكتوبر 1187) (تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن : 104/4 - 112؛ والأعلام، للزركلي، 220/8. والملاحظ أن بين المرجعين اختلافًا في التواريخ).

وبيسان : قرية بوادي الأردن جنوبي طبرية بين سهل عزربلون والغور. افتتحها العرب في ظل الإسلام سنة 636 م (معجم البلدان، تح. فريد عبد العزيز الجندي : 1 / 626؛ والموسوعة العربية الميسرة : مدخل بيسان).

- السدر المخضود : المخضود<sup>(1)</sup> كناية عن ميلان الأغصان من كثرة الثمار.

[ السدر المخضود : اقتباس من قوله تعالى : ﴿ في سدر مخضود ﴾ (الآية 28 من سورة الواقعة 56).

والسدر : شجر من العِضاه. والعِضاهة كل شجرة لها شوك صغر أو كبير، وذات ورق عريض مُدَوَّر. والسدر صنفان : الأول عُبري ولا شوك له، أو له شوك ضعيف في غصونه لا يضير. والثاني : الضال، وهو ذو شوك لا ينبت على الماء فلا يصلح ورقه للغسل، وثمره عَفِصٌ لا يسوغ في الحلق ولا ينفع به، ويخبِط الرعاة ورقه للرعاية. وأجود السدر الذي ينبت على الماء، وهو يشبه شجر العنّاب، وورقه كورق العنّاب يجعل غسولا ينظف به. يخرج مع الماء رغوّة كالصابون. وثمر هذا الصنف هو النَّبَق الشبيه بثمر العنّاب، إلا

(1) في الأصل : الخضود، تحريف.



أنه أصفر يفوح فم آكله وثياب لابسه كما يفوح العطر، ويُتفَّكه به. وأجود ثمر السدر ثمر سدر هَجْر لأنه أشدُّ النبق حلاوة، وأطيبه رائحة... إلخ.

والسدر المخضود كما ورد في اللسان (خ ض د) : هو الذي حُضِدَ شوكة أي نُزِعَ.

وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس (خ ض د) : الخاء والضاد والذال أصل واحد مطرِدٌ، وهو يدل على تثنٍّ في شيء لِيْنٍ. يقال : انخضد العودُ انخضادا، إذا تثنَّى من غير كسر. وحَضَدْتُهُ : تثنَّيْتُهُ. وربما زادوا في المعنى فقالوا : خضدتُ الشجرة : إذا كسرت شوكتها. ونبات خضيد. والأصل هو الأول، لأن الخضيد هو الرِيَّان الناعم الذي يتثنَّى لِيْنِهِ... إلخ.

ويرى الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور أن وصف السدر بالمخضود إشارة إلى كمال محاسنه بانتفاء ما فيه من أذى عند إزالة شوكة (تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور : 27 / 299، وانظر أيضا لسان العرب).

والواضح من تفسير الكبادي أنه تفسير بياني حينما اعتبر المخضود كناية، وعلله بكثرة الثمار، وهو ما لم نلاحظه في شرح المعجمين السابقين : معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب].

- الطلع المنضود : هو الموز في تفسيرات ابن عباس<sup>(1)</sup>.

[ الطلع المنضود : هو أيضا اقتباس قرآني من قوله تعالى : ﴿ وطلع منضود ﴾ (الآية 29 من سورة الواقعة 56).

(1) في الأصل : ابن العباس.

والطلع : هو طلع النخلة، أي الغلاف الذي يحتوي على مادة إخصابها (الذُّكَّار كما يسمى في بلدنا المطوية من ولاية قابس بالجنوب التونسي). ومعنى الطلع المنضود كما في اللسان : بعضه فوق بعض، فإذا خرج من أكامه فليس بنضيد.

وقيل إن الطلع هو لغة في الطلح، وهو الموز، وبه فسر قوله تعالى ﴿ وطلع منضود ﴾ (المعجم الوسيط، ط ل ح).

وفي تفسير التحرير والتنوير (مج 27 / 299) قال محمد الطاهر ابن عاشور : إن تفسير الطلح بالموز روي عن ابن عباس وابن كثير، وينسب إلى علي بن أبي طالب.

وابن عباس : هو عبد الله بن عباس ابن عم الرسول (3 ق هـ / 619 م - 68 هـ / 687 م)، ينسب إليه كتاب في تفسير القرآن مطبوع. انظر عنه : الأعلام للزركلي : [95/4].

- جمال الدين بن مالك وحظه في حياته :

جمال الدين بن مالك شكّل < صحيح > البخاري في سبعين مجلس. ومرت به أحاديث مُشكلة فألف كتابا سماه «التوضيح في إعراب ما أشكل في صحيح البخاري». وكان الناس في زمانه لا يكثرُونَ الإقبال عليه. فخشي أن يكون كاتما للعلم. فكان يقف بباب الصالحية، وينادي : هل من طالب علم فأنا له ؟ أما بعد موته فقد صار مرجعا لكل طالب في النحو. وكأنا الله عَوْضه عن شهرته حيا بشهرته ميتا، فتبقى مادام موته. وكان ابن هشام يلقبه بحاذق النحاة.

[ شكّل الكتاب : ضبطه بالشكل (المعجم الوسيط). ]

وكتاب ابن مالك في الطبقات المنشورة عنوانه « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ». طبع في الهند سنة 1319؛ وفي القاهرة أصدرته دار العروبة بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي سنة 1957 (تاريخ الأدب العربي، فروخ : 265 / 6)؛ وفي بغداد طبعته سنة 1985/1401 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، في سلسلة إحياء التراث الإسلامي، عدد 66، بتحقيق طه محسن.

والمشكل حسب ما عرفه به طه محسن محقق طبعة بغداد هو : « النص الوارد على خلاف الاستعمال المطرد للأسلوب العربي، ونجاء على وفق ما منعه النحاة أو حكموا على مثله بالضرورة أو بالشذوذ، أو لم ينبهوا على وروده في الكلام » (شواهد التوضيح، تح طه محسن : 15).

وابن مالك : هو محمد بن عبد الله بن مالك، جمال الدين أبو عبد الله. ولد بجيآن بالأندلس سنة 600 أو 601 / 1203 أو 1204. وتوفي بدمشق سنة 672 / 1274. إمام في القراءات واللغة والنحو. درس في دمشق وحماة وحلب، وله تصانيف وأراجيز عديدة أشهرها الألفية، في النحو (بغية الوعاة، للسيوطي : 130/1 - 137)؛ وتاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ : 260 / 6 - 270 ؛ والأعلام، للزركلي : 233 / 6).

وابن هشام : هو عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري، أبو محمد جمال الدين ( 1309/708 - 1360/761 ). عالم في اللغة والنحو والصرف. من أشهر تصانيفه : مغني اللبيب عن كتب الأعراب، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك



(بغية الوعاة، للسيوطي : 68/2 - 70؛ وتاريخ الأدب العربي،  
فروخ : 781/3-787؛ والأعلام للزركلي : 147 /4).

والصالحية : مدينة أقيمت على سفح جبل قاسيون شمال  
دمشق لما بدئ بإعمارها منذ منتصف القرن السادس. وأول  
من سكن بها المهاجرون المقدسة الذين نزحوا إلى دمشق  
إثر كارثة فلسطين وسقوط القدس بأيدي الصليبيين في عام  
1098 / 492. وفي العصر المملوكي غدت الصالحية مدينة  
كبيرة قائمة بذاتها. وصفها ابن بطوطة في رحلته لما زارها  
فقال : ولها سوق لا نظير لحسنه (عن كتاب « دمشق : تراثها  
ومعالمها التاريخية »، عبد القادر الرخاوي، دار البشائر،  
ط 2، دمشق 1406 / 1996 : 72، 80. وانظر أيضا معجم  
البلدان، تح. فريد عبد العزيز الجندي : 3 / 442).

وكانت مناسبة تصنيف ابن مالك كتاب « شواهد التوضيح »  
- حسب مقدمة محقق الكتاب محمد عبد الباقي- تصحيح الشرف  
اليونيني لكتاب البخاري وشكله ومقابلته على أصول مصححة  
مضبوطة كما ذكره المصنف بنفسه في قوله مما كتبه بخطه على  
ظاهر الورقة الأولى من المجلد الأخير، حسب ما رآه الشهاب  
القسطلاني : « سمعت ما تضمنه هذا المجلد من صحيح البخاري  
رضي الله عنه، بقراءة سيدنا الشيخ الإمام العالم الحافظ المتقن،  
شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد بن أحمد اليونيني رضي  
الله عنه وعن سلفه. وكان السماع بحضرة جماعة من الفضلاء،  
ناظرين في نسخ معتمد عليها، فكلما مر بهم لفظ ذو إشكال بيَّنتُ  
فيه الصواب وضبطته على ما اقتضاه علمي بالعربية. وما افتقر  
إلى بسط عبارة وإقامة دلالة أحرث أمره إلى جزء أستوفي فيه  
الكلام مما يحتاج إليه من نظير وشاهد، ليكون الانتفاع به عاما



والبيان تاما، إن شاء الله تعالى. وكتبه محمد بن عبد الله بن مالك حامدا لله تعالى اهـ» (شواهد التوضيح، تح عبد الباقي : 220).

وكتاب شواهد التوضيح هو كتاب في مسائل اللغة، النحو غالبا، الواردة مشكلة في صحيح البخاري. وجملة مباحثه واحد وسبعون مبحثا، وليس في سبعين مجلس كما ذكر الكبادي. وقد أشار اليونيني إلى ذلك بصريح العبارة في قوله : « بلغت مقابلة وتصحيحا وإسماعا بين يدي شيخنا، شيخ الإسلام، حجة العرب، مالك أزمة الأدب، الإمام العلامة أبي عبد الله بن مالك الطائي الجباني، أمداً الله تعالى عمره، في المجلس الحادي والسبعين، وهو يراعي قراءتي ويلاحظ نطقي. فما اختاره ورَّجَّحه وأمر بإصلاحه أصلحته وصحَّحت عليه، وما ذكر أنه يجوز فيه إعرابان أو ثلاثة أعملت ذلك على ما أمر ورَّجَّح ... إلخ» (شواهد التوضيح، نفس المرجع، وفيه فأعملت ذلك).

- عفره : جعله في الثراب. وكانت العرب تُسمِّي بناتها بالعفراء.

[ جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس في مدخل (ع فر) أن العين والفاء والراء أصل صحيح، وله معان : الأول لون من الألوان، والثاني نبت، والثالث شدة وقوة، والرابع زمان، والخامس شيء من خلق الحيوان.

ويبدو أن تسمية المرأة باسم عفراء إنما تعود إلى معنى اللون. قال ابن فارس : العُفْرَة في الألوان، وهو أن يضرب إلى عُبْرَة في حُمْرة ؛ ولذلك سُمِّي التراب العفْر. يقال : عَفَّرَت الشيء في التراب تعفيرا. واعتقر الشيء : سقط في العفْر... ويقال للطبي أعفر للونه. وقال ابن الأعرابي : العُفْر : الليالي البيض. ويقال لليلة ثلاث عشرة من الشهر عفراء، وهي التي يقال

لها ليلة السَّواء. ويقال إن العُفْر : الغنم البيض الجُرْد... إلخ «  
(ابن فارس، معجم مقاييس اللغة : 4 / 62 - 64).

نتبين من هذا الشرح أن العفراء من النساء هي التي أشبهت في لونها الطيبة العفراء، أو كانت في بياضها كبياض الغنم، أو بياض الليلة الثالثة عشرة، وهي التي تسبق الليلة الرابعة عشرة المعروفة بليلة البدر، أي ليلة تمام منتصف الشهر، وكل شيء تمّ فهو بدر كما يقول ابن قتيبة (أدب الكاتب : 70).

وتشبيها بهذا المعنى الجمالي سمّى العرب نساءهم العفراء. منهن نذكر : عفراء بنت مالك بن مهاصر ابنة عم عروة بن حزام بن مهاصر وحبيته. وهو من بني ضبّة، من بني عذرة توفي سنة 650 / 30. قال فيها شعرا مثل قيس في ليلي وجميل في بثينة، ولكنه لم يتزوجها لفقره. وقد اقترن اسمه بها فقبل عروة عفراء (تاريخ الأدب العربي، فروخ : 1 / 298 - 301).

- الحطيئة :

اسمه جرول. مخضرم، مغموز النسب، قدير، مُسَوّه، هَجَاء،  
تخرّج من مدرسة زهير بن أبي سلمى.

[ في الأصل : مغمور، وهو تصحيف.

و الحطيئة : هو جرول بن أوس بن مالك العبسي أطلق عليه الحطيئة لقصره. وكان والده أوس استولده من جارية لبنت رياح بن عمرو تدعى الضراء. ولعله بسبب هذا النسب المغموز نقم على أمه ونفسه والمجتمع جملة. ولإفراطه في الهجاء حبسه عمر بن الخطاب بسبب هجائه الصحابي الشاعر الزبرقان بن

بدر التميمي السعدي المتولي صدقات قومه إلى أيام عمر  
(ت 665/45)؛ ثم أطلقه واشترى منه أعراض الناس بثلاثة  
آلاف درهم لما استعطفه بيناته الصغيرات بقوله : (من البسيط)

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ،

حُمِر الحواصل، لا ماءً ولا شجرُ

ألقىت كاسيهم في قعر مظلمة

فارحم - عليك سلام الله - ياعمر !

- ذو مرخ : واد بالحجاز. - حمر الحواصل : صغار الطير  
قبل أن يثبت الريش على نحورها، يقصد بناته. - كاسيهم :  
أبوهم الذي يكسب لهم الطعام، يقصد نفسه.

كان الحطينة راوية لشعر زهير وغيره من جماعة مدرسة  
الشعر الحولي المحكك، مثل ابنه كعب بن زهير، وغيره.  
توفي مُسنًا سنة 59 / 678 م. له ديوان مطبوع (تاريخ الأدب  
العربي، عمر فروخ : 1 / 331 - 338).

وأما زهير بن أبي سلمى فقد ولد نحو سنة 520 م تقريباً،  
ومات قبل سنة 610 م. عُني بتخريجه في الشعر زوج أمه  
أوس بن حجر، فصار راوية له؛ من هنا جاءه مذهب التنقيح  
والتهذيب لشعره. وهو من أصحاب المعلقة. له ديوان  
مطبوع. من أبرز أغراضه : الحكمة والتأمل والدعوة إلى  
السلام من خلال مدحه هرم بن سنان والحارث بن عوف  
اللذين توسطوا بين بني عبس وفرارة من غطفان لإنهاء الحرب  
بينهما، وهي الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء (تاريخ  
الأدب العربي، فروخ : 1 / 194 - 201).



- يقال : فلان أكسى من بصلة.

[ المثل في مجمع الأمثال للميداني : 169 / 2 ، عدد 3207 .  
ويروى : من البصل كما في جمهرة الأمثال للعسكري : 2 /  
147 ، عدد 1694 ، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري :  
295 / 1 .

وقولهم أكسى من بصلة كناية عما للبصل من مضاعف  
القشر، فكأنه كثير الكساء .]

- خوف عمر : عمر بن الخطاب لا يتأثر إلا إذا خوَّفته بالله تعالى .  
[عمر بن الخطاب : عاش بين سنوات (40 ق هـ / 584 م -  
23 هـ / 644 م) . صحابي جليل من أبرز المدافعين عن الإسلام  
وقت الدعوة لشجاعته وفصاحته، حتى إن إسلامه كان حاسما في  
انتقال الدعوة من السر إلى العلن. وهو الخليفة الراشدي الثاني،  
وصاحب الفتوحات الإسلامية. يضرب به المثل في العدل. اغتاله  
أبو لؤلؤة عند صلاة الصبح (تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن :  
207-252؛ والأعلام للزركلي : 45/5 - 46) .]

- كنية البحتري :

أبو الحسن كنية يميل إليها الشيعة، وقد استعملها البحتري لما  
أقبل على سُرٍّ من رأى، وترك كنيته أبو عبادة. ولما اتصل بالمتوكل  
رجع إلى كنيته الأولى. والمتوكل كان ناصبيا. و < النواصب > هم  
من يبغضون علي بن أبي طالب :

إذا علويٌّ لم يكن مثلَ طاهر

فما هو إلا حُجَّةٌ للنواصب.



[ البحتري : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي (206 / 821 - 898/284). ولد بمنبج بين حلب والفرات. من أشهر شعراء العصر العباسي. مثل مدرسة شعرية الطبع والقريحة في مقابل مدرسة أبي تمام المتميزة بالغموض المعنوي والتكلف الفكري. ولهذا الاختلاف في الاتجاه الشعري اهتم النقاد بالموازنة بينهما مثل الأمدي في كتابه « الموازنة بين الطائيين ». انظر عن البحتري : مروج الذهب : 2 / 369، وتاريخ بغداد : 166 / 7 ؛ وتاريخ الأدب العربي، بروكلمان : 48/2 - 52 ؛ وتاريخ الأدب العربي، فروخ : 2 / 357-369؛ والأعلام، الزركلي : 8 / 121). وفي أخبار البحتري للصولي (ص 58) ورد قوله : «وحدثني يحيى بن البحتري قال : كان أبي يكنى أبا الحسن وأبا عبادة، فأشير عليه في أيام المتوكل أن يقتصر على أبي عبادة فإنها أشهر» .

وسر من رأى أو سامرا : مدينة شرع في بنائها المعتمم بالله الخليفة العباسي الثامن سنة 221 هـ. وظلت عامرة إلى نهاية خلافة المعتضد سنة 289 هـ (معجم البلدان، ياقوت : 3 / 243 ؛ وتاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، 2 / 380 - 382؛ والموسوعة العربية الميسرة، مدخل سامراء).

والمتوكل : هو المتوكل على الله جعفر بن محمد (المعتصم بن هارون الرشيد. ولد سنة 206 / 821. وتولى الخلافة سنة 847/232. واغتيل بتدبير ابنه المنتصر سنة 861 / 247. ولناصبته أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من الدور

وحرثه وبذره فأثار عليه النعمة. (تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم  
حسن : 4 /3 - 6. والأعلام للزركلي : 127 /2).

وعلي بن أبي طالب (23 ق هـ / 600 م - 661 /40) : هو  
ابن عم الرسول وصهره. أسلم وهو صبي. ثم تولى الخلافة  
سنة 35 هـ ؛ لكن مطالبة العثمانيين بدم عثمان أثارت عليه  
اضطرابات وحروباً أدت إلى أن يغتاله عبد الرحمان بن ملجم  
(تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن : 1 / 265 - 274 ؛  
والأعلام للزركلي : 4 / 295 - 296).

والنواصب، جمع ناصب، والنسبة ناصبي، هم الخوارج  
الذين خلعوا طاعة علي بن أبي طالب وناصروه العداة. ويسمي  
علماء الشريعة النواصب البغاة (موسوعة الفرق والجماعات  
والمذاهب الإسلامية، عبد المنعم الحفني : 406).

والبيت من البحر الطويل].

- ثلاثة شعراء :

قال المعري : المتنبي وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحري.

[ ورد في الأصل سهوا في ما يبدو : قال أبو الطيب :  
أنا والبحري حكيمان، والبحري شاعر. ولو جاء قال أبو  
الطيب : أنا وأبو تمام حكيمان والبحري شاعر، لكان أصوب.  
والمؤاثر عند المحققين أن صاحب هذه القولة هو المعري. فقد  
سئل أي الثلاثة أشعر؟ فقال : المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما  
الشاعر البحري (الأعلام للزركلي : 8 / 121) أو : والشاعر  
البحري (أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس  
المقدسي : 243).

والقولة تبرز، من خلال الموازنة والمفاضلة بين الشعراء الثلاثة، ما يتجلى في أشعار كل منهم من مفهوم شعري واتجاه وخطاب ... وغير ذلك. وإذا أضفنا إليهم المعري فإن الموازنة تكون أكثر طرافة وشمولية لاتجاهات الشعر العربي في العصر العباسي الثاني، عصر النضج والعبقرية الشعرية العربية [.

- وكلُّ كثير عدو الطبيعة.

[ من سمات الجودة والتميز في الطبيعة الندرة لا الكثرة ؛ من ذلك ندرة العباقر، وندرة الجواهر واللآلي وغيرها من الأحجار الكريمة ... إلخ. ومن هذا المنظور اعتبر النادر عزيزا غالي الثمن، والكثير وافر زهيد الثمن.

ولئلا تطغى الكثرة على حساب الجودة والقيمة كان للطبيعة قوانينها في التخلص من الكثرة والزائد على الحاجة بمثل الحروب والأوبئة وتسليط بعض الكائنات على بعض، كأن يكون بعضها غذاء لبعض آخر. وبهذا وغيره يحدث التوازن الطبيعي، وتتحقق المعادلة الصعبة بين الندرة والكثرة].

- يقال : فلان أبو عذرها، أي مبتكرها.

[المقصود بهذا القول أن كل من ينعت به يكون هو الأول والأسبق إلى فعله (جمهرة الأمثال للعسكري : 288 / 2، عدد 2163).

وفي أساس البلاغة (ع ذ ر) ورد أن قولهم عن المرأة هو أبو عذرها يقال لأوّل من افتضّها. ثم قيل على سبيل المجاز : هو أبو عذر هذا الكلام [.



- كتاب فتوح البلدان للبلاذري، وهو من أقدم الكتب وأوثقها.

[ البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، نسبة إلى حَبَّ البَلَاذِر. وهو حب إذا أكل منه أحدهم - حسب زعمهم- أصيب بذهول شبيه بالجنون. توفي سنة 892/279. وهو مؤرخ وجغرافي ونسابة. له عدة تأليف أهمها فتوح البلدان، أرَّخ فيه للفتوحات الإسلامية الأولى (الأعلام للزركلي : 267/1؛ وموسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، لراضى دغفوس : 19/4-21 ) .]

- حسنا جدا ! :

قال الإمام عبده، وقد بلغه أن أحد الأدباء استظهر مختار الصحاح :  
حسنا جدا ! لقد زادت عندنا نسخة أخرى من هذا الكتاب !

[ الإمام عبده : هو محمد عبده بن حسن خير الله (1849/1266 - 1905/1323). تخرج من الأزهر. ثم اتصل بجمال الدين الأفغاني، فمثلاً ثنائياً إصلاحياً كان له دور خطير في الفكر الإصلاحى العربى الإسلامى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بما كانا يدعوان إليه من أفكار إصلاحية ونهضة إسلامية، وينشرانه من كتب ومقالات فى الصحف وجريدتهما « العروة الوثقى » التى أصدرها بباريس سنة 1884، لكنها لم تعمّر أكثر من ثمانية أعداد. تولى التدريس ومناصب دينية هامة منها الافتاء. كما تعرض للسجن والنفى بسبب مواقفه السياسية. زار تونس فى مناسبتين : الأولى (6 ديسمبر 1883 - 4 جانفى 1884)، والثانية (9 - 24 سبتمبر 1903) للاجتماع بأنصاره من الإصلاحيين التونسيين. له عدة تأليف منها : تفسير جزء



من القرآن الكريم، ورسالة التوحيد... إلخ (انظر الأعلام للزركلي : 252 /6 - 253).

ومختار الصحاح : هو معجم صنعه الفقيه الحنفي والمفسر الأديب اللغوي زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي المتوفى بعد سنة 1268 /666، وفيه اختصر معجم تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري. له طبعات عدة. منها طبعة بعنوان المختار من صحاح اللغة قام بها تحقيقاً وتأليفاً بالزيادة محمد مجي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي. صدر في طبعة أولى عن المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة سنة 1934/1353 (الأعلام للزركلي : 55/6).

- ابن عبدون في الأندلس كالأصمعي في المشرق.

[ المعروف أن الملقَّبين بابن عبدون في الأندلس ثلاثة :

أولهم : أبو إسماعيل إبراهيم بن غانم بن عبدون. كاتب وشاعر مغربي (970/360 أو 971 - 1030/421). سافر إلى مصر حيث عاش مدة. ثم عاد إلى القيروان حيث توفي (تاريخ الأدب العربي، لعمر فروخ : 370/4 - 372).

وثانيهم : أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري. ولد في منتصف القرن الخامس الهجري نحو 1060/452 ميلادياً، وتوفي سنة 1134 /529 أو 1135. كان عالماً بالخبر والأثر (الحديث)، عارفاً بالتاريخ، واسع الحفظ بالأشعار. وشعره الذي وصلنا قليل. من تأليفه : الانتصار لأبي عبيدة على ابن قتيبة (تاريخ الأدب العربي، فروخ : 192 /5 - 201).

وثالثهم : أبو عبدالله محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي

المكناسي. توفي في ذي القعدة 659/خريف 1261. شاعر  
جاري في شعره الأسلوب المشرقي، وربما كانت له مشاركات  
في الفقه والقراءات (تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ : 6 /  
233 - 235).

ولسنا ندري بالضبط أيّ العبادة يقصد الكبادي ؟ لأنه لم  
يشر إلى أي خاصية من خصائص أيّ منهم. وإن كان الثاني  
أقرب إلى القصد نظرا إلى مقارنته بالأصمعي لعلمه بالخبر  
والأثر، ومعرفته بالتاريخ، وحفظه الأشعار وروايتها.

والأصمعي : هو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب. ولد سنة  
740/123 بالبصرة، وتوفي بخراسان سنة 213 أو 831/216.  
لغوي وعالم بالشعر وروايته ونقده. له تصانيف كثيرة. (تاريخ  
الأدب العربي، فروخ : 2 / 205 - 207) .

- المراهق تقابله المعصر، والكهلُ تقابله النّصف.

[ راهق الغلامُ فهو مراهق : إذا قارب الاحتلام. والمُراهق :  
الغلام الذي قد قارب الحُلُم، والجارية مراهقة. ويقال أيضا :  
جارية راهقة و غلام راهق، وذلك ابن العشر إلى إحدى عشرة  
(لسان العرب، ر ه ق) .

والمُعصر : من الفعل عصر. يقول أحمد بن فارس في  
معجم مقاييس اللغة : العين والصاد والراء أصول ثلاثة  
صحيحة : الأول دهر وحين، والثاني ضَعَطُ شيء حتى يَتَحَلَّبَ  
(إشارة إلى العصر والعصير)، والثالث تَعَلَّقَ بشيء وأمتسكُ  
به. « وما يعنينا من الثلاثة المعنى الأول : أي العصر بمعنى  
دهر وحين. قال ابن فارس : « ابن الأعرابي : أعصر القومُ

وأقصرُوا، من العصر والقصر. ويقال : عَصَرُوا واحتَبَسُوا إلى العصر... فأما الجارية المُعَصِر فقد قاسه ناسٌ هذا القياس، وليس الذي قالوه فيه ببعيد. قال الخليل وغيره : الجارية إذا رأت في نفسها زيادة الشباب فقد أعصرت، وهي مُعَصِر : بلغت عصر شبابها وإدراكها. قال أبو ليلى : إذا بلغت الجارية وقُرِبَت من حيضها فهي مُعَصِرٌ... قال قوم : سُمِّيَت مُعَصِرًا لأنها تَغَيَّرَت عن عصرها. وقال آخرون فيه غير هذا... « (معجم مقاييس اللغة، ع ص ر).

والكهل : قال ابن فارس : « الكاف والهاء واللام أصل يدل على قوة في الشيء، أو اجتماع جِبِلَّةٍ من ذلك الكاهل : ما بين الكتفين : سُمِّيَ بذلك لقوَّته. ويقولون للرجل المجتَمِع إذا وخطه الشيب : كهل، وامرأة كهلة » (معجم مقاييس اللغة، ك هل د). والكهل أيضا : من جاوز الثلاثين إلى نحو الخمسين (المعجم الوسيط، ك هل د).

والنَّصْف : قال ابن فارس : « النون والصاد والفاء أصلان صحيحان : أحدهما يدل على شطر الشيء، والأخرى على جنسٍ من الخِدْمَةِ والاستعمال.

فالأول نِصْف الشيء ونِصِيفُهُ : شطرُهُ. وفي الحديث : ما بلغ مُدًّا أحدهم ولا نصيفه... ويقال : إناء نِصْفان : بلغ الماء نِصْفَهُ. والنِّصْف : بين المُسِنَّةِ والخَدَثَةِ، أي بلغت نصفَ عمرها.

والإنصاف في المعاملة، كأنه الرِّضَا بالنِّصْف. والنِّصْف : الإنصاف أيضا... إلخ » (معجم مقاييس اللغة، ن ص ف).

وقال الثعالبي : المرأة إذا كانت نصفاء عاقلة فهي شهلة كهلة (فقه اللغة : 150).



والشَّهْلَةُ : هي العجوز، والمرأة النَّصْفُ : العاقلة (المعجم الوسيط، ش هل) .]

- الأسقف بمثابة الإمام في الإسلام (إمام المحراب والصلاة)

[ الأسقف (بالتشديد) : أعجمي معرب. وقالوا : أسقف بالتخفيف والتشديد، ويجمع على أساقفة وأساقف وقد تكلمت به العرب (المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي : 35). وهو يدل على من هو من رجال الدين المسيحيين فوق القسيس ودون المطران (المنجد، س ق ف). ولعله تعريب المصطلح الأعجمي : Evêque.

والإمام : عند المسلمين هو من أمّ المصلين وبهم، يؤمهم أمّا وإماما وإمامة : أي تقدّمهم وصلّى بهم. ثم أطلق المصطلح على الإمامة في كل شيء. منها : الإمامة السياسية، وقد كان الرسول عليه السلام يؤمّ المسلمين في الصلاة، وفي قيادة الدولة، وغيرهما].

- الغزل وصف حالات المحبوب. أما النسب فوصف حالات الحب<sup>(1)</sup>

[الغزل : من الفعل غَزَلَ يَغْزِلُ غَزَلًا : شَغِفَ بمحادثة النساء والتودّد إليهن، فهو غَزِلٌ. وغازل المرأة : حادّتها وتودّد إليها، وتغزّل : تكلف الغزّل (المعجم الوسيط، غ ز ل). وبهذا المعنى يكون الغزّل كأنه ينسج للمرأة الكلام الجميل ليقوعها في شرك حبه.

وبناء على هذا التخريج يعدّ الغزل فنّا من فنون القول

(1) كذا في الأصل : الحب. وهو المحبّ.



والأدب، الشعر خاصة. ويختص بمحادثة المرأة شعرا، وذكر جمالها خَلْقًا و خُلُقًا، ووصفها جسدا وروحا.

والنسيب : من الفعل نَسَب. قال ابن فارس : « النون والسين والباء كلمة واحدة. قياسها اتصال شيء بشيء. منه النَّسَب، سُمِّي لاتصاله، وللاتصال به. تقول : نَسَبْتُ أَنْسِبُ، وهو نسيب فلان. ومنه النسيب في الشعر إلى المرأة، كأنه ذَكَرُ يَتَّصِلُ بها ؛ ولا يكون إلا في النساء » (معجم مقاييس اللغة، ن س ب).

وجاء في اللسان : «ونَسَب بالنساء يَنْسُب نَسَبًا ونَسِيبًا ومَنْسِيبَةً : شَبَّ بهن في الشعر وتغزَّل. وهذا الشعر أَنْسَبُ من هذا أي أرقُ نسيبًا، وكأنهم قد قالوا : نسيبٌ ناسِبٌ، على المبالغة، فَيُنْبِي هذا منه. وقال شَمْرٌ : النسيب : رقيقُ الشعر في النساء ». وعلى هذا يكون مدلول النسيب نسبة الجمال إلى المرأة برقيق الكلام عند التغزل بها.

والعادة أن النسيب يكون في مطالع القصائد. ويفهم هذا من قول العرب عن بناء القصيدة العربية إنها تفتتح بالنسيب، أو بوصف الأطلال فالنسيب، وتنتهي بوصف الراحلة والرحلة، ثم يُتخلص إلى وصف الممدوح ... إلخ. وقد أشار ابن قتيبة إلى هذه البنية في القصيدة العربية الجاهلية عندما تكلم عن معمارها في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء»، وكذلك الحاتمي في قوله : « من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر أن يكون ممزوجا بما بعده من مدح أو ذم، متصلا به، غير منفصل عنه ... » (العمدة، تح محمد محي الدين عبد الحميد، ط 3، 1963 : 117 / 2)، وأشار ابن رشيق أيضا إلى نفس البنية في قوله : « وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب ؛ لما فيه من

عطف القلوب واستدعاء القبول، بحسب ما في الطباع من حب الغزل، والميل إلى اللهو والنساء، وإن ذلك استدراج إلى ما بعده ... إلى آخره » (العمدة : 1 / 225).

ولمزيد الاطلاع على مصطلح النسيب والفرق بينه وبين الغزل ينظر كتاب العمدة لابن رشيق : 116/2 وما بعدها.

وأما التشبيب فأصله من شَبَّ. قال ابن فارس : الشين والباء أصل واحد يدل على نَماء الشيء وَقُوته في حرارة تعتريه. من ذلك سَبَبْتُ النار أَشْبُهًا شَبًّا وشُبُوبًا .. وكذلك سَبَبْتُ الحرب إذا أوقَدْتُها. فالأصل هذا. ثم اشتقَّ منه الشباب الذي هو خلاف الشيب « (معجم مقاييس اللغة، ش ب ب).

وقال ابن منظور : « وتشبيبُ الشَّعر : ترقيق أوله بذكر النساء، وهو من تشبيب النار، وتأريثها. وشيَّبَ بالمرأة : قال فيها الغزل والنسب ؛ وهو يُشَبَّبُ بها أي يَنسَبُ بها. والتشبيب : النسب بالنساء ... » (لسان العرب، ش ب ب).

وجاء أيضا في أحد المعاجم المعاصرة : « شَبَّبَ الشاعر : ذكر أيام اللهو والشباب. وشَبَّبَ بفلانة : تغزَّلَ بها ووصف حسنها » (المعجم الوسيط، ش ب ب).

ويتضح لنا من هذه المصطلحات أنها تتداخل حيناً وتتباعد حيناً آخر، مع ضرورة تلمُّس الفوارق الجزئية بينها : في الغزل نلاحظ نسج الكلام الرقيق عند محادثة المرأة لاستمالتها ؛ وفي النسب نلاحظ نسبة الجمال إلى المرأة والتغني بمحاسنها؛ وفي التشبيب نستشرفُ، بوصف شباب المرأة وحُسنها وجمالها، استثارة عواطف الحب والعشق سواء لدى الباث من حيث التحفيز إلى الإبداع، أو لدى المتقبل من حيث التشبيط

إلى الاستماع. وإن كان ابن رشيق يذهب إلى أن « النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد » (العمدة : 117 / 2).

وفي قول الكبادي نلمس، حسب تدوين الشيخ محمد العروسي، فرقا بين الغزل والنسب. ويتمثل في أن الأول يتعلق بالمحبوب؛ بينما الثاني، يتعلق بالحالات الوجدانية التي يمر بها المحبون، وتراوُح واقعهم بين الهجران والوصول، والسخط والرضاء، والسعادة والشقاء، ... [إخ].

- صالح بن عبد القدوس :

شاعر كبير. عاش في الدولة العباسية (أوائلها). أتهم بالزندقة فقتل. ومن قصائده المشهورة قصيدة الزينية ذات الأمثال :

صرمت جبالك بعد وصلك زينب.

ولقد غلبت عليه الأمثال حتى قالوا فيه : لو نشر أمثاله، ونقى

شعره منها لكان ناثرا شاعرا.

[ صالح بن عبد القدوس : هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي. شاعر مجيد. كان من المتكلمين، وقد جاهر بالثنوية والزندقة، فطلبه المهدي ؛ لكنه فرَّ إلى دمشق. ثم جيء به إلى بغداد، وكان قد أسنَّ وعمي في آخر أيامه، ومع ذلك قتله المهدي بيده سنة 777 / 160 أو 783 / 167. له ديوان مطبوع.

والصدر الشعري المذكور هو من قصيدة تُعرف بالقصيدة الزينية أو البائية، هذا مطلعها : (من الكامل)

صرمت جبالك بعد وصلك زينب

والدهر فيه تصرم وتقلب



فدع الصبا فلقد عداك زمانه،  
واجهد فعمرك مرّ منه الأطيب  
واحذر معاشره الدنيء فإنها  
تُعدي كما يُعدي الصحيح الأجرُ :  
يلقاك يحلف أنه بك واثق ؛  
وإذا توارى عنك فهو العقرُب .

(تاريخ الأدب العربي، بروكلمان : 17 / 2 - 18 ؛ وتاريخ  
الأدب العربي، فروخ : 91 / 2 - 92، والأعلام للزركلي :  
192 / 3) .

- ابن عبّاد وأبو الطيب :

مما أفاضه صاحب بن عباد على أبي الطيب أنه طلبه أن يمدحه  
فأبى. فألف في نقده كتابا سماه : الكشف عن مساوئ المتنبي.  
وما وجد من عيب إلا قليلا، حتى قال مناصروه : ذلك منه  
بمنزلة ما يزيل الحسد.

[الصاحب ابن عباد : هو أبو الكفاة إسماعيل بن أبي  
الحسن بن عباد الطالقاني (938/326 - 995/385).  
سمي الصاحب لمصاحبه ابن العميد. شاعر وناثر مترسّل  
وعالم. له عدة مصنفات. منها : المحيط في اللغة، والكشف  
عن مساوئ المتنبي (تاريخ الأدب العربي، بروكلمان :  
268 / 2 - 270 ؛ وتاريخ الأدب العربي، فروخ :  
561 / 2 - 565، والأعلام للزركلي : 316 / 1).

وسبب امتناع المتنبي عن مدح الصاحب أنه دعاه لزيارته.



فأنف المتنبّي من الذهاب إليه، وقال فيه لأصحابه إذ كان أصغرَ منه سنا ولم يتجاوز الثلاثين بعد : إن غُلِيَّماً معطاء بالرّيّ يريد أن أزوره وأمدحه، ولا سبيل إلى ذلك (الصبح المنبّي عن حيثيّة المتنبّي، يوسف البديعي : 180 / 1، وكتاب المتنبّي بين ناقديه، محمد عبد الرحمان شعيب : 112).

- الدّلال والدّلّ والغنّج : ما يستعمله الحبيب من المغاضبة للدّعابة والتّفكّه، لا بغضا أو حقدا.

[ دلّ المرأة ودلّأها، ودالّولأؤها : تدلّأها على زوجها تُريه جراءة عليه في تغنّج وتشكّل كأنها تخالفه وما بها خلاف (القاموس المحيط، دل ل). قال امرؤ القيس في المعلّقة : (من الطويل)

أفاطمُ مهلاً بعض هذا التّدلّل

وإن كنتِ قد أزمعتِ صرّمي فأجملي

وقال بشار بن برد : (من البسيط)

وذاتِ دلّ كأنّ البدر صورتُها

باتت تغنّي عميدَ القلب سكرانا

والغنّج (بالضم، وبضمّتين) : الشكّل، من غنّجتِ الجارية - كسمع - وتغنّجت. وهي مغنّاج وغنّجة (القاموس المحيط).

وقيل : الغنّج : ملاحاة العينين (لسان العرب).

وقال صفي الدين الحلي : (من البسيط)

جاءت لتنظرَ ما أبقت من المَهج

فعطرت سائرَ الأرجاء بالأرج

جَلَّتْ عَلَيْنَا مُحِيًّا لَوْ جَلَّتْ لَنَا  
فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ أَغْنَتْنا عَنِ السُّرُجِ  
جُورِيَّةَ الْخَدِّ تَحْمِي وَرَدَ وَجْنَتِهَا  
بِحَارِسٍ مِنْ نِبَالِ الْغُنْجِ وَالذَّعْجِ

...  
جَسَّتْ يَدِي لِتَرَى مَا بِي فَقَلْتُ لَهَا :  
كُفِّي فَذَاكَ جَوَى لَوْلَاكَ لَمْ يَهْجِ  
جَفَوْتِنِي فَرَأَيْتُ الصَّبْرَ أَجْمَلَ بِي  
وَلَذَّةَ الْحَبِّ جُورِ النَّاضِرِ الْغُنْجِ.  
(عن المستطرف، للأبشيهي : 695).

وَالشَّكْلُ : - بِالْكَسْرِ - : الدُّلُّ (مختار الصحاح ولسان  
العرب). وَالشَّكْلُ - بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ - : غُنْجُ الْمَرْأَةِ وَدُلُّهَا  
وَغَزَلُهَا (القاموس المحيط والمنجد) .

- لِبَعْضِهِمْ :

نُبَارِزُ أَبْطَالِ الْوَرَى فَنَبِيذُهُمْ  
وَيَقْتَلُنَا فِي السَّلْمِ حَظُّ الْكَوَاعِبِ  
وَلَيْسَتْ سَهَامُ الْحَرْبِ تُفْنِي نَفُوسَنَا  
وَلَكِنْ سَهَامٌ فَوْقَتْ بِالْحَوَاجِبِ

[ فَوْقُ السَّهْمِ : جَعَلَ لَهُ فَوْقًا، وَهُوَ مَشَقُّ رَأْسِ السَّهْمِ حَيْثُ  
يَقَعُ الْوَتْرُ.

وَفِي الْبَيْتَيْنِ، وَهَمَا مِنَ الْبَحْرِ الطَّوِيلِ، فَخَرَّ بِالشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ فِي  
مَوْقِفِ الْحَرْبِ، وَبِالرَّقَةِ وَالضَّعْفِ فِي مَوْقِفِ الْحَبِّ. وَهُوَ غَرَضٌ

كثيرا ما ذكره الشعراء وافتخروا به لما فيه من جمع بين مظاهر الحماسة والقوة والغزل والرقّة، أو بين الرجولة والفحولة في أن].

- نقبادو :

عهدي بمن في الخِدر تحجُب دَلَّها

فعلى البروز لِفَتْنَتِي من دَلَّها

[ محمود قبادو : من الشعراء والإصلاحيين بتونس في القرن التاسع عشر (ت 1871 / 1288). له ديوان شعري، طبع بتونس طبعة أولى بين سنتي 1294 - 1295 هـ / 1877 - 1878م، وثانية سنة 1984م.

والبيت هو أول بيتين في الديوان (ط 1984) : (1 / 324) هذا نصهما : (من الكامل)

عهدي بها في الخِدر تحجُب دَلَّها

فعلى البروز لِفَتْنَتِي من دَلَّها

كشفت ذوائب فاحم عن مُقْمِر

فضح الغزاة إذ علت كِبدا لها.

وواضح ما في البيتين من اختلاف في البيت الأول بين رواية الكبادي ورواية الديوان. فعند الكبادي : عهدي بمن، وعند قبادو في الديوان : عهدي بها. وانظر أيضا أخبارا أخرى في الديوان عن البيتين والمعارضة التي قام بها لهما قاضي قابس علي الحبيب].

- أولئك يُلصون الأفكار : يسرقونها.

[ اهتم النقاد العرب الأوائل كثيرا بالسرقات الشعرية، حتى ألفوا

فيها مباحث وكتبا، مثل : الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى،  
لأبي سعيد أحمد العميدي؛ وسرقات المتنبي ومشكل معانيه، لابن  
بسام النحوي، الدار التونسية للنشر، تونس 1970.. الخ.

وقد كان لعناية العرب بالسرقات أن وضعوا لها مقاييس،  
وقسموها إلى أنواع تبسط فيها جماعة. منهم : ابن رشيق  
في العمدة (باب السرقات وما شاكلها : 2 / 280 - 294) ؛  
وابن الأثير في المثل السائر (النوع الثلاثون : في السرقات  
الشعرية)... الخ.

وانظر عن فن السرقة أيضا : كتاب المتنبي بين ناقديه في  
القديم والحديث، لمحمد عبد الرحمان شعيب، الباب الثالث :  
السرقات الأدبية والمآخذ الفلسفية : 181-226.

وفي العصر الحديث أصبح السرقة إجراء نصيًّا لا عيب  
فيه. ومن ثم أطلق عليه النقاد الغربيون مصطلح التناسل،  
لاعتبارهم أن لا إبداع من عدم، وأن النصوص تتناسل وتتوالد  
من بعضها بعضا ككل الكائنات [.

- يقال : هو نادرة الفلك، وبكر عطارد.

[ الفلك : مدار النجوم الذي يضمها. قال الله عز وجل : ( كُلُّ  
فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) (الآية 33، الأنبياء 21). وقد سماه العرب فلكا  
لاستدارته؛ ومنه قيل : «فَلَكَ المِغْزَل»، وقيل أيضا : « فَلَكَ ثَدْيُ  
المرأة » إذا استدار (أدب الكاتب، ابن قتيبة : 68).

ومن أمثله المجازية ما قاله أبو منصور الثعالبي عن  
المتنبي : « هو نادرة الفلك وواسطة عِدُّ الدهر في صناعة  
الشعر » (يتيمة الدهر : 1 / 126).



بكر (بالفتح) : من معانيها جميع. يقال جاؤوا على بكره أبيهم : أي جميعهم (أساس البلاغة للزمخشري، ب ك ر).

وبكر (بالكسر) : كل فعلة لم يتقدمها مثلها. أوّل كل شيء. ومنه نارٌ بكر : لم تُقْتَبَس. وكرّم بكر : حمل أوّل حملِه (المنجد، ب ك ر)، وبكر فلان أوّل أبنائه، والفتاة البكر : العذراء التي لم تفضّ.

وعطارد : أقرب الكواكب السيارة من الشمس. وميزته أن ليس له أقمار كما أنه لا يحتفظ بغلاف جوي. من هنا جاء التشبيه به من جهة كونه متفردا ليس له توابع، فهو بكر.

ومعنى القول في مساق الكبادي أنه عزيز النظير، وقليل الشبيه، ونسيج وحده].

- الحب الأفلاطوني : الحب العذري، هو الذي لم يتمرغ صاحبه في حمأة الرذيلة والفساد. وبنو عذرة كانوا يسكنون تيماء قرب المدينة.

[ الحب الأفلاطوني نسبة إلى الفيلسوف اليوناني أفلاطون (حوالي 427 - 347 ق م). وقد خص الحب في كتابه الجمهورية بالبحث والتعليل والتفسير. ولنظرته المثالية والفلسفية ضرب به المثل في هذا النوع من الحب فقيل : حب أفلاطوني.

أما الحب العذري فينسب إلى عذرة بن سعد القبيلة الحجازية من قضاة القحطانية المنتسبة إلى اليمن. عرف أبناؤها بالحب الطاهر العفيف، ورقّة القلوب، ورهافة الإحساس. وقد زادهم الإسلام رقّة بما بثّه في نفوسهم من قيم وأخلاق عالية. اشتهر منهم في القرن الأول الهجري جماعة من الشعراء العشاق. منهم : جميل بثينة، وعروة عفراء، ومجنون ليلى... الخ.

انظر عن هذه القبيلة : معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة،  
مؤسسة الرسالة، بيروت 1994/1414 : 2 / 768.

وتفسير الحب الأفلاطوني بالحب العذري فيه تجوُّزٌ  
وتجاوز، لأن لكليهما خصائصه التي يمتاز بها على الآخر  
(راجع الفرق بينهما مثلا في كتاب « الحب العذري »،  
لموسى سليمان، دار الثقافة، ط 2، بيروت 1954) .

- ما لا يستحيل بالانعكاس كثر زمن الدولة الأيوبية. مثاله :

سر فلا كبا بك الفرس ⇔ سر فلا كبا بك الفرس.

[ الانعكاس : ويسمى العكس والتبديل أيضا، وهو كما قال  
أبو هلال العسكري : أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير  
ما جعلته في الجزء الأول. ومنه قوله تعالى : ( يُخرج الحيَّ من  
الميت، ويخرج الميت من الحي ) (كتاب الصناعتين : 371،  
والآية 31 من سورة يونس 10، وانظر كذلك الآية 19 من  
سورة الروم 30). ومن أمثله أيضا قول المتنبي من الطويل  
(ديوان المتنبي، بشرح البرقوقي : 3 / 236) : (من الطويل )

إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ \*

فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلٌّكَ وَأَبْلُ

(وانظر عن الانعكاس : علوم البلاغة، لأحمد مصطفى  
المراغي : 337 - 338؛ ومعجم البلاغة العربية، بدوي  
طبانة : 2 / 569 - 571).

والدولة الأيوبية : أسسها صلاح الدين الأيوبي بمصر على  
أنقاض الدولة الفاطمية بين سنتي 1171/567 - 1250 / 648  
(تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن : 4 / 104 - 115) .

- الصُّلْب - بالفتح - لا الصُّلْب - بالضم - ، وهو من لحن الخواص .  
[ الصُّلْب - بالفتح - : مصدر صلَّبه يصلُّبه صلِّباً : إذا شدَّ  
أطرافه وعلَّقه .

والصُّلْب - بالضم - : صفة مشبهة من صلَّب الشيء  
صلابة : إذا اشتدَّ وقوي ، ومنه الحديد الصُّلْب . والصُّلْب  
أيضاً : فقار الظهر . ومنه قوله تعالى عن كيفية خلق  
الإنسان : ﴿ يخرج من بين الصُّلْب والترائب ﴾ (الآية 7 من  
سورة الطارق 86) .

وقوله من لحن الخواص إشارة إلى خلط بعض الخواص من  
علماء ومتقنين بين الصيغتين وإطلاق إحداهما مكان الأخرى .

وفي قوله لحن الخواص تلميح إلى ما ألف من كتب  
عديدة في هذا الصنف من اللحن . نذكر منها تمثيلاً :  
درة الغواص في أوهام الخواص للحريري المتوفى سنة  
1122/516 ، وشرحها شهاب الدين أحمد الخفاجي المتوفى  
سنة 1659/1069 في كتاب بعنوان : شرح درة الغواص  
في أوهام الخواص .

وموازاة مع كتب لحن الخواص ألفت كتب في لحن العامة .  
منها : كتاب ما تلحن فيه العامة لأبي عبيدة بن المثنى المتوفى  
سنة 210 / 825 ؛ وكتاب ما يلحن فيه العامة لأبي عثمان  
المازني المتوفى سنة 249 / 863 ؛ ... إلخ .

وهناك كتب جمعت بين النوعين من ألحان الخاصة والعامة .  
منها كتاب ما تلحن فيه العامة والخاصة لأبي هلال العسكري  
المتوفى سنة 395 هـ . [



- المثل : كلام شُبّه مضرِبِه بمورده.

[ المِثْلُ والمَثَلُ : لغةً هو الشبِيه والنظير. واصطلاحاً : ما يُقال أو يُتمثل به من أقوال سائرة في مناسبة تُشبهه مناسبة وروده أول مرة على سبيل الاتعاض، أو الحكمة، أو غير ذلك.

والمَضْرِبُ : مصدر ميمي معناه معنى المصدر الحقيقي أي الضرب، ويعني ذكر المثل في مناسبة تشبه مناسبة قوله أول مرة.

ولشهرة الأمثال وسيرورتها ضرب بها المثل أيضا فقيل: أَسِيرٌ من مثل.

وقد عُني العرب منذ القديم بجمع أمثالهم وحفظها لاعتبارهم إياها خزانة تحوي صوراً عن الحياة العربية في شتى مجالاتها الاجتماعية والفكرية والإنسانية، وحنسا أدبيا فصيحاً وشعبياً له خطابه الجدير بالدراسة والبحث. وإذا عدنا إلى مجموعات الأمثال التي وصلتنا عن القدامى والمحدثين أدركنا مدى الاحتفال الذي كان للعرب بأمثالهم، ومناسبات ضربها والتمثل بها.

وقد صنفها الباحثون والمعتنون بها حسب الترتيب الأبجائي مثل مجمع الأمثال للميداني، والمستقصى في الأمثال للزمخشري، أو الصرفي باعتماد صيغة أفعل مثل الفاخر للمفضل بن سلمة بن عاصم المتوفى سنة 291 هـ (نشر بتحقيق عبد الحلیم الطحاوي ومحمد علي النجار، وطبعته دار عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1380/1960)، أو الموضوعات مثل الأمثال الخاصة بتربية الأطفال والزواج، أو الأماكن من مدن وعواصم وأقطار وجهات... إلخ].



- الرسالة القشيرية : أهم كتاب في التصوف.

[ الرسالة القشيرية : اسمها الكامل « رسالة إلى جماعة الصوفية ببلدان الإسلام وشكايه إلى أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة » لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (1376 / 986 - 1072 / 465) (الأعلام للزركلي : 4 / 57).

وقد كان القشيري من أتباع المذهب الأشعري في التصوف. ولما اضطهده الحنابلة ردّ عليهم بالرسالة المذكورة. وقد نشرتها مكتبة صبيح بالقاهرة، ثم مطبعة دار التأليف بالقاهرة سنة 1966، بتحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف،... إلخ].

- في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا. مثل.

[ هذا المثل مشهور على الألسنة، وعلى الرغم من شهرته لم نعثر له على أثر في ما بين أيدينا من كتب الأمثال ].

- قبادو :

عاصر الصادق باي. كان أبلة في الحياة، مُجِبّاً لثَناء عليه. وكان له باعٌ طويل في الحِكم ممّا يُمكن أن يُزاحم به أمثال أبي الطيب المتنبي. قال :

هل العزُّ إلا في أطراحِ المراتبِ

وصونُ المحيِّ عن سوادِ المطالبِ

وحسبُ الفتى للعيشِ طمُرٌ وبلغة

وما لهمُ إلا في فضولِ المكاسبِ

وإفراؤُهم المرءَ لله ربّه

وإعراضه عن كلِّ فانٍ وذهابِ

ومن كدّرت أطماعه نهر فكره

طفما فيه من أقذائه كل راسب.

[سبق التعريف بالشاعر محمود قبادو أعلاه. أما الباي محمد الصادق (1813/1227 - 1882/1299) فتولى عرش مملكة تونس سنة 1276 / 1859، وتميّز عهده بثورة علي ابن غزاهم، وكثرة الديون والإفلاس، مما أدى إلى الاحتلال الفرنسي سنة 1881.

والقطعة الشعرية من البحر الطويل ورد فيها البيت الثاني ثالثاً في نتف الكبادي. وفيها أيضاً ورد : بحسب بدل وحسب. وقد فضلنا في جميعها رواية ديوان قبادو (ط. تونس 1981) : [ 321 / 1 ].

- من أقوال العرب كناية عن النوم : .... ؟

[ لم يرد في نتف الكبادي شئ من أقوال العرب كناية عن النوم، وتساوقاً مع منهجنا في إيراد بعض الأقوال والفوائد في كل نتفة نتولى ذلك في ما يلي :

في لسان العرب ورد هذا البيت للراعي النميري في مدخل صرخد : (من الطويل)

ولذّ كطعم الصرخديّ طرْحْتُهُ

عشيّة خمّس القوم، والعينُ عاشقُهُ

اللذّ : النوم. وهو من الكناية التي تعني : إطلاق لفظ وإرادة لازم معناه. ولازم المعنى هنا لذادة النوم. وهو مكسور على تقدير ربّ : أي ورب نومٍ لذيذ. والصرخدي : نسبة

إلى صرخد، موضع نسب إليه الشراب. وقيل : هي نسبة إلى  
صرخد اسم للخمر (القاموس المحيط).

والراعي : هو أبو جندل عبيد بن معاوية من بني نُمير. لُقّب  
بالراعي لكثرة وصفه الإبل وإجادته فيه. وكان لاشتراكه في  
المنافضة والمهاجاة بين جرير والفرزدق، وتفضيل هذا الأخير  
على الأول، أن هجاه جرير مرَّ الهجاء؛ فأثر فيه ذلك كثيرا  
وأجبره على الاعتزال بالبادية إلى حين وفاته سنة 709/90.  
ويقال إن البيت الذي دعا النميري وقومه إلى الهرب من منازلهم،  
هو قول جرير من قصيدة طويلة : (من الوافر)

فُغِضَ الطرفَ إنك من نُمير

فلا كعبًا بلغت ولا كلابًا

وأورد أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني  
(896/2) عن النوم قوله : « ولا أعرف في السير والنعاس  
أجودَ لفظًا واستعارة مما أنشدناه أبو تمام : (من الطويل)

يقول، وقد مالت بنا نشوة الكرى

نُعاسًا، ومن يعلّق سُرى الليل يكسل

أنخ نُعطِ أنضَاءَ النُعاسِ دواءها

قليلاً، ورفّه عن قلانسِ دُبُل

فقلت له : كيف الإناخة بعد ما

حدا الليلُ عُريانَ الظريفة مُنجل.

ويقول محي الدين صبحي محقق ديوان المعاني : « لم أقع  
عليها في ديوانه، وهي للخطيم المحرزي في منتهى الطلب :  
153». ومنجل في ديوان المعاني وردت منجلي بالياء.

وقلائص : جمع قُلُوص : الفَتِيَّةُ المجتمعة الخلق من الإبل،  
من حين ركوبها إلى التاسعة من عمرها (المعجم الوسيط).

ومما أورده أبو هلال في ديوان المعاني كذلك عن النوم  
(897/2) قوله : « ومن المختار في صفة النعاس قول الآخر  
(عقيل بن علفة) : (من الطويل)

فأصبحن بالموماة يحملن فتية

نشأوى من الإدلاج ميل العمائم

كأن الكرى سقاها صرخديَّة

عُقارًا في المطا والقوائم.

الموماة (م وم) : المفازة الواسعة. وهي الموماء (بالهمز)  
أيضا، جمع الموامى (المعجم الوسيط).

والمَطَا : الظهر، ج أمطاء.

ويقول أبو هلال أيضا (ديوان المعاني 897/2) : « وأخبرنا  
أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمان عن الأصمعي أن أبا  
عمرو بن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدِير، ويعجب  
منه غاية العجب : (من المتقارب)

كأن يديها، وقد أرقلت،

وقد جرن ثم اهتدين السبيلا

يدا سابح خرف في غمره

فأدركه الموت إلا قليلا.

وفي المفضلية العاشرة من كتاب المفضليات (ص  
58 - 59) ورد البيتان مع بيت آخر على هذه الصورة، وهي  
الأصح تحقيقا :



تَعَزُّ المَطْيِ جَماعَ الطَرِيقِ

إذا أدلج القومُ ليلاً طويلاً

كأنَّ يَدَيْها، إذا أَرَقَلتْ،

وقد جُرُنَ، ثُمَّ اهتَدَيْنِ السَّبِيلَا

يُدا عائمٌ خَرَّ في غَمرةٍ

قد أدركه الموتُ إلا قليلاً.

تَعَزُّ : تغلب، أي تسبق المَطْيِ معظم الطريق. وأدلج :

سار ليلاً. وأرقلت : أسرعت. وجُرُنَ : عدلن عن محبَّة

الطريق يمناً ويسرة. والغمرة : معظم الماء، يريد أن السابح

وقت الغرق يكون أشدَّ تحريكاً ليديه طلباً للنجاة.

وبشامة بن غدِير : هو بشامة بن الغدير العذري، والغدير

هو عمرو بن هلال بن سهم بن ذبيان. شاعر مقدَّم، وخال

زهير بن أبي سلمى المزني. وُلِدَ مُقَعداً ولا وُلِدَ له. وكان كثير

المال. انظر ترجمته في المفضليات (ص 55).

وكثيراً ما يرد الحديث أو القول عن النوم مع اليقظة.

وللرسول عليه الصلاة والسلام فيهما عدة أحاديث

(راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث في مدخلي ن

وم، وي ق ظ). من ذلك قوله : تنام عيني ولا ينام قلبي.

ومن شاء مزيد الاطلاع على أقوال العرب في النوم

واليقظة نحيله إلى الباب الستين من كتاب المستطرف في كل

فن مستظرف لشهاب الدين الإبيهي].

- هو جلدة بين عيني وأنفي.

[ هذا المثل أصله بيت شعري قاله أو استشهد به عبد الله

بن عمر بن الخطاب في ابنه سالم كناية عن محبته له، وهو:  
(من الطويل)

يُديرونني عن سالم وأريغهُ  
وجلدةُ بين العين والأنف سالمُ

يديرونني عنه : يطلبون مني تركه، من الفعل أداره؛  
وأريغه : أريده وأطلبه، من أراغه.

وذكر الجوهرى في الصحاح أنه يقال للجلدة بين العين والأنف سالم (س ل م : 5 / 1952)، وخالفه الفيروز أبادي في القاموس المحيط (س ل م) سواء في المعنى أو في استشهاده ببيت عبد الله بن عمر. وقيل أيضا إن البيت لزهير وإنما كان يتمثل به عبد الله بن عمر... إلخ (معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر، السيد محسن الأمين الحسيني العاملي : 187/1).

وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب توفي سنة 725/106.  
انظر ترجمته في الأعلام للزركلي : 71 / 3.]

- عمارة بين عيني وأنفي (ح. ش.).

[ ربما يدل الحرفان ح. ش. على أن القول المذكور هو حديث شريف، ولكننا لم نعثر عليه في كتب الصحاح، ولا في النهاية لابن الأثير، ولا في الفائق في غريب الحديث للزمخشري، ولا في موسوعة أطراف الحديث للأباني ].

- حمودة بن عبد العزيز :

من أكبر شعراء تونس في عهد حمودة باشا. ولقد كان معلما لهذا الباشا. وقرأ على الشيخ الغرياني. وكان أعجوبة نادرة في

الشعر والبديهة. وكانت له عُنْجُهِيَّةٌ بدوية بقيت فيه إلى أن مات. كان مفتونا بالموشح. وقد عارض موشح ابن سهل، فلم يصل أحد من قبله ولا من بعده إلى قوَّة ذلك الموشح.

[ في الأصل المخطوط لنتف الكبادي : محمود، والمعروف أن اسمه حمودة. وقوله إنه خدم علي باشا الثاني غير كاف لأنه خدم أيضا ابنه حمودة باشا.

وهو حمودة بن محمد بن عبد العزيز المتوفى سنة 1202 هـ/1788 م. شاعر ومؤرخ. استكتبه الأمير علي باشا الثاني (تولى الملك بين 1759/1172 - 1783/1196)، ثم ابنه حمودة باشا (وليَّ عرش تونس بين 1783/1196 - 1814/1229)، وهو ابن تربية حمودة بن عبد العزيز. له ديوان شعري، وكتاب في التاريخ بعنوان التاريخ الباشي خص به علي باشا الثاني. نشرت جزءه الأول الدار التونسية للنشر بتونس سنة 1970 بتحقيق محمد ماضور، وله تصانيف أخرى (انظر كتاب العمر، لحسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي وبشير البكوش : مج 2 / 534 - 537).

والشيخ الغرياني : هو محمد بن علي بن خليفة الغرياني. من مدرّسي جامع الزيتونة. فقيه ومحدّث ولغوي. توفي سنة 1194 / 1780. له عدة تصانيف (كتاب العمر : مج 1 / 840 - 842).

وابن سهل هو إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي. من وشّاحي الأندلس المشهورين. مات غرقا سنة 649 / 1251 (تاريخ الأدب العربي، فروخ : 6 / 174 - 183). وموشحته المشار إليها، والتي عارضها كثيرون قديما وحديثا، هي قوله : (من الرمل)

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى  
قلب صبّ حله عن مكّنس  
فهو في حرّ، وخفق، مثلما

لعبت ريح الصبا بالقبس

يا بدورا أطلعت يوم النوى

غررًا تسلك بي نهج العرز

ما لعيني وحدها ذنب الهوى

منكم الحسن، ومن عيني النظر

أجتني اللذات مكلوم الجوى

والتذاذي من حبيبي بالفكر

وإذا أشكو بوجدني بسما

كالرُبي والعارض المنبجس

إذا يقيم القطر فيها ماتما

وهي من بهجتها في عرس

(ديوان ابن سهل، تح قوبعة : 474 - 475)

ومما قاله ابن خلدون عن هذه الموشحة : « ومن محاسن

الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل، شاعر إشبيلية وسبته من

بعدها... وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله

(لسان الدين) ابن الخطيب، شاعر الأندلس والمغرب... فقال :

جادك الغيث إذا الغيث همى

يا زمان الوصل بالأندلس

لم يكن وصلك إلاّ خلما

في الكرى أو خلسة المختلس...

(المقدمة، ابن خلدون، تح جمعة شيخة، ط. تونس :

.(774 - 773/2).



ويصف الكبادي موشحة ابن عبد العزيز في موطن آخر  
بأنها « الموشحة التي سارت بها الركبان، وجمعت أشتات  
الإحسان، يقول في طالعها :

إنّ ظيبيا حول كُثبانِ الجِمي      بات يرعى زهرات الأنفس  
هو مذ لاح سناه أضرمّا      بفؤادي جذوة المقتبس

ويح قلبي ! كم تصدّى للمحنّ !

سالكا نهج الردى فيما سلك

ولقد حذرتّه من قبل أن

يتردى هالكا فيمن هلك

كيف ينجو من رأى الطبي الأغنّ

يُطبق الجفن على سحر الملك.

سافرا عن وجنة ذات لَمى      بظبى ألاحظه محترس  
تحسب الخيلان فيها أنجما      كسفت فوق نهارِ مشمس .».

(انظر : النهضة الأدبية في عهد الدولة الحسينية، للكبادي،  
في نشرة « تقويم تونس سنة 1946»، إعداد الحبيب حسن  
عمر : 350. وانظر أيضا للشاذلي النيفر : أدباء سالفون :  
حمودة بن عبد العزيز (14)، العمل الثقافي، 4 جويلية 1969،  
ص 9). وبين روايتي الكبادي والنيفر اختلاف فضلنا في أكثره  
رواية النيفر لاعتماده الديوان المخطوط.

وهذه الموشحة قالها ابن عبد العزيز في مدح شيخه أبي  
عبد الله محمد الغرياني وإن كان الغزل غالبا عليها. ولاين عبد  
العزيز معارضة أخرى لموشح ابن سهل، وهي :

زمن الوصل مضى وانصرما  
صاحبي! قُمْ نِيكِهِ مَلَأَ الْعِيُونَ

ما ترى الوُرُقَ أقامت مأتما  
بعده، والمُزْنُ ذا دمع هُتُون.

(أدباء سالفون، حمودة بن عبد العزيز (15)، الشاذلي  
النيفر، العمل الثقافي، 11 جويلية 1969).

ولعناية ابن عبد العزيز بموشح ابن سهل خصّه أيضا  
بشرح قدّمه إلى علي باشا الثاني (أدباء سالفون، حمودة بن عبد  
العزيز (7)، الشاذلي النيفر، العمل الثقافي، 9 ماي 1969،  
ص 7).

- ابن الأعرابي :

كان ابن الأعرابي يُنكر شعر أبي تمام، ويستكف من استظهار  
تلاميذه له.

[ ابن الأعرابي : هو أبو عبد الله محمد بن زياد  
(767/150 - 846/231). عالم باللغة وراو. له عدة تأليف.  
منها : كتاب النوادر، وكتاب الألفاظ، وكتاب الأنواء، وكتاب  
النبات، وكتاب معاني الشعر، وكتاب نسب الخيل .. إلخ (تاريخ  
الأدب العربي، فروخ : 242 / 2 - 243).

وأبو تمام : هو حبيب بن أوس (814/188 - 846/232).  
من نبغاء الشعر العربي وأعلامه الكبار. له ديوان شعري  
شرحه أكثر من واحد. ومن محقّقيه العديدين محي الدين  
صبحي، ط. دار صادر، بيروت 1997. وله أيضا  
كتب مختارات، منها : ديوان الحماسة، وكتاب الوحشيات

أو الحماسة الصغرى، وغيرها (الأعلام، الزركلي،  
ط 14 / 1999 : 165/2 ؛ وتاريخ الأدب العربي، فروخ :  
251/2 - 268 ... إلخ).

ومن كلام ابن الأعرابي : « قال ابن الأعرابي في شعر  
أبي تمام : إذا كان هذا شعرا فكلام العرب باطل » (الموازنة  
للأمدي، ص 20) .

- ديوان أبي تمام :

يقول بعض ناقد أبي تمام : ديوانه ثلاثة أقسام : ثلث مسروق،  
وثلث مُحال، وثلث جيد .

[وفي أخبار أبي تمام للصولي ورد ما يلي : « حدثني  
هارون بن عبد الله المهلب قال : سئل دعبل عن أبي تمام،  
فقال : ثلث شعره سرقة، وثلثه غث، وثلثه صالح .. » . وورد  
هذا القول في الموازنة للأمدي (ص 19) بصورة أخرى،  
وهي : « إن ثلث شعره محال، وثلثه مسروق، وثلثه صالح » .]

- دَعْبِل :

دعبل الخزاعي له عَوج في مشيته ممَّا يدلُّ على تهوُّره في الصبا.  
هجا المأمونَ. تجاوز المائة في عمره. كان يحسد أبا تمام، فيضحك  
منه أبو تمام. ولما قيل له : لم لا تُجيب دعبل في هجائه إياك ؟  
قال فيه :

كالعَيْر يُقَدِّم من خوفٍ على الأسدِ.

[دعبل : هو دعبل بن علي الخزاعي (148/765 - 860/246). شاعر متطرّف في شيعيته. مطبوع مُجيد.  
كان صديقا للبحثري متعصّبا على أبي تمام وهاجيا له. مات

مقتولا (وفيات الأعيان لابن خلكان : 266/2 - 270 ؛ وتاريخ  
الأدب العربي، فروخ : 284/2 - 289... إلخ).

والواقع أن من هجا أبا تمام بالشعر المذكور إنما هو عبد  
الصدم بن المعدل وليس دعبل الخزاعي. وذلك في قوله : (من  
الخفيف)

أنت بين اثنتين تبرز لنا

س، وكلتاها بوجه مُذال :

لست تنفك طالبا لوِصالٍ

من حبيب، أو راغبا في نوال.

أي ماءٍ لحرٍّ وجهك يبقى

بين ذلِّ الهوى، وذلِّ السؤال.

فردّ عليه أبوتمام (حسب ما ورد في كتاب « شعر عبد  
الصدم بن المعدل»، تح زهير غازي زاهد : 152 - 153،  
وفيات الأعيان : 13/2) بأبيات ثلاثة منها العجز الذي ذكره  
الكبادي، وهي التالية : (من البسيط)

أفيّ تنظم قول الزور والفند

وأنت أنقص من لا شيء في العدد

أشرجت قلبك من غيظ على حنق

كأنها حركات الروح في الجسد

أقدمت، ويئك ! من هجوي على خطرٍ

كالغير يُقدم من خوفٍ على الأسد.

وكان سبب هذه المهاجة، في ما ذكر ابن خلكان، أن



عبد الصمد ابن المعذل لما سمع بوصول أبي تمام إلى  
البصرة خشى منه أن ينافسه في الجوائز، فهجاه  
(وفيات الأعيان : 13/2).

أما في ديوان أبي تمام بتحقيق محي الدين صبحي ونشر دار  
صادر (225/2 - باب الهجاء) فالأبيات وردت في هجاء محمد  
بن يزيد، وفي خمسة أبيات لا في ثلاثة نذكر نصها لاختلافها  
عن أبيات كتاب شعر عبد الصمد بن المعذل، ووفيات الأعيان  
لابن خلكان :

أفِيَّ تَنْظِمَ قَوْلَ الزُّورِ وَالْفَنْدِ

وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ لَأِ شَيْءٍ فِي الْعَدَدِ

أَشْرَجْتَ قَلْبَكَ مِنْ بُغْضِي عَلَى حُرْقِ

أَضْرُ مِنْ حُرُقَاتِ الْهَجْرِ فِي الْجَسَدِ

أَنْحَفْتَ جِسْمَكَ حَتَّى لَوْ هَمَمْتُ بِأَنْ

أَلْهُو بِصَفْعِكَ يَوْمًا لَمْ تَجِدْكَ يَدِي

لَا تَنْتَسِبُ قَدْ حَوَيْتَ الْفَخْرَ مَجْتَمِعًا

وَالذُّكْرَ إِذْ صرْتَ مَنْسُوبًا إِلَى حَسَدِي

أَطَلْتَ رَوْعَكَ حَتَّى صرْتَ لِي غَرَضًا،

قَدْ يُقَدِّمُ الْعَيْرُ مِنْ دُعْرِ عَلَى الْأَسَدِ.

- الشرح : أشرجت قلبك : ضممته على بغضي. - العيرُ

- بفتح العين - : الحمار. أما العير - بكسرها - فهي القافلة،

ومنه المثل المعروف : لا في العير ولا في النفير، وقد سبق.

ولسنا ندري من هو محمد بن يزيد المذكور، خاصة أن

محقق الديوان لم يكلف نفسه عناء البحث عنه. كما أن ما

وجدناه في عصر أبي تمام ممن يحمل مثل هذا الاسم كالمبرد

ربما لا ينطبق عليه. راجع مثلا مداخل محمد بن يزيد في موسوعة الأعلام للزركلي].

- أبو سعيد الضرير وأبو العَمَيْثِل كانا ناقدين للشعر بباب عبد الله بن طاهر قبل أن يُنشد عليه. فما استحسناه أدخل عليه، وإلا فلا.

[ أبو سعيد الضرير : هو من أعيان الناس. كان متصلا بالطاهرية، أي بطاهر بن الحسين الخزاعي وابنه عبد الله وغيرهما من الأبناء والأحفاد (وفيات الأعيان لابن خلكان : 21/2).

وأبو العَمَيْثِل هو عبد الله بن خلود بن سعد. توفي سنة 854 / 240. مؤدب وشاعر. استكتبه الأمير طاهر بن الحسين الخزاعي (775/159 - 822/207)، وعهد إليه بتأديب ابنه عبد الله بن طاهر (798/182 - 844/230) (وفيات الأعيان، ابن خلكان : 2 / 512 - 515؛ وتاريخ الأدب العربي، بروكلمان : 257/2؛ والأعلام للزركلي : 93 / 4 - 94). ولما تولى هذا الأخير، أي عبد الله بن طاهر، إمارة خراسان أصبح العَمَيْثِل كاتبه وشاعره.

ولأبي العَمَيْثِل عدة كتب. منها : التشابه، ومعاني الشعر، والأبيات السائرة، والمأثور فيما اتفق لفظه واختلف معناه... إلخ (وفيات الأعيان : 3 / 89 - 91؛ وتاريخ الأدب العربي، بروكلمان : 257/2؛ والأعلام للزركلي : 85 / 4).

ولعبد الله بن طاهر ابن اسمه عُبيد الله بن طاهر الخزاعي (838/223 - 913 / 300). ولي شرطة بغداد. وكان هو أيضا من الأمراء الأدباء والشعراء، وله براعة في الهندسة والموسيقى والترسل. له مصنفات (الأعلام، للزركلي : 195 / 4).

وغير هؤلاء من الطاهرية كثيرون. وكلهم أمراء وأصحاب  
رياسة وعلم. منهم طلحة بن طاهر بن الحسين المتوفى سنة  
828 / 213 (الأعلام : 229/3)، ومحمد بن عبدالله بن طاهر  
المتوفى سنة 867 / 253 (الأعلام : 222/6)، وطاهر بن عبد  
الله بن طاهر المتوفى سنة 862/248 (الأعلام : 222 / 3)  
... إلخ].

- الزبير حواريّ الرسول. قتله مرقوس.

[مَرْقُوس : كذا في الأصل المخطوط. وفي المصادر التي  
عدنا إليها اسمه ابن جرموز. وهو عمرو بن جرموز (معجم  
الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي،  
فؤاد صالح السيد، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، آذار/  
مارس 1995).

والزبير : هو الزبير بن العوام ابن أروى عمّة الرسول  
عليه الصلاة والسلام، وزوج أسماء ابنة أبي بكر. قتله ابن  
جرموز يوم الجمل غيلة بوادي السباع سنة 36هـ / 656 م  
لما كان في طريقه إلى المدينة (تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم  
حسن، ط7، القاهرة 1964 : 366/1 ؛ والأعلام للزركلي :  
43/3). وهو والد عمرو بن الزبير الذي انتصر للأمويين  
ضد أخيه عبد الله، ولما تمكن منه ضربه بالسياط حتى الموت  
سنة 60 / 680 في ما قيل (الأعلام : 77 / 5)، ومصعب بن  
الزبير الذي حاربه عبد الملك بن مروان حتى قتله سنة 71 /  
690 (الأعلام، الزركلي : 247/7-248)، وعبد الله بن الزبير  
الذي قتله الحجاج لما ضرب الكعبة بالمنجنيق سنة 73 / 692  
(الأعلام : 87 / 4)].



- عبد الجليل بن وهبون :

لئن جاد شعرُ ابن الحسين فإذما  
تجود العطايا، واللَّهُ تفتح اللُّها  
تنبأ عَجبا بالقريظ، ولو درى  
بأنك تزوي شعره لتألها

قالهما عبد الجليل بن وهبون لما استحسن المعتمد بن عباد قول  
أبي الطيب:

إذا ظفرت منك العيون بنظرة  
أثاب بها [ مغيي المطي ورازمه ].

[البيتان من البحر الطويل. وفي الأول منهما سقطت كلمة  
شعر. وما بين معقفين في بيت المتنبي إكمال منا.

وعبد الجليل بن وهبون : هو أبو محمد المرسي، ولد  
بمرسية بين سنتي 430 و440. قتله النصارى لما كان راجعا  
من المغرب مع ابن خفاجة سنة 1090/483. وكان قد عاش في  
بلاط المعتمد بن عباد ( تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ :  
663/4 - 665 ).

وفي الأصل ورد الصاحب بن عباد توهما. وصوابه المعتمد  
بن عباد. وهو أحد ملوك الطوائف على إشبيلية. خلعه يوسف بن  
تاشفين، وحمله أسيرا إلى حصن أغمات بالمغرب حيث توفي سنة  
1095/488 (تاريخ الأدب العربي، فروخ : 713/4 - 722).

وبيت المتنبي من قصيدة مدح بها سيف الدولة سنة سبع  
وثلاثين وثلاثمائة عند نزوله من أنطاكية بعد ظفره بحصن  
برزويه. ومطلعها : (من الطويل)



وفاؤكما كالرَّبْع أشجاه طاسِمُهُ

بأن تُسْعِدَا والدَّمْعُ أشفاه ساجمُهُ.

(شرح ديوان المتنبي، للبرقوقي : 43 / 4) .]

وفيه المُعَيِّي : الكلِيل؛ والرَّازِم : الساقط من الإعياء. ومعنى البيت : إن الإبل المتعبة إذا نظرت إليك عادت إليها قوتها فضلا عنا نحن (شرح ديوان المتنبي للبرقوقي : 49 / 4) .]

- سام من علا، ولا تجذبه من رجليه.

[ساماه : عاله وباراه. ومعنى الصورة في البيت : بار من تسنم المعالي ولا تغدره فتوقع به شرًا وتضره .]

- الغبطة :

[الغبطة، من الفعل غَبَطَ يَغْبِطُ - بالكسر -، وتعني : حسن الحال، والمسرة، وتمنيّ نعمة مثل نعمة المغبوط من غير إرادة زوالها وتحولها عنه (لسان العرب). وفي هذا إشارة إلى أن الغبطة ليست في شيء من الحسد الذي ينشأ فيه الحسود زوال نعمة المحسود (انظر عن الحسد كتاب : معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر، للعالمي : 439 / 1 - 446).

والغبطة في اصطلاح الفلاسفة هي أن تحسن حال المرء، وتكمل سعادته، ويدوم رضاه عمّا له من النعمة. وبهذا المعنى يكون الفرق بين الغبطة والسعادة أن الغبطة كمال ودوام، بينما السعادة قد تكون عرضية وسريعة الزوال.

وفي اصطلاح اللاهوتيين : الغبطة هي حالة السعداء ممّن يتمتّعون في السماء برؤية الله ومشاهدته. من هنا يقال الغبطة الروحية (انظر المعجم الفلسفي، جميل صليبا : 125/2) .]

- التَّمَعُنُّ فِي الْمَعَانِي الْفَلَسْفِيَّةِ طَرِيقَةٌ عَامِيَّةٌ تَبِعَهَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ.  
[طَرِيقَةٌ عَامِيَّةٌ : كَذَا وَرَدَتْ فِي الْأَصْلِ، وَلَعَلَّ الْأَوَّلَى إِسْقَاطُ  
عَامِيَّةٍ تَجَنَّبَا لِأَيِّ إِشْكَالٍ فِي تَخْرِيجِهَا، إِذْ قَدْ تَكُونُ عِلْمِيَّةً، أَوْ  
غَيْرَهَا.]

وأحمد بن الحسين : هو أبو الطيب المتنبّي  
(915/303 - 965/354) أشهر شعراء العربية (تاريخ الأدب  
العربي لعمر فروخ : 2 / 457 - 486).

وفي القول إشارة من الكبادي إلى ما عرف به المتنبّي من  
حكمة ونزوع فلسفي في خطابه الشعري. وقد تناول النقاد قديما  
وحديثا هذه المسألة عند المتنبّي بالبحث والتحليل في عديد التآليف  
والمباحث ذكر بعضها محمد عبد الرحمان شعيب في دراسته :  
المتنبّي بين ناقديه في القديم والحديث ... إلخ.]

- الْفَدْمُ : الْبَلِيدُ الَّذِي < لَمْ > يَجْرِبُ الْأُمُورَ.

[في الأصل المخطوط : الذي يجرب، دون (لم)، وهو  
عكس المراد من الشرح. وقد رأينا إضافتها بين زاويتين  
ليستقيم التركيب والمعنى.]

وفي معجم مقاييس اللغة لأحمد ابن فارس وفي غيره من  
المعاجم : الرجل الفدْمُ : القليل الكلام من عِيٍّ. ويوصف القدم  
بالنقل أيضا فيقال : قدم ثقيل : أي ثقيل الفهم عِيٍّ.]

< قال > أبو نواس :

وصفُ الطلُولِ بِلَاغَةُ الْفَدْمِ

فاجعل حديثك في ابنة الكرم

[أبو نواس : هو الحسن بن هاتئ ولد في سوق الأهواز من خوزستان سنة 763/146. وتوفي سنة 814/198. وفي التاريخين خلاف. شاعر مُجيد. من مُجدّدي الشعر العربي في العصر العباسي الأول (تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ : 158/2 - 166. والأعلام للزركلي : 225/2).

والبيت من البحر الكامل، وله رواية أخرى (ديوان أبي نواس : 57)، وهي:

صفة الطول بلاغة القدم

فاجعل صفاتك لابنة الكرم

وفي محفوظنا منذ عهد التلمذة : بلاغة القَدَم. وفي هذه الرواية نلمس ثورة أبي نواس على القديم. أما في الرواية الأولى فنلمس شعوبيته لاستنقاصه العرب المتفخرين بالفصاحة والبلاغة].

- جُلْبَان : أمُّ أبي نواس. ومعناه بالفارسية : وزدٌ على غصن. أما أبوه فينسب إلى اليمن.

[في الأصل المخطوط : أم والدة أبي نواس، والصواب ما أثبتناه.

وجلبان : اسم فارسي مركب من جل : بمعنى ورد، وبان. وحسب الجواليقي : الجلبان يقال إنه الورد، ويقال : قبة يصنعونها ويجعلون عليها الورد (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم : 80).

وجلبان أم أبي نواس هي جارية فارسية أو سنديّة (تاريخ الأدب العربي، فروخ : 158/2). أما أبوه

فعرابي اسمه هانئ بن صباح الحَكَمي بالولاء (الأعلام للزركلي : 225/2).

كان أبو نواس من أهل البصرة. وفيها عاش وتخرَّج، ثم ذهب إلى الكوفة. ولما بلغ الثلاثين قصد بغداد ليمدح الخلفاء والكبراء، ويجالس العلماء والشعراء. كما ذهب إلى مصر ليمدح واليها الخصيب، فأثار عليه بهذا المدح الخليفة هارون الرشيد حتى سجنه، ولم يطلق سراحه إلا بعد وفاته حينما تولى الخلافة ابنه محمد الأمين.

ولمزيد الاطلاع على أصول أبي نواس وحياته وتقلباته انظر مثلاً أخبار أبي نواس، لابن منظور، دار البستاني للنشر والتوزيع، بيروت 2000 : 30-31... إلخ].

- قال أبو الطيب :

إذا رأيت نُبُوبَ اللَّيْثِ بارزةً

فلا تظنَّ أنَّ اللَّيْثَ يتسم

[البيت من البسيط. وهو من قصيدة قالها المتنبي في مدح سيف الدولة لما قصد ميّافارقين في خمسة آلاف جندي ألفين من غلمانه ليزور قبر والدته سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (338 هـ). وفي شرح الديوان للعكبري (85/4) ورد البيت برواية أخرى هي قوله : من البسيط

إذا نظرتِ نُبُوبَ اللَّيْثِ بارزةً

فلا تظنَّ أنَّ اللَّيْثَ مبتسم

والاختلاف بين الروایتين واضح في قوله : إذا نظرتِ أو رأيت، ومبتسم أو يبتسم].



- لا يملك شري نقيير. مثل.

[شَرِي : فسانل النخل تنبت من النواة (المعجم الوسيط، ش ر ي).

والنَّقِير والنَّقْرَة والنَّقْر : النكتة في النواة كأن ذلك الموضوع نُقِرَ منها... وروي عن ابن الهيثم أنه قال : النقيير : نقرة في ظهر النواة منها تنبت النخلة (لسان العرب، ن ق ر).

ووردت النقيير في القرآن الكريم في الآية : (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يُؤْتُونَ الناسَ نقييراً) (الآية 53 من سورة النساء 4)؛ وفي الآية : ( فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقييراً) (الآية 124، من سورة النساء 4).

ومن الإتياع قولهم : فقير نقيير.

والظاهر أن المثل المذكور يدل على القلة والضعف، أي إنه لا يملك شيئاً ولو مجرد فسيلة تنبت من نقيير نواة].

- الولد مجبنة مبخلة. ح. شريف.

[لهذا الحديث صيغ متعددة في كتب الصحاح. منها :

• إن الولد مجبنة مبخلة (سنن ابن ماجة من موسوعة السنة - الكتب الستة وشروحها، ط 2، دار الدعوة إستانبول - دار سحنون /تونس 1992/1413، أدب 3، باب برّ الوالد والإحسان إلى البنات : 1209 /2، عدد الحديث 3665).

• إن الولد مبخلة مجبنة (مسند أحمد بن حنبل : 172 /4).

• إنهم لمجبنة محزنة، إنهم لمجبنة محزنة (مسند أحمد بن حنبل : 211 /5).

وفي هذه الأحاديث إشارة إلى أثر الأبناء ودورهم في شخصية الآباء وسلوكهم حد التضحية في سبيلهم بالقيم والخصال الإنسانية الحميدة].

- وسهم المنايا بالنفاس موع. مثل.

[بدل هذا المثل، وهو شطر شعري من البحر الطويل، على أن الموت ولوع باختيار أخيار القوم وأعزهم، وهو غير صحيح دوماً لأن الموت يصيب كل الأحياء؛ لكن الغرض منه التعبير عن عظمة الإحساس بفقد الأختيار.

وقد عبر ابن الرومي في رثائه لابنه الأوسط شعرا بمثل هذا المعنى فقال يخاطب عينيه : (من الطويل)

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي،

فجودا، فقد أودى نظيركما عندي

ألا قاتل الله المنايا ورميها

من القوم حبات القلوب على عمد

توخي حمام الموت أوسط صبيتي

فله كيف اختار واسطة العقد !..

أعيني جودا لي، فقد جدت للثرى

بأنفس مما تسألان من الرفد.

(ديوان ابن الرومي، تج. كامل كيلاني : 1 / 29 - 30) ..

- محمد بن دريد :

قيل هو أول من وضع المقامات. والصحيح أن مبتدعها هو بديع الزمان. ولقد كان يلقي على تلاميذه الدرس فإذا رأى منهم فتورا أملى عليهم مقامة. وجملة مقاماته 400 <أربعمائة> لم يبق منها إلا 60 <ستون>.

[محمد بن دريد : هو أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي (838/223 - 920/308). عالم باللغة وشاعر وناقد. له : كتاب الجمهرة، والمقصورة، وديوان صغير، وكتاب الملاحن، وغريب القرآن، وغيرها (تاريخ الأدب العربي، لفروخ : 416 /2 - 420).

وبديع الزمان : هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى الهمداني (969/358 - 993/383). شاعر وناثر. وإليه ينسب تأسيس فن المقامة باعتباره جنسا أدبيا له ضوابطه وشروطه ومظاهره (انظر مثلا : النثر الفني، زكي مبارك ؛ وبديعيات الزمان، فكتور ألك، وتاريخ الأدب العربي، عمر فروخ : 1/2 - 595-612 ... إلخ].

- ما يوم حليمة بسر. مثل.

[يوم حليمة : من أيام العرب قبل الإسلام. كانت فيه وقعة قتل فيها المنذر بن ماء السماء. والمثل يُنسب إلى حليمة بنت الحارث الأكبر بن أبي شمر ملك عرب الشام في الجاهلية. وكان أبوها قد وجّه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء، فأخرجت لهم طيبا طيبتهم به. وهو يضرب لكل أمر عظيم مشهور (مجمع الأمثال للميداني : 272 /2 - 273، المثل عدد 3815، وانظر جمهرة الأمثال للعسكري).

وفي هذا اليوم قال النابغة الذبياني : من الطويل

تُخَيَّرَنَّ من أزمان يوم حليمة

إلى اليوم قد جرّبن كلّ التجارب

(الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح محمد أبو

الفضل إبراهيم والسيد شحاتة : 273 /2).

وينسب أيضا إلى حليلة هذا المثل: أعزُّ من حليلة (راجع جمهرة الأمثال للعسكري)).

- اللُّونُ لونُ الدَّم، والرَّيحُ ريحُ المسك. ح. شريف.

[ورد هذا الحديث في كتاب الموطأ (موسوعة السنة - الكتب الستة وشروحها، جهاد، عدد 29، مج 2/ 461) بما نصه : « قال رسول الله : والذي نفسي بيده، لا يُكَلِّمُ أحدٌ في سبيل الله، والله أعلمُ بمن يُكَلِّمُ في سبيله، إلَّا جاء يوم القيامة، وجُرَّحَهُ يثُغِبُ دَمًا. اللُّونُ لونُ دم، والرَّيحُ ريحُ مسكٍ ».

ويُكَلِّمُ : يُجرح. وَيَثُغِبُ دَمًا : يجري، يسيل دما].

- فكُ الرِّيقِ : كلمة حجازية يَكْنَى بها عن طعام الصباح. وهي موجودة في الشعر القديم. قالها شاعر من شعراء القرن الرابع. [الرِّيقُ : لُعاب الفم، الرُّضاب، والجمع أرياق. وفكُ الريقِ : كناية عن قطع الإمساك عن الطعام والجوع.

ويقال لنفس المعنى : أكل على الريق، وهو ما ورد في قولهم : فإذا أكلَ التمرَ على الريق (فقه اللغة للثعالبي، الباب السادس عشر، الفصل السابع : في أدواء تعتري من كثرة الأكل، 124)... إلخ.

وتقول العامة بتونس للتعبير عن فكُ الريقِ : شقَّ الريقِ : إذا تمَّ قطع الجوع بعد اليقظة من النوم صباحًا. وفي إفطار رمضان يقولون : شقُّ الفِطْرِ. كما يقولون : بل الريق، إذا شربوا بعد العطش.

ويقال في السياق نفسه : أتيتَه على ريقِ نفسي، أي لم أطمع



شيئا. ويقال أيضا : أتيته ريقًا، وأتيته رائقًا : أي على ريق لم أطعم شيئًا (لسان العرب، ري ق).]

وفي أساس البلاغة (ري ق) : وأنا على الريق : لم أذق طعامًا؛ وشربت على الريق، وعلى ريق النفس، وريقة النفس، ودخلت عليه على ريق نفسي... إلخ.

ومن أمثلة استعمالات الريق أيضا قولهم عند الجهد والعطش : عَصَبَ الريقُ بفيه : إذا يبس وجف. ومنه قول ابن خلدون : « وخلص السلطان منهم بعد عَصَبِ الريق » (التعريف بابن خلدون : 101) .]

- تأخير العشاء يُورث العشا. مثل.

[العشاء - مفتوح العين وممدود - : الطعام الذي يؤكل عند وقت العشاء، وهو يقابل العداء.

والعشا - مقصور، مفتوح العين - : من عشا يعشو عشوا، وعشي يعشي عشي، فهو أعشى وهي عشواء. ومعناه : من لا يبصر بالليل، وأما بالنهار فهو بصير. وفي المثل : يخبط خبط عشواء : وهي الناقة التي ترفع رأسها ولا تبصر ما أمامها، فلا تدري أين تضع أخفافها وتخبط بيديها كل شيء يعترضها. قال زهير بن أبي سلمى المزني : (من الطويل)

رأيت المنايا خبطَ عشواءٍ من تُصِبْ

تُمْتَه، ومن تُخْطِي يُعَمَّرَ فِيهَرَمِ

وفي البيت استعارة الناقة العشواء للمنايا التي تؤدي بالمخلوقات دون تفريق وتمييز.

والعشاء - بكسر العين- : أول ظلام الليل، أو من صلاة المغرب إلى العتمة، وصلاة العشاء : هي الصلاة الأخيرة.  
وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
إذا حضر العشاء والعشاء فابدؤوا بالعشاء، أي بالطعام (لسان العرب).

والواضح أن غاية المثل، وخاصة الحديث، هي الحث على تناول طعام العشاء قبل صلاة العشاء لأسباب دينية وصحية معا. أما الدينية فحتى لا يشتغل قلب المصلي به عند الصلاة. وأما الصحية فلأن تأخير الطعام - حسب المثل- قد يورث ضعف البصر عندما يتناوله المستطعم في الظلام، كما قد يوقعه في الضرر كأن يكون مشتملا على بعض الحشرات أو غيرها فلا يتبينها، وكذلك لما ينشأ عنه من إصابة المعدة بسوء الهضم والثقل فيوقعه في أضغاث الأحلام عند النوم].

- خيرُ العشاء سوافره. مثل.

[سوافره : جمع سافر، من الفعل سافر. وفي اللسان : « سفر الصبح وأسفر : أضاء قبل الطلوع. وأسفر القوم : أصبحوا. وسفرت المرأة قناعها عن وجهها : إذا كشفت عن وجهها، فهي سافر، والجمع سوافر.

وهذه الصيغة للمثل لم نعثر عليها في كتب الأمثال. وإنما عثرنا على رواية أخرى، هي قولهم : خير الغداء بواكره، وخير العشاء بواصره (مجمع الأمثال : 244/1، عدد 1301). وفيه حثٌّ على التذكير بطعام العشاء كما مر في المثل السابق. ومما يدل على استحسان التذكير في صلاة المغرب ما روي

عن عمر رضي الله عنه أنه قال : صلاة المغرب، والفجاءُ  
مُسْفُورَةٌ. قال أبو منصور : معناه بينة مبصرة لا تخفى. وفي  
الحديث : «صلاة المغرب يقال لها صلاة البصر لأنها تؤدَّى  
قبل ظلمة الليل الحائلة بين الأبصار والشخوص». فإذا كان  
التبكير في صلاة المغرب مطلوباً، وتقديم العشاء على صلاة  
العشاء مندوباً فإن خير العشاء - حسب المثل - ما يتناول وقت  
الإبصار وقبل الظلمة الحالكة].

- السَّرْبُ : القطيع أو النفس.

[قال أحمد بن فارس في معاني لفظة السرب وتطورها  
واتساعها :

« سَرَبٌ : السنين والراء والباء أصل مطرد، وهو يدل على  
الاتساع والذهاب في الأرض. من ذلك السَّرْبُ والسَّرْبِيَّة، وهي  
القطيع من الظباء والشاء، لأنه ينسرب في الأرض راعياً. ثم  
حُمِلَ عليه السرب من النساء. قالوا : والسَّرْبُ - بفتح السين -  
أصله في الإبل. ومنه تقول العرب للمطلقة : « اذهبي فلا أندُه  
سَرْبِكِ »، أي لا أردُّ إبلَك، لتذهب حيث شاءت. ...

فأما قولهم آمِن في سِرْبِه، فهو بالكسر، قالوا : معناه آمِن  
في نفسه. وهذا صحيح ولكن في الكلام إضماراً، كأنه يقول :  
أمنة نفسه حيث سَرِبَ، أي سعى. وكذلك هو واسع السَّرْبِ،  
أي الصدر، وهذا أيضاً بالكسر. قالوا : ويُراد به أنه بطيء  
الغضب « (معجم مقاييس اللغة : 3 / 155).

وزاد ابن منظور المسألة توضيحاً في اللسان، فقال : «وأنكر  
ابن درستويه قول من قال : في نفسه. قال : وإنما المعنى آمِن



في أهله وماله وولده ؛ ولو آمن على نفسه وحدها دون أهله وماله وولده، لم يُقَلَّ : هو آمن في سربه ؛ وإنما السرب ههنا ما للرجل من أهل ومال، ولذلك سُمِّيَ قطيع البقر، والظباء، والقطا، والنساء، سرباً. وكان الأصل في ذلك أن يكون الراعي آمناً في سربه، والفحلُ آمناً في سربه ؛ ثم استعمل في غير الرُّعاة استعارةً فيما شُبِّهَ به، ولذلك كُسِرَت السين، وقيل : هو آمن في سربه أي في قومه. والسَّرب هنا : القلب. يقال : فلان آمن السَّرب أي آمن القلب، والجمع سِرَاب، عن الهَجْرِي ...الخ « (لسان العرب : س ر ب).

ومن أمثله في الشعر العربي قول ربيعة بن مقروم الضبي : (من الطويل)

وسِرْبٍ إذا غَصَّ الجبانُ بريقه

حَمِيْتُ إذا الداعي إلى الرُّوعِ ثَوَّباً

سَرَبٌ - بالفتح - : القطيع من الإبل، وسِرْبٌ - بالكسر - : الجماعة من النساء. غَصَّ الجبانُ بريقه : جَفَّ ريقه من الفرق والفرع. ثَوَّبٌ : استغاث مرة بعد أخرى (المفضليات، عدد 113 : 377).

- العقيلة : الشريفة من النساء

[ قال أحمد ابن فارس : عقل : العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدلُّ عَظْمُهُ على حُبْسَةِ في الشيء أو ما يقارب الحُبْسَةِ. من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميمة القول والفعل.... فأما قولهم : فلانة عقيلة قومها، فهي كريمتهم وخيارهم. ويوصف بذلك السيد أيضا فيقال : هو عقيلة قومه.



وعقيلة كل شيء : أكرمه. والدرّة عقيلة البحر. قال ابن قيس  
الرُقِيَّاتِ : (من الخفيف)

درّة من عقائل البحر بكرةً،

لم يشنّها مثاقبُ اللّال.

وذكر قياس هذا عن ابن الأعرابي، قالوا عنه : إنّما سمّيت  
عقيلة لأنّها عقّلت صواحبها عن أن يبلغنّها. وقال الخليل : بل  
معناه عقّلت في خدرها قال امرؤ القيس : (من الطويل)

عقيلة أخذان لها، لا دميمة

ولا ذاتُ خلقٍ إن تأملتْ جانبِ

... الخ » ( معجم مقاييس اللغة : 69 / 4 ، 72 - 73 ) .

وورد في لسان العرب (ع ق ل) أن العقيلة من النساء :  
الكريمة المخدرة؛ واستعاره للبقرة تميم بن أبي ابن مقبل،  
الشاعر المخضرم المتوفى بعد 657/37، فقال : (من الطويل)

عقيلة رملٍ دافعتُ في حُوفِهِ

رَخَاخَ الثَّرَى، والأقحوان المديماً.

حُوف، مفردة حِقْف، ويجمع أيضا على أحقاف : ما  
استطال واعوج من الرمل.

والرَخَاخ : اللين الرخو. يقال أرض رخاخ : ليّنة واسعة؛  
ونبات رخاخ : هَش؛ وعيش رخاخ : رغد واسع (المعجم  
الوسيط).

ثم توسّع في استعمال العقيلة فأطلقت مجازا على الكريم من  
كل شيء من الذوات والمعاني؛ ومنه : عقائل الكلام، وعقائل

البحر، أي دُرُّرُه، وعقائلُ الإنسان : كريهُمَ ماله ... إلخ (لسان  
العرب، ع ق ل).

- الرَّبْرَبُ : القَطِيعُ مِنَ الطُّبِيِّ

[ورد في الأصل المخطوط : القَطِيعُ مِنَ الطَّبِيِّ : تصحيف،  
وهي الطُّبِيُّ كما أوردناه، جمع طَبِي. ويجمع أيضا على أَطْبٍ،  
وِطْبَاءَ.

والرَبْرَبُ : القَطِيعُ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ وَالطَّبَاءِ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ،  
وَجَمْعُهُ رَبْرَابٌ.

قال طرفة في المعلقة : (من الطويل)

خَدُولٌ تُرَاعِي رَبْرَابًا بِخَمِيلَةٍ

تتناول أطراف البربر وترتدي

البربر : عود الأراك.

وقال غيره : من الطويل

بأحسن من ليلي، ولا أمَّ شادن،

غضبيضة طرف، رُغَتْهَا وَسَطُ رَبْرَبِ

(لسان العرب).

وقال كراع : الربرب : جماعة البقر، ما كان دون العشرة

(لسان العرب).

ومن أشعارهم في الربرب قول السري الرفاء في

دستنبوية : (من مجزوء الكامل)

وأغنَّ كالرَّشْبِ الرِّبْرِبِ

ب نشا خلال الرُّبْرَبِ

فِي خَدِّهِ وَرَدَّ حَمَا  
 هُ مِنْ الْقِطَافِ بِعَقْرِبِ  
 لَمَا سَقَاهُ قَهْوَةً  
 فِي الْكَأْسِ ذَاتِ تَلْهُبِ  
 حَيًّا بِدَسْتِنَبْوِيَّةِ  
 مِثْلِ السَّنَانِ الْمُذْهَبِ.

(ديوان السري الرفاء، تح. كرم البستاني، بيروت 1996 :  
 100-99، وديوان المعاني، لأبي هلال العسكري : 754/2).

وفي ديوان السري : كالرشا العزير (ص 100). وفيه أيضا  
 الدستنبوية : نوع من البطيخ الأصفر، طويل الحجم (ص 99) .

- قال أحمد بن زيدون في ولادة :

قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ أَتَمَرَ بِالْبَدْرِ

[ أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون (1003/394  
 - 1070/463) من أشهر شعراء الأندلس والشعراء العشاق  
 لما حفل به ديوانه من شعر في حب ولادة بنت المستكفي  
 الخليفة الأموي (قتل سنة 416 / 1025)، ومناقسات وغيره.  
 تولى مناصب وزارية، واكتوى - عهد ملوك الطوائف-  
 بنار الاضطرابات السياسية والسجن. له ديوان مطبوع،  
 والرسالة الهزلية، والرسالة الجديدة.. (تاريخ الأدب العربي،  
 عمر فروخ : 589/4-602... إلخ).

والشطر هو قسيم من الطويل، من قصيدة وردت في الديوان  
 بعنوان « ليالي قرطبة ». وترتيبه الأول من الدور الثالث فيها.  
 وهذا نص الدور كله : (من الطويل)

قَضِيبٌ مِنَ الرَّيْحَانِ أَتَمَرَ بِالْبَدْرِ  
لِوَاظِ عَيْنِيهِ مُلْتَمِنٌ مِنَ السَّخْرِ  
وَدِيْبَا حَدْيَهُ حَكَى رَوْنَقَ الْخَمْرِ

وألفاظه - في النطق - كاللؤلؤ النثر  
وريقته - في الارتشاف - مُدَامُ.

(ديوان ابن زيدون، تح. علي عبد العظيم، القاهرة  
1957 : 129).

- صدر لا يفارق القلب، ولا يسكنه الرعب.

[ يشار بهذه الصورة إلى ثبات القلب وقوة الجأش، كناية  
عن الشجاعة والجرأة والإقدام ].

- الشماخ بن ضرار : يُقال له واصف الحُمر، لأنه من أوصف  
الشعراء للحمير.

[الشماخ بن ضرار شاعر مخضرم، شهد الفتوحات  
الإسلامية مثل القادسية، وتوفي سنة 30 للهجرة. له ديوان  
حققه وشرحه صلاح عبد الهادي، دار المعارف بمصر، سلسلة  
ذخائر العرب، القاهرة 1968 (تاريخ الأدب العربي، فروخ :  
303 / 1 - 305).

وقال عنه ابن رشيقي : « وأما الحمر الوحشية والقسي  
فأوصف الناس لها الشماخ، شهد له بذلك الحطيئة والفرزدق.  
وهذان يجيدان صفات الخيل والقسي أيضًا والنبل » (العمدة :  
296/2).

ولقد توخى الشماخ في وصفه أسلوبا اشتقه من الصحراء



التي عايشها. فجاءت لغتُه كَزَّة غريبة كما نرى في هذه القصيدة : (من الطويل)

- 1 - عفا بطنُ قوٍّ من سليمي فعالزُ،  
فذات الغصا، فالمشرفاتُ النواشِرُ
- 2 - فكلُّ خليلٍ غيرُ هاضمِ نفسه  
لوصلِ خليلٍ، صارمٌ أو معارزُ.

ومنها في وصف الحُمُر :

- 3 - كأن قُتودي فوق جأبٍ مُطرَدٍ  
من الحُقبِ لاحتَه الجِدادُ الغوارزُ
- 4 - طوى ظمئها في بيضة القَيْظِ بعدما  
جرتُ، في عنانِ الشُعريينِ، الأماعِزُ
- 5 - فظلتُ بيمؤودٍ كأنَّ عيونها  
إلى الشمسِ، هل تدنو رِكبي نواكزُ ..
- 6 - فلما رأين الورْدَ منه صريمةً  
قَصينِ، ولاقاهنَّ جِلُّ مجاوزُ ..

الشرح :

- 1 - قوٍّ، وعالز : موضعان. والمشرفات : العاليات من الأماكن والجبال. النواشِر : النَّشْر هو المتن المرتفع من الأرض، أو هو ما ارتفع عن الوادي إلى الأرض (لسان العرب).
- 2 - معارز : معاند ومجانب، من الفعل عارز (لسان العرب).
- 3 - قَتَد : عود الرَّحْل، الجأب : الغليظ من حمر الوحش. مطرَد : كامل متمم. ولاحتَه : من قولهم لاحه ولوَّحه العطش : إذا غيَّره. والجِداد : جمع الجُدود، وهي من الأُتن التي لا لبن

فيها، وكذلك الغوارز : مفرده الغارز، وهو الضرع الذي غرز  
أي قل لبُنه. كُنَى به عن الأتان القليلة اللبن.

4- الظَّمأُ : العطش. وبيضة القيظ : شدة حره. الشعريان :  
هما الشعري العبور، والشعري الغميصاء. والشعري :  
كوكب نيزرٍ يطلع عند شدة الحر. والأماز : مفرده الأمعز،  
وهو الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة.

5- يَمُؤود : موضع. رَكِي، جمع ركية : البئر. نواكز : جمع  
ناكز : البئر التي قل ماؤها، وقيل فني؛ من قولهم نكزت البئر.

6 - الوَرْدُ : ورود الماء. الصَّرِيمة : العزيمة. قَصَيْن :  
أي امتنعن من الشرب. الخِل : الطريق في الرمل المألوفة.  
المُجاوز : من جاوز الطريق، أي خلفه.]

- طرفة بن العبد : كان وصافاً للثوق

[لما كان العرب يعيشون في بيئة صحراوية فقد اعتمدوا  
الإبل في أسفارهم وترحُّلهم، ولذلك سموها سفائن الصحراء ؛  
كما اتخذوها للمقايضة، ولذلك سموها مالا.

ولمعايشتهم الإبل سلماً وحرماً، إقامة وطمعنا، عُني الشعراء  
العرب بوصفها. وفي هذا المعنى قال ابن رشيق : « وأما  
نُعَات الإبل فطرفة في معلقته من أفضلهم، وأوس بن حجر،  
وكعب بن زهير، والشماخ، وأكثر القدماء يجيد وصفها لأنها  
مراكبهم » (العمدة : 296/2 ..)

وطرفة بن العبد : هو عمرو بن العبد. شاعر جاهلي جيّد  
الشعر، من أصحاب المعلقات. قُتِل لتهوُّره ولامبالاته بعواقب  
الأمر في نحو سنة 62 ق هـ، وله من العمر ثلاثون سنة.

من أبرز موضوعاته الشعرية وصف الناقة وصفا دقيقا، لكنه صاغه في لغة حوشية بدوية غريبة عن غير العارفين أو المتصلّعين بلغة الصحراء والجاهلية (انظر ديوان طرفة بن العبد في طبعات مختلفة؛ وشرح المعلقات السبع للزوزني؛ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري، ط دار المعارف بمصر؛ وتاريخ الأدب العربي لعمر فروخ : 135/1 - 142 ؛ ... إلخ) .

- أول من سنّ ركوب الحمير بمصر الحاكم بأمر الله

[ الحاكم بأمر الله هو أبو علي منصور بن نزار (العزیز بالله) بن معد الفاطمي (985 /375 - 1021 / 411). ورث الملك على مصر وسنه أحد عشر عاما ونصفا. كان غريب الأطوار حدّ ادعاء الألوهية (انظر : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لتقي الدين أحمد المقرئزي : 285/2 - 289، وتاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن : 153/3 - 154، والأعلام للزركلي : 305 /7 - 306 ).

ومما ذكره المقرئزي عن ركوب الحاكم بأمر الله الحمير قوله : « وفي جمادى الآخرة (من سنة أربع وأربعمئة) صار الحاكم يركب حمارا بشاشية مكشوفة بغير عمامة...» (المواعظ والاعتبار، المقرئزي : 288 /2) .

- يُقال عربيّة : أبقى عليه، إذا لم يفتك به

[ أبقى : مزيد الفعل بقي بمعنى : دام وثبت.

ويقال أيضا : استبقى الأميرُ الجانيَ واستحياه : إذا عفا عنه فلم يقتله (أساس البلاغة، ب ق ي).



واستبقى الرجل وأبقى عليه : وجب عليه قتل فعفا عنه  
(لسان العرب، ب ق ي).

وأبقى على الشيء : حفّظه (المعجم الوسيط، ب ق ي).  
ومما سبق نرى أن الهمزة في الفعل أبقى تفيد التعديّة للدلالة  
على معنى البقاء.]

- من علامة التمرد في القديم عند العرب (في المراسلات  
خصوصاً) أن يبدأ الكاتب باسمه قبل اسم المرسل إليه. فمن ذلك  
ما كاتب به أبو مسلم الخراساني أبا جعفر المنصور : من أبي مسلم  
الخراساني إلى أبي جعفر المنصور.

[أبو مسلم الخراساني : هو عبد الرحمان بن مسلم  
(718/100 (?) - 755/137)، من الموالى الفرس. كان أعظم  
الدعاة العباسيين، وأبرز من وطد حكم الدولة العباسية بعد أن  
قضى على الدولة الأموية سنة 132هـ؛ لكن أبا جعفر المنصور  
قتله، وله من العمر سبع وثلاثون سنة، لما رأى منه انحرافاً  
وطمعا في توطيد ملك الفرس، واستعادة أمجادهم (الأعلام  
للزركلي : 337 / 3 - 338، وتاريخ الإسلام، حسن إبراهيم  
حسن : 15 / 2 وما بعدها).

وأبو جعفر المنصور : هو عبد الله بن محمد بن علي  
العباسي ثاني الخلفاء العباسيين بعد أخيه أبو العباس السفاح  
المتوفى سنة 754/136. ولد سنة 722/104 من أم بربرية  
تدعى سلامة. وتولى الحكم بين سنتي 136 - 754/158 -  
775. وهو الذي وطد الحكم العباسي بحنكته وقوة شخصيته  
وحسن تدبيره وسياسته، وأسس مدينة بغداد عاصمة له



ولأسلافه (مروج الذهب، للمسعودي : 180/2 وما بعدها،  
والأعلام للزركلي : 117/4).

- كان العرب يعيرون قبيلة إباد لأنها كانت تتسامح في التزوج  
بغير العرب، أو منهم.

[إباد : حي من معد (لسان العرب)، وبطن من الأزدي (معجم  
قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة : 52 - 55).

وخلافا لهذا السلوك كان العرب، في ما يُروى، يفتخرون  
بالزواج من غير الأقارب حفاظا على سلامة النسل، فإنهم  
قالوا : اغتربوا لا تُضوّوا، أي ابتعدوا عن الأقارب في  
الزواج حتى لا تنحف أبنائكم ولا يتشوّها بأمراض وراثية.

وللعرب في الدعوة إلى هذا المبدأ عدة أقوال. من ذلك قول  
شاعرهم في مدح صاحب له : (من الطويل)

فَتَى لَمْ تَلِدْهُ بِنْتُ عَمِّ قَرِيْبَةٍ

فِيضْوَى، وَقَدْ يَضْوَى رَيْدُ الْأَقْرَابِ

وقال الأسدي يفتخر : (من الطويل)

وَلَسْتُ بِضَاوِيٍّ تَمُوجُ عِظَامُهُ،

وَلَادَتْهُ فِي خَالِدٍ بَعْدَ خَالِدِ

تَرَدَّدَ حَتَّى عَمَّهُ خَالَ أُمِّهِ

إلى نسب أدنى من السّرِّ واحد.

(الإمتاع والمؤانسة، للتوحيدي، المكتبة العصرية -  
بيروت : 94 / 1 - 95).

ويضوى : من الفعل ضوي - بالكسر - يضوى ضوى :  
ضعف وهزل، أو دق (المعجم الوسيط).

والأسدي : لعله عبيد الله بن محمد بن جرو الأسدي، العالم  
بالعربية والمتكلم المعتزلي، المتوفى سنة 387 / 997. له :  
تفسير قرآن، والموضح في العروض، والمفصح في القوافي،  
وشعر... إلخ (الأعلام للزركلي : 4 / 197).

نتف أدبية من درس الشيخ العربي الكبادي (مخطوط)

تدوين محمد العروسي المطوي

تحقيق وإكمال محمد الهادي بن الطاهر المطوي

المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE  
المصادر



## المصادر :

مصدر هذا الكتاب هي كل ماورد فيه من تراث الشيخ محمد العروسي المطوي مما ذكرناه في التمهيد لذلك نكتفي في الإحالة على المصادر بما ورد منها في الفصل الثاني، ونقتصر هنا على ذكر المراجع :

## المراجع :

- المكتبة العصرية القرواني (ديوان)، مكتبة المنار، تونس، 1967.
- أبو بكر بن أحمد، فتح شكري لفضل، مطبعة جامعة تونس، 1967.
- اتحاد الكتاب الفرنسيين، اتحاد الكتاب العرب (1931 - 2008)، إعداد محمد علي، تونس، 1991.
- أختار أبي تمام، للصولي، فتح خير، تونس، 1977.
- ومحمد عبد العزيز، ونظر الإسلام الهندي، مطبعة دار النشر والترجمة والنشر، القاهرة، 1937/1356.
- أختار أبي نواس، لابن منظور، دار السنائي للنشر والتوزيع، بيروت، 2000.
- أختار الصعدي، للصولي، فتح وتطبيق صالح الأثر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط 1، دمشق، 1958/1378.
- أساس البلاغة، جاز الله أبو القاسم محمود بن عيسى الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر، 1989/1409.
- الإسهام التونسي في تحقيق التراث، إعداد عبد الوهاب النجلي، ط 1، بيت الحكمة، تونس، 1990، ط 2، دار مطبوعات تونس، 2011/1432.



المكتبة الوطنية التونسية  
BIBLIOTHEQUE NATIONALE DE TUNISIE

## المصادر :

مصادر هذا الكتاب هي كل ماورد فيه من تراث الشيخ محمد العروسي المطوي مما ذكرناه في آثاره. لذلك نكتفي في الإحالة على المصادر بما ورد منها في الفصل الثاني، ونقتصر هنا على ذكر المراجع :

## المراجع :

- كتب :

- أبو الحسن الحصري القيرواني (ديوان)، مكتبة المنار، تونس 1963؛

- أبو العتاهية : أشعاره وأخباره، تح. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق، 1384 / 1965.

- اتحاد الكتاب التونسيين يحيي أربعينية الفقيه مصطفى الفارسي (1931 - 2008)، إعداد محمد المي، تونس 2008.

- أخبار أبي تمام، للصولي، تح. خليل محمود عساكر، ومحمد عبده عزام، ونظير الإسلام الهندي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1937/1356.

- أخبار أبي نواس، لابن منظور، دار البستاني للنشر والتوزيع، بيروت 2000.

- أخبار البحتري، للصولي، تح. وتعليق صالح الأشر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ط1، دمشق 1378 / 1958.

- أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر للطباعة والنشر، 1409 / 1989.

- الإسهام التونسي في تحقيق التراث ، إعداد عبد الوهاب الدخلي، ط1، بيت الحكمة، تونس 1990، وط2، دار سحنون، تونس 1432 / 2011.

- الأعلام، خير الدين الزركلي، 8 مجلدات، ط 14، دار العلم للملايين، بيروت 1999.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، المكتبة العصرية - بيروت.
- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت 1961.
- بديعيات الزمان، فكتور الكك، بيروت المطبعة الكاثوليكية 1960.
- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، الجزءان الثاني والثالث، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، القاهرة 1961، 1962.
- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ست مج، دار العلم للملايين، بيروت 1969 وما بعدها.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، 4 ج، ط 7، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1964.
- تاريخ الأمم والملوك = تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، 6 مج، دار الكتب العلمية، بيروت 1408/1988.
- ترتيب القاموس المحيط، الفيروز أبادي، الطاهر أحمد الزاوي، 4 ج، الدار العربية للكتاب/ تونس- ليبيا، تونس 1980.
- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمان بن خلدون، تح. محمد بن تاويت الطنجي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1370/1951.
- تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، طبعات متعددة.
- الجاحظ: حياته وآثاره، طه الحاجري، دار المعارف بمصر، القاهرة 1963.

- جمهرة الأمثال للعسكري، تح أحمد عبد السلام وأبو هاجر محمد سعيد، دار الكتب العلمية بيروت 1988/1408.
- الحب العذري، موسى سليمان، دار الثقافة، ط 2، بيروت 1954.
- الحديقة، محي الدين الخطيب، في 12 جزء، المطبعة السلفية ومكثبتها بالقاهرة، الجزء الأول، ط 2، القاهرة 1350 (والأولى 1341)؛
- الحركة الأدبية والفكرية في تونس، محمد الفاضل ابن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس 1972.
- حصاد العمر، أبو القاسم محمد كرو، دار المغرب العربي، / تونس - مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، بيروت 1998/1419.
- الخيال الشعري عند العرب، أبو القاسم الشابي، تونس 1929.
- دراسات عن الشابي، إعداد أبو القاسم محمد كرو، منشورات دار المغرب العربي، تونس 1966.
- دمشق : تراثها ومعالمها التاريخية، عبد القادر الرخاوي، دار البشائر، ط 2، دمشق 1996/1406.
- ديوان ابن رشيق، جمع وترتيب عبد الرحمان ياغي، دار الثقافة، بيروت 1962.
- ديوان ابن الرومي، اختيار وتصنيف كامل كيلاني وتقديم عباس محمود العقاد، ط المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة 1924.
- ديوان ابن زيدون، تح علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1957.
- ديوان ابن سهل الإسرائيلي، تح. محمد قوبعة، منشورات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية، تونس 1985.



- ديوان أبي تمام، تقديم وشرح محي الدين صبحي، جزءان، ط1، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1997.
- ديوان أبي فراس الحمداني، تح سامي الدهان، المعهد الإفرنسي بدمشق - المطبعة الكاثوليكية بيروت 1363 / 1944.
- ديوان أبي نواس، تح أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت د. ت. (عن طبعة القاهرة 1953).
- ديوان امرئ القيس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (د. ت.).
- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمعه وقدم له وحققه عبد الصاحب عمران الدخيلي، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1972.
- ديوان السري الرفاء، تقديم وشرح كرم البستاني، مراجعة ناهد جعفر، ط. 1، دار صادر، بيروت 1996.
- ديوان عروة بن الورد، تح سعدي ضناوي، ط1، دار الجيل، بيروت 1990/1416.
- ديوان محمود قبادو، جزءان، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس 1972 وط2، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 1984.
- ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، تح أحمد سليم غانم، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1424 / 2003.
- ذكريات وخواطر، علي المعاوي، سلسلة مذكرات، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة منوبة، تونس 2007.
- الرؤية النقدية عند محمد العروسي المطوي، محمد الهادي المطوي، دار الغرب الإسلامي ببيروت - النادي المطوي للتعارف والتعاون بتونس، بيروت 1995.
- شرح ديوان المتنبي، 4 ج في مجلدين، عبد الرحمان البرقوق، دار الكتاب العربي، بيروت 1407 / 1986.

- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري،  
دار المعارف بمصر 1963.
- شرح المعلقات السبع، للزوزني، منشورات التجارية  
المتحدة - دار البيان، بيروت (د. ت.).
- شعر عبد الصمد بن المعدل، تح زهير غازي زاهد، توزيع  
مكتبة الأندلس - بغداد، 1390 / 1970.
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تح  
محمد فؤاد عبد الباقي، دار العروبة، القاهرة 1957؛ وبتحقيق  
طه محسن، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث  
الإسلامي، عدد 66، بغداد 1401/1985.
- طه حسين والمغرب العربي، أبو القاسم محمد كرو،  
مؤسسات بن عبد الله للنشر والتوزيع، ط1، تونس 2001.
- العربي الكبادي : حياته ونماذج من شعره، الحبيب بن  
فضيلة، دار المعارف، سوسة / تونس 1994.
- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ط 3، المكتبة  
العربية ومطبعتها : 337 - 338؛
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن  
بن رشيق، تح محمد محي الدين عبد الحميد، جزاءن، المكتبة  
التجارية الكبرى، ط. 3، القاهرة 1383/1963.
- فقه اللغة، للثعالبي. الدار العربية للكتاب، تونس- ليبيا 1981.
- القرآن الكريم ؛
- الكامل، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح محمد أبو  
الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، 4ج، دار نهضة مصر للطبع  
والنشر، القاهرة، د. ت.
- كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن  
العسكري، تح. علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم،

ط 1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1371/1952.

- كتاب العمر، حسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي وبشير البكوش، مجلدان في 4 أقسام، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، وسنة 1425/2005.

- كشف الحجب عن مدنية العرب أو الحركة العلمية عند العرب ومآخذ الإفرنج عنهم، محمد بن عمار الورتقاني، المطبعة التونسية، تونس [1934].

- لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، 3 مج، دار لسان العرب، بيروت، د. ت.

- المتنبّي بين ناقدية في القديم والحديث، محمد عبد الرحمان شعيب (مكتبة الدراسات الأدبية عدد 35)، دار المعارف بمصر، القاهرة 1964.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح بن الأثير، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1358/1939.

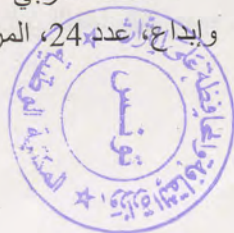
- المجاني. الحديثة عن مجاني الأب لويس شيخو، ط 2، منقحة ومزيد عليها بإدارة فؤاد أفرام البستاني، وتقديم كرم البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1961.

- مجمع الأمثال، الميداني، تح محمد محي الدين عبد الحميد، جزءان، ط. 2، القاهرة 1379/1959.

- محمد البشروش : حياته وآثاره، عبد الحميد سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس 1978.

- محمد الحلوي ناقدًا وأديبًا، محمد الهادي المطوي، الدار العربية للكتاب، تونس 1984.

- محمد العربي الكبادي، محمد أنور بوسنينة، سلسلة ذاكرة وإبداع، عدد 24، المركز الوطني للاتصال الثقافي، تونس 2006.







هذا هو الجزء الثاني من كتاب «محمد العروسي المطوي: سيرة وورقات من إبداع مرحلة الشباب». وهو الجزء الخاص بالنتشر كما ذكرنا ذلك في مقدمة الجزء الأول. وقد ضمّناه ورقات من مذكراته، ورسائله، ورسائل بعض الأصدقاء إليه، ونماذج من أدبه المقالي ونقده بفرعيه الأدبي واللغوي.

ومن أهم أبواب هذا الجزء أنه يقدم لأول مرة في تاريخ الأدب التونسي صورة عن الشيخ الشاعر محمد العربي الكبادي الراوية من خلال ما دوّنه الشيخ محمد العروسي المطوي عنه من أمالي دروسه. دروس يكثر الحديث عنها بإعجاب وإطّاب كلّما ذكر اسم الكبادي دون أن يكون عندنا منها الدليل الذي يستحقّ به شهرته راوية ومدرسا. ولا شكّ في أننا بنشر هذه النّتف من مروياته مع تعليقاتنا عليها نكون قد أعطينا القارئ صورة عن منهج الكبادي في فن الرواية وقوة حافظته، وجمالية ذوقه الفني، ومدى سعة علمه الشامل لكل ما يتعلّق بالأدب العربي مشرقا ومغربا

ونحن نؤمّل أن يجد القارئ في هذا الجزء الثاني ما به يكمل الصورة التي سعينا إلى تقديمها له في الجزء الأول، نعني صورة الشاب محمد العروسي المطوي المبدع الأديب التي ستأسس عليها شخصيته الإبداعية بعامة، وتحدّد بها توجّهاته الأدبية والعلمية والفكرية في ما سيلي من حياته. والسلام.

د. محمد الهادي بن الطاهر المطوي